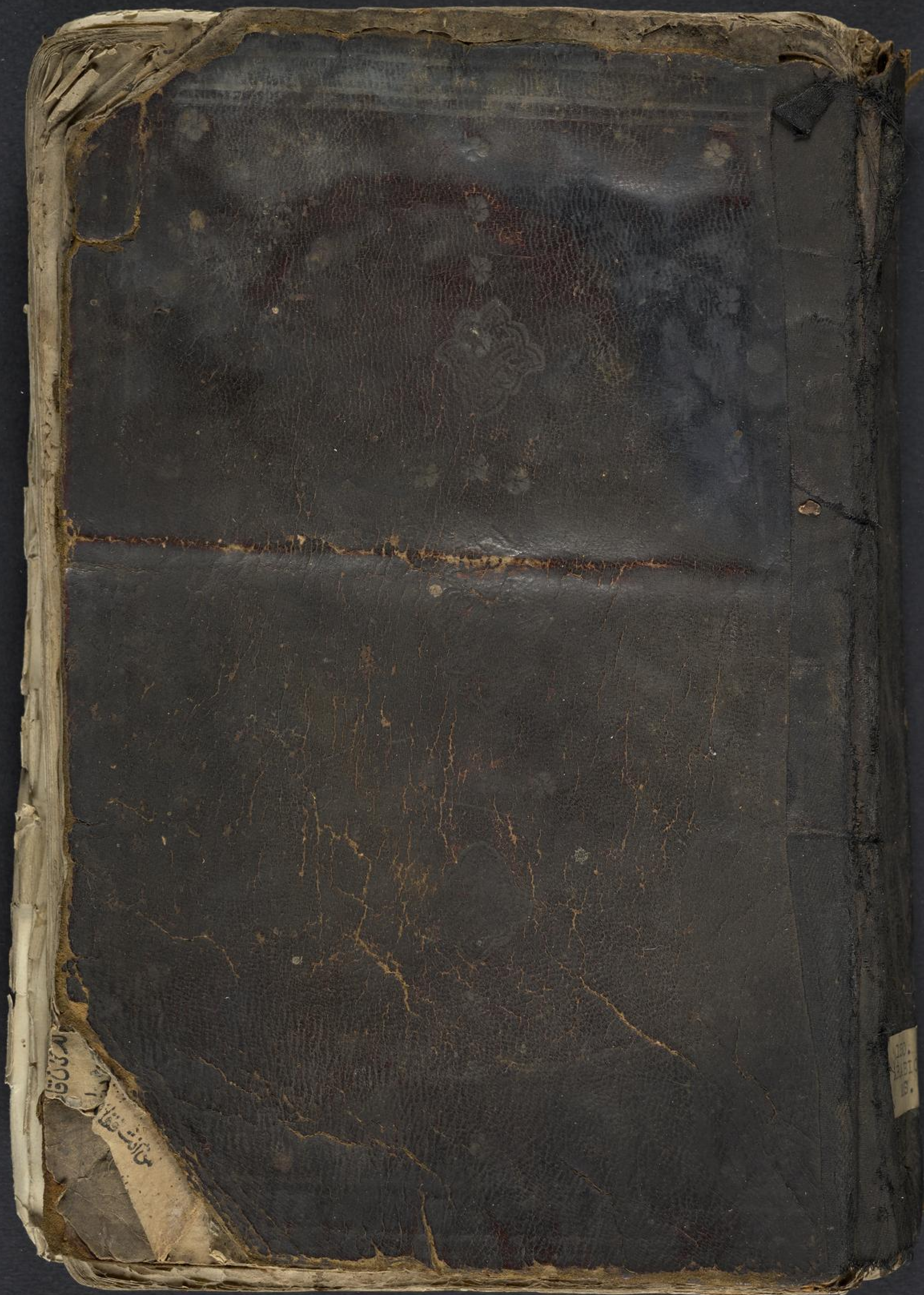


أمنت بالله

كتاب احياء علوم الدين

امنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وليوم
الاخر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادى
في اشراق مبادي مبادي انوارها الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر
العالم بمكنونات الضماير المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب
مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على سيد المرسلين
وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين
اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده
لمعرفة الله سبحانه وتعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره
وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل
لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه
وانما الجوارح اتباع وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد
واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من
غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب
وهو المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو
الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله وانما الذي ينتشر
على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري
الى الاعضاء من الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر
ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف
نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا

واذا جهل
جهل
نفسه

١

فقد جهل وحيلولته

لقلبه جهل ربه ومن قلبه فهو لغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم
وبينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه بان يمنعه من مشاهدته ومراقبته
ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف هو مرة الى
اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين
عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح
من خزاين الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى في حقه نسوا الله فانساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقته اصل الدين واساس طريق السالكين يهوي
واذا قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات
والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على
القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم
اليه كتابين كتاب في شرح عجايب القلب واخلاقه وكتاب في كيفية رياضة القلب
وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن
من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه
واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الاوهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان هذه
الاربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه
الاسامي واختلاف معانيها وحدود مسمياتها واكثر الاغاليط منشاه الجهل بمعنى
هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي
وما يتعلق بغرضنا **الاول** لفظ القلب وهو ما يطلق المعنيين احدهما اللحم
الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف
وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ولسنا نقصد الآن شرح شكله ومعدنه
وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء وهذا
القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا
الكتاب لم نعني به ذلك لانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة المدرك
وقد تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا من الادميين **والمعنى الثاني** هو لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان
وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة
مع القلب الجسماني وقد تحير عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه
يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة

بالآلة اذ تعلق المتمكن بالمكين وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه
متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علم المعاملة والثاني ان تحقيقه
يستدعي افشا سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه
والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها
واحوالها لا ذكر حقيقتها ~~اللفظ الثاني الروح وهو~~ في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر
الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق
فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب
الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في
البدن وفيضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منها على اعضائها يضاهي
فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا
ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان
الروح وحركاتها في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه
والاطبا اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة
القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطبا الذين يعالجون الابدان
فاما غرض اطبا الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس
تتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني وهو اللطيفة العالمة المدركة من
الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى
بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر
العقول والافهام عن درك حقيقته اللفظ الثالث النفس وهذا ايضا مشترك
بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع
لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب
على الصوفية فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان
فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها
التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف
مختلفة بحسب احوال اخلاق احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها
الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى
الله فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها صارت مدافعة للنفس

للنفس

للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها
في عبادة مولاها قال الله ولا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض
واذعنت لطاعته لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال
الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس
بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته
العالمة بالله وسائر المعلومات **اللفظ** الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعاني
مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملته معنيان **احدهما** انه
يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة للعلم الذي محله القلب **الثاني**
قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم
ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة
غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك
عن المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم
عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه
لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد
انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني
والنفس الشهواني والعلوم وهذه اربعة معاني يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى
خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد
عليه فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد
التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون
هذا خاطر العقل هذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر
اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث
ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة
الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب
علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بساير البدن ومستعملة لها ولكنها تتعلق
به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها
ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو
العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال
بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش
والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه

وشرح ذلك ايضا لايليق بغرضنا فلنتجاوز **بيان جنود القلب** قال الله تعالى وما
يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم
جنود مجندة لايعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض
جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى
الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند **فاما
جنده** المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذان واللسان وساير الاعضاء
الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المقصود فيها والمورد لها
وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لاتستطيع له خلافا وعليه تمردا فاذا امر العين
بالانفتاح انفتح واذا امر الرجل بالحركة تحركت فاذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم
وكذا ساير الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة
لله فانهم جبلوا على الطاعة لايستطيعون له خلافا بل لايعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وانما يفترقان في شي وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها
والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولاخبر لها من نفسها
ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب
والزاد للسفر الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقايه
فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن
وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد ويمكنه من التزود العمل الصالح وليس
يمكن ان يصل العبد الى الله ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى
لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل
الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم
والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما
يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذا وغيره وبان يرفع عنه ما ينافيه
ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذا الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر
وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذا فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه
وخلقت الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي
به يعمل بمقتضى الغضب وكمل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم
المحتاج الى الغذا اذا لم يعرف المغذ لاتنفعه شهوة الغذا والته فافتقر للمعرفة
الى جندين باطن وهو الادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو
العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول

الاعضاء التي هي الآلات المجزية
والقوى الحاصلة في المهلكات

جندين باطن وهو حس

ولا يحويها مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقنع به فجملة
جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع
كالشهوة واما الى دفع المضاد المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة
والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة
وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوتار والثالث
هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع
وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع
كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم
والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش
بالاصابع وقوة البصر انما يدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم
في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانه من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن
فيما ايدته من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه
الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر
والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا
خمسة فان الانسان بعد رؤيته الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه
وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم
يتفكر فيما يحفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يذكر ما نسيه ويعود اليه ثم
يجمع جملة معاني المحسوسات في خياليه بالحس المشترك بين المحسوسات ففي
الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ
والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عن اليد والرجل فتلك القوى
ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه اقسام جنود القلب وشرحه بحيث
يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول
من العلوم ولكنا نجتهد في تفهم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من
افهامهم بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب
والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه
ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصا بغي
وتمرد حتى يملكانه ويستعبدانه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله
الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه
ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان

يدروه

انما يبطش مم

بعض

موافقته

بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك
يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر
العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة **المثال الاول** ان تقول مثل
نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته
فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواها وجوارحها بمنزلة
الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل و
الشهوة له كالعبد السوء يجلب له الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب
شرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع حيث يتمثل بصورة الناصح وتحت
نصيحته الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير
يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في ارائه ساعة كما ان الوالي في مملكته
متى استشار في تدبيراته لوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا
باشارته في ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره و
جعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون
العبد مسوسا لا سايسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل
بسببه كذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطها على
الشهوة واستعانت باحدهما على الاخرى تارة بان يقلل مرتبة الغضب وغلوائه
بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية
عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه
الطريقة كان كمن قال الله افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال
واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال فيمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي
كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس
المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها
وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته
والنفس الامارة بالسوء هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى
في اهلاك رعيته وصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد
عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة قال الله تعالى وفضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته
ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم

وشربت اللبن

وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسيرة اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر
والى هذه المجاهدة والاشارة بقوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل الفارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه
فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى
كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته
منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو حقيق بان يعطب فضلا من ان ينال ما
طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس
مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب
واستيلائه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على
سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة صح حتى
الشاة ترى الذيب بعينها فتدرك عداوته بقلبها فتهرب فذلك ادراكها الباطن
فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله سبحانه
وهو راجع الى علم وارادة **اما** العلم فهو العلم بالدنيوية والاخروية والحقايق العقليه
فان هذه امور وراء المحسوسات ولا تشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية
الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين
في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس
فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر
الضروري فهو في سائر النظريات اظهر **واما الارادة** فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة
الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها
وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان
الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها و
الشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس
ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعاقبة الامور ولم يخلق هذا الباعث
المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا
اختص قلب الانسان بعلوم وارادات تنفك عن سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي
في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ **واما** الشهوة والغضب والحواس
الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم درجتان
احدهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية **كا**لعلم باستحالة
المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها

صادت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي
لم يعرف من الكتابة الا الدوات والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة
ولم يبلغها بعد **الثانية** ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فيكون كالمخزونة
عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا
الكتابة لقدرته وهي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى
يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وشرف المعلومات وحسنها
وبطريق تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة
ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطي الحصول وفي
وفي هذا المقام تباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الترقي فيه غير
محصورة اذ معلومات الله لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف
له كل الحقايق واكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة
يقرب العبد من الله قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه
الدرجات هي منازل السايرين الى الله فلا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل
الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل **فاما** ما بين يديه فلا يحيط
بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق
بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين
حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال
العاقل وما اكتسب من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اولياء الله وانبيائه
من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة
بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب
المتعرضة لنفحات الله سبحانه كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا
فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق
المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة بقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء
الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له **وبقوله** تعالى في الحديث القدسي لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى
لقائهم لاشد شوقا الخ وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك
اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى
عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب
كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهوى فالقلوب المشغولة بغير الله
لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين

حال م

ن السايرين

السدوم

يحومون

يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان
العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله
سعادته وصلاحه بجوار حضرة الكمال والجمال فالبدن مركب للنفس والنفس والعلم هو
مقصود الانسان وخاصيته التي لاجله وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص خلق ٢
عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت
منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور و
يفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله
والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى فنبات ومن
حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة
على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه
الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى
ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات
البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم غمرا كثور **واما** شرها فيصير مج
كخنزير **واما** ذريعا ككلب • او حقودا كجمل • او متكبرا كنمر • او ذا روغان كثعلب •
او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الا
ستعانة به على طريق الوصول الى الله كما سيأتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه
فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله
مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه
فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك وتجري
القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات
عنده وتجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان
مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى
جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان
والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار
يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
الى الخازن وهي القوة الحافظة ثم يعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج
اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به
ودفع قواطع الطريق فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه
الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة

او في عمارة طريقه ومنزله اذ الدنيا طريقه الذي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة
كان مخذولا شقيا كافر النعمة الله مضيعا لجنود الله ناصر الاعداء الله مخذلا لحزب الله
فليستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله منه والى هذا المثال الذي ضربناه اشار
كعب الاحبار قال دخلت على عايشة فقلت الانسان عيناه هاديا واذناه سمعه قمع ولسانه
ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت
هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله
تعالى في ارضه انية فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسرها وقال اصلبها وهي القلوب
في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح قال ابي
بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال بن اسلم زيد
في اللوح المحفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة
القلب **بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله** اعلم ان الانسان قد اصطحب في
تركيبه وخلقته اربعة شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع
من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة
يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني
كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلا
والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية
والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة
بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق
والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك
ومن حيث يختص من البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه
شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والخديعة
والحيلة ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب
من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك
مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم
الخنزير هو الشهوة فان لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه
وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار
الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن

الانسان

ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعوا بالشره الى الفحشا والمنكر
والسبع يدعوا بالغضب الى الظلم والايذا والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع
ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكم الذي هو مثال
العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة
ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر
سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت
سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى
الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط
الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دايما في عبادة كلب وخنزير
وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب
منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطا عنه وكشف بحقيقة
حاله كما لو تمثل المكاشفين اما في النوم او في اليقظة لراى نفسه بين يدي خنزير
ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير بطلب شيا
من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او راها مايلا بين يدي كلب
عقورا عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا الفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو
بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه
فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته
وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان ينصف نفسه الا ساعيا
طول النهار في عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد
عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل المستحق للسيادة والقهر والاستيلا وهذا قد سخره لخدمة
هولاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولاء الثلث صفات تتراكم حتى يصير طبعا
ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق
والحسد والشماتة واما طاعة الغضب فينتشر منه الى القلب صفة التهور والنذالة
والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير
الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة
والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزة والتلبس
والتضريب والغش والخب وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة
الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقايق

الواضح م

ايتمم

علبه

عليه م

الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق
التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله والاستغنا عن عبادة الشهوة والغضب والانتش
اليه من ضبط خنزير ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة
والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعده
وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة
والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل
والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مراة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه
الاثار على التوالي واصل الى القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانه تزيد مراة القلب
اشراقا ونورا وضياء حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا
جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له قلب واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا
القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار
المذمومة فهي مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى
الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله وهو الطبع وهو الرين قال الله كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم
لا يسمعون ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله
ويعلمكم الله ومهما تراكبت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق واسمعوا واتقوا الله
وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم من الدنيا ويصير مقصورا لهم عليه واذا مقصور بدل
قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى ولم يستقر في القلب
ولم يحركه الى التوبة والتدارك فاولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور وهذا معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القران والسنة قال ميمون بن مهران
اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى
يعلو قلبه فهو الران وقال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد وفيه سراج يزهر
وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته
مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم
قلبه ولكنه ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس فيها ثم تمسح فانه لا تخلو
عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك
قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلبه
المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب

ومثل النفاق

ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها
وفي رواية ذهبت به وقد قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا
الذين اتقوا والتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله
والكشف صح

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل العلم هو القلب
اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة
الى حقايق المعلومات كالمراة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة
ومثال تلك الصورة ينطبع في المراة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك
الحقيقة صورة تنطبع في مراة القلب وتتضح فيه وكما ان المراة غير وصورة الاشخاص
غير وحصول امثالها في المراة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب
وحقايق الاشياء وحصول نفس الحقايق في القلب وحضوره فيه فالعالم عبارة عن القلب
الذي فيه يحل مثال حقايق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقايق الاشياء والعلم عبارة
عن حصول المثال في المراة كما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا
كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول
مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت حقيقة موجودة والقلب موجودا ولم
يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف
موجودا واليد موجودا ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف
في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه
لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حده وحقيقته
المطابق لصورته فتمثيله بالمراة اولى لان عين الانسان لا تحصل بالمراة وانما يحصل
مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب فيسمى علما وكما ان المراة
لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل
ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثا
لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المراة والرابع
لحجاب مرسل بين المراة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة
حتى يتعذر بسببه ان يحاذي به شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة
لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت
عن هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا تنجلي له
المعلومات لنقصانه الثاني الكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه

القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفا القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته
وتراكمه واليه الاشارة بقوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا
اي يحصل في قلبه كدورة لا يزول اثره ابدا اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوها
فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة
سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نورا وهذا
خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنست ثم تمسح بالمصقلة لزيادة جلائه
من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو
القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال
عليه السلام من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم **الثالث** ان يكون معدولا به
عن جهة الحقيقة المطلوبة **فان قلب** المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس
يتضح جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما
يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او تهياة اسباب المعيشة ولا يصرف
فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية ولا ينكشف له الا ما
هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها
او بمصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها وان كان بعيد الهم بالاعمال وتفصيل
الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها
وعلايقها وكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي **والرابع الحجاب** فان المطيع القاهر لشهواته
المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق
اليه في الصبى على سبيل التقليد والمقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة
الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما يلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب
عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت
الارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم
وصار حجابا بينهم وبين درك الحقائق **الخامس** الجهل بالجهة التي منها يقع
العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم
التي يناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه مخصوصا يعرفه العلماء بطرق
الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان
العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا
يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من
ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان

فيه

يلقنه

تقريبًا

من اراد

بقي

ارادان يستنبح دمكة لم يكنه ذلك فرخمان ونبتم وانسان بل فراصل مخصوص
هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم
فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم
المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم
ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا
ان يرى قفاه في المرآة فانه ان رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن حاذا بها شطر القفا فلا
يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا بازايه كان قد عدل بالمرآة عن
عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيه فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا
وهذه في مقابلته بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى ينطبع
صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه
المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين ثم يدرك العين صورة القفا
وكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورادات وتحريفات اعجب مما ذكرنا
في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات
فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب عن معرفة حقايق الامور والا فكل قلب هو بالفطرة
صالح لمعرفة الحقايق لانه امر رباني شريف فارق ساير جواهر العالم بهذه الخاصية و
الشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصة
تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله وتلك الامانة
هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن
يثبطها عن النهوض باعبايها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم
لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين
القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي انه قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في
قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم تسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب
عبدي المؤمن اللين الوداع وفي الخبر هو النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد
ولذلك قال عمر رأى قلبي ربي اذا كان رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب
بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه
فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض عالم الملك والشهادة وهو ان كان

[illegible]

واسع الاطراف متباعد الاكناف وهو متناهي على الجملة وأمّا عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة
عن الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناهي
ولكنه في نفسه باضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت
دفعة واحدة يسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ
ليس في الوجود سوى الله وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب
هو الجنة بعينه عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه
في الجنة بحسب انوار سعة معرفته بقدر ما يتجلى له من الله وصفاته وافعاله وانما تراد
الطاعات واعمال الجوارح كلها لتصفية القلب وتزكيته وجلائه وقد افلح من زكاها ومراد
تزكيته حصول انوار الايمان فيه بمعنى اشراق نور المعرفة وهو بقوله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه نعم هذا التجلي ونعم هذا الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام
وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو الممزوج بنوع استدلال
والثالث ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب
بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك
به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه في القول فان قلبك يسكن اليه
ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم
لما بلغوا التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وارادته وسائر
صفاته وبعثة الرسول وصدقه وما جاء به وكلما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا
عليه ولم يخطر في بالهم خلاف ما قالوه لهم بحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا
الايمان سبب النجاة في الاخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين
لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع
من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد فقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة
بما سمعوه من ابائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطأ
والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق المرتبة الثانية
ان يسمع كلام زيد وصوته عن الدار ولكن من وراء الجدار فيستدل به على كونه في الدار فيكون
ايمانك وتصديقك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك
اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا الا ان الصوت يدل
على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة فقلبه
يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا

يمكن

يمكن ان

نيطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك
قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقصد في هذا التلبيس
والمحاكاة غرضا **الثالثه** ان يدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي
المعرفة الحقيقة والمشاهدة اليقينيه وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم
يؤمنون عن مشاهدة فينطوي ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية
يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
الكشف **اما** الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار وفي
وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والاخر يدركه في بيت او بعد او في وقت عشية
فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا
من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهيه **واما** مقادير
العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا او عمرا او بكرا او غير ذلك واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة
ذلك يزيد بكثرة المعلومات لا محاله فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم **بيان**
حال القلب بالاضافة الى اقسام العقلية اعلم ان القلب بغريزته مستعد
لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحلى فيه تنقسم الى دينويه واخرويه النبي
اما العقليه فنعني بها ما يقضي بها غريزة العقل ولا تؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم
الضروريه لا تدري من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون
في مكانين والشى الواحد لا حادثا قديما موجودا معدوما فان هذه العلوم يجد الانسان يكون
في نفسه منذ الصبي مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا
قريبا والا فليس يخفى ان الله هو الذي خلقه والى ما اكتسبه وهي المستفادة بالتعلم
والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق
الله خلقا هو اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله لعلي رضي الله عنه اذا تقرب
الناس الى الله بابواب البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية
ولا بالعلوم الضروريه بل بالمكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال
العقل في اقتناص العلوم التي ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين
وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تعقل تفقد
بالعمى وتوجد في البصير فان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه
جاري مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين
العقل في مدة الصبي الى اوان التميز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى

او ان طلوع الشمس وفيضان نورها على المبصرات والعلم الذي سطر الله العلوم به على
صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التميز
لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله عز
وجل جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلب البشر قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم وقلم الله لا يشبه قلم الانسان كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه
من قصب ولا من خشب كما انه ليس من ذاته من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة
الباطنة والبصيرة الظاهرة صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة له في الشرف فان
البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا يشبه لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة
بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماها الله تعالى باسمه فقال تعالى ما كذب الفؤاد ما
راى سما ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم صلوات الله
عليه حتى يذكر في معرض الامتنان سمى ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا
فهذا بيان العلم العقلي واما العلوم الدينية فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء
صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن
الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا
اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص
الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولا يمكن
فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض
التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة
مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية
كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء متى فاته الدواء
فكذلك امراض القلب لا يمكن دواها الا بادوية مستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات
والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه
المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر
المريض بالغذاء وظن من ظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع
بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما

ناقص

يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في
الدين فيتحير فيه وينسل به من الدين كانسلال الشعرة من العجين وانما ذلك
عجز في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وامثال الاعمى الذي دخل دار
فعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم ترد مواضعها فقيل الي
له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب
منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيله على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم
الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية **فالدنيوية**
كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات **والاخروية**
كعلم احوال القلب وافات الاعمال بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب والعلم
العلم وهما علمان متنافيان اعني من صرف عنايته الى احدهما تعمق فيه قصرت حتى
بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والاخرة
ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين ان
ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وكذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم
الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقائق
علوم الاخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا
في القلب فيكون **احدهما** مانعا من الكمال في الثانية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اكثر الجنة البله في امر الدنيا **وقال الحسن** ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين اهل صح
ولو راوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدنيا جحده اهل الكياسة
في سائر العلوم فلا يغرنكم جحودهم عن قبولها اذ من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق
بما يوجد في الغرب وكذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك **قال تعالى** ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا الاية **وقال تعالى** يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون **وقال** فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا
والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم
الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور
ولا يضيق عنها واما قلوب سائر الخلق فانها اذا اشتغلت بامر الدنيا انصرفت عن الاخرى
وقصرت عن استكمالها فيه **بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية**
في استكشاف الحق وطريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل
في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصوله فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه

من حيث لا يدري وتارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم والذي يحصل لا بطريق الاكتساب
وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب
بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل
والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي
في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء
والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص
به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشيا
كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل
الحايل بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم
القيمة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح في مراة القلب يضاهي انطباع صورة
من مراة في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى بهبوب ريح تحركه
فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو
مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل
وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطا وفي اليقظة ايضا حتى ينقشع الحجاب
بلطف خفي من الله فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شي من غرايب العلم تارة كالبرق
الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب
في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس
باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم
فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملايكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل
اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم
وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم
المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله
ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل لتنويره بانوار العلم واذا
تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر
الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالا فيه حقايق الامور
الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة
والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء
انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا

والتبري

والتبري عن علايقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله فمن كان لله كان
الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان ينقطع عن علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه
عنها ويقطع همته عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير
قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الا
قتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة
قران ولا بالتامل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوا
ذكر الله فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور
القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان
ثم يصير عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان
يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا كانه لازم
له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع
الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات
الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذا
الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهوا
ته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدايه
كالبرق الخاطف لا يلبث ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا
وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد تتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر
على فن واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم
وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من قبلك وتصفية وجلا ثم استعداد
وانتظار فقط **واما** النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه
وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن
استوعروا هذا الطريق واستبطوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق
الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حاله فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش
القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثنا هذه قد يفسد المزاج ويختلط العقل
ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تشبث بالقلب خيالات
فاسدة تطمين النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم
من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من
قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى

في قلبه حاضرا فيه صح

المجاهدة صح

الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم
ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه
ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور
على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل
ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف بالمجاهدة
بعد ذلك **بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس** اعلم ان عجايب القلب خارج عن مدركات
الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس يدرك بالحواس تضعف الافهام
عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين **احدهما** ان لو
فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق اليه الماء من فوقه بانهار تفتح و بساق
يحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفا وادوم وقد يكون اغزر واكثر
فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمسة مثل الماء والحواس الخمسة مثل
الانهار ويمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس بالمشاهدات حتى يمتلي
علما ويمكن ان يسند عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق
القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله **فان قلت**
وكيف ينفجر من ذات القلب وهو خال عنه **فاعلم** ان هذا من عجايب اسرار القلب لا تسمح بذكره
في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ
بل في قلوب الملايكة المقربين وكما ان المهندس يسطر ابنية الدار في بياض ثم يخرجها
الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود فصورته يتادى
فيه صورة اخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى
صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله
اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في
القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في
نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة
في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ
وهو سابق على وجوده الجسماني يتبعه وجوده الحقيقي ووجوده الخيالي اعني
وجود صورته في الخيال ووجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب
وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها
اشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك
على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها

ثم سرى

ثم سرى من وجوده في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا
ما هو واصل اليك فلو لم تجعل للعالم كله مثال في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك
فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار
حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بالقلب وعجايبه فلنرجع الى المقصود **فنقول**
القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح
المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر العين
الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه بين اللوح المحفوظ
راى الاشيا فيه وتفجر اليه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس ويكون ذلك كتفجر
الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له
من مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع من ذلك
عن التفجر من الارض كما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى
نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ
وعالم الملايكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم
الشهادة والملك يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة **واما** انفتاح باب القلب الى
الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة
اللوح المحفوظ فيعلمه علما يقينا بالتامل في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما
سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح الباب
لمن افرد ذكر الله قال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم **قال** المستهترون
بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم **قال** في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى
من واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد ان يعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو
الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاوليا والانبيا وبين علوم الحكما والعلما
هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكما ياتي
من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة و
الغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين
المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما
يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب والاوليا الصوفية يعملون
في جلا القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط و**قد حكي** ان اهل الصين واهل
الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر

راى الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبًا واهل الروم ويرخي بينهم
حجابا يمنع اطلاع كل فريق منهم على الاخرة ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة
ما لا يحصى ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ
اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم انهم فرغوا من النقش
من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فرفعوا
فاذا بجانبهم قد تلالا فيه عجايب الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق
اذ كان قد صار كالمراة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا
فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه جلية
الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء باكتساب نقش العلوم
وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا
يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان فيكون وسيلة
المقربة له الى الله اما ما حصله من نقش العلم او ما حصله من الصفا او لا استعداد لقبول
نقش العلم والسعادة لا تحصل الا بالعلم والمعرفة او بعض السعادات اشرف من بعض كما انه
لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزاين المترعة غني وتفاوت درجات
السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة
المال وكثرته والمعارف انوار فلا يسعى المؤمنون الى لقاء الله الا بانوارهم قال تعالى
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل
الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضي
مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفى قام ومرورهم على الصراط
على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم كشد الفرس والذي يعطى
نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى وتصيب
جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان
ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح وهذا ايضا هي قول القايل لو وزن نور الشمس
بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور
الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس
وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطاره ولا ينكشف في نور السراج
الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف
سعة الملكوت لقلوب العارفين وكذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا

من النار من في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل
ذلك تنبيه على درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار
وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار ولو دخل لامر باخراجه
اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك **وكذلك**
قوله صلى الله عليه وسلم ليس شي خير من الف مثله الا الانسان اشارة الى تفضيل قلب
العارف الموقن وانه خير من قلب الف من عوام الناس **وقد قال** تعالى وانتم الاعلون ان
كنتم مومنين وهو تفضيل للمومن على المسلم والمراد به المومن العارف دون المقلد
وقد قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ها
هنا بالذين امنوا وصدقوا من غير علم وميزهم على الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان
اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس
قوله الذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومن بسبع مائة درجة بين كل درجتين
كما بين السماء والارض **وقال صلى** الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي
الالباب **وقال فضل** العالم على العابد كفضلي على رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على
ساير الكواكب فبهذه الشواهد تتضح تفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم
ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن
والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة يكون نظره اليها كنظر الغني الذي
يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما
غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخس حظه منه وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا **بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب
المعرفة لا من التعلم ولا من طريق المعتاد** اعلم ان من انكشف له ولو الشي اليسير بطريق
الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ولم يدرك ذلك
من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة المعرفة فيه عزيز جدا ويشهد لذلك
شواهد الشرع والتجارب والحكايات **واما** الشواهد **فقوله** تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو
بطريق الكشف والالهام **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله ما لم
يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق
فيما يعمل حتى يستوجب النار **وقال** تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل له مخرجا
قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبهة ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير
تعلم ويفطنه بغير تجربة **وقال** تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل

عالم صح

لكم فرقانا قيل نورا يفرق بين الحق والباطل ويخرج من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور فقال اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا
وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وعظمي وسئل صلى الله عليه وسلم عن قوله
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو
التوسع ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال
صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي
الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يوتي الله عبدا
فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يوتي الحكمة من يشاء انه
الفهم في كتاب الله وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان
ابو الدرداء يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه الحق يقذفه الله في قلوبهم
ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات
للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو النافع وسئل بعض
العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال سر من اسرار الله يقذفه في قلوب احبائه لم يطلع
عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان
عمر منهم وقرا ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة
المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم
من غير تعلم قال تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصها بهم
وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس
العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي
ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني
واليه الاشارة بقوله وقد اتيناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن
بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح
في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد
فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب
فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين بعدهم
قال ابو بكر رضي الله عنه لعائشة انما هما اختاك وكانت زوجته حاملا فولدت

بنتا

بنتًا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال رضي الله عنه في اثنا خطبته
يا سارية الجبل الجبل انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره بمعرفة ذلك ثم
بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس ابن مالك قال دخلت على
عثمان ابن عفان رضي الله عنه وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرًا شزرًا
وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل علي احدكم واثار الزنا ظاهر في
عينيه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن ببصيرة وبرهان وفراسة صادقة
وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرًا عليه خرقتان
فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال اعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن
عبادة ثم غاب فلم اره وقال زكريا ابن دلويه دخل ابن عباس بن مروان على ابي
الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من
اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله
الطافا خفية وعن احمد قال دخلت على الشبلي فقال ضيعونا يا احمد فقلت ما الخبر
فقال لي كنت جالسًا فجرى بخاطري انك بخيل فقال ما انا بخيل فعاودني فقال
بل انك بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما
استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها
في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه
فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها للمزين فقلت انها دنانير فقال
اوليس قلنا انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين عقدنا لما جلس الفقير بين
يدينا ان لا ناخذ عليه اجرًا فرميت الدنانير في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله
الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي فاعتقدت
في نفسي ان سلم عليه ولا اكل في داره طعامًا فلما خرجت من عنده فاذا به خلفي
وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك
وكان ابو الخير مشهورًا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلمًا عليه فصلى
صلاة المغرب ولم يقرا فاتحة الكتاب مستويًا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما
سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه فقلت ان الاسد قصدني
فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت
فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب

فخافنا الماسرو وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم تخرج
عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر والسؤال منه ومن سماع الصوت الهاتف ومن
فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا ينفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه و
اكثر
من انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران **احدهما**
عجايب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف به الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا
في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فمن مستيقظ
غايص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه **والثاني** اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ
النبي عبارة عن شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان
يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل بالاصلاح وهذا لا يسمى نبيا بل
يسمى وليا فمن امن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان
للقلب بابان **باب** الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو
باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم بالتعلم
ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على
حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت **واما** السبب
في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثيل الملائكة بصور مختلفة
للانبياء والاولياء فكذلك ايضا من اسرار عجايب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة
فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد **قال**
بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من
التوحيد **وقال** ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله
فقلت الستم تكتبان الفرايض قالا بلى قلت فيكفيكما وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين
لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة **وقال** بعض العارفين
سالت بعض الابدال عن مسالة من مشاهدة اليقين فالتفت الى يمينه **فقال**
ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره قال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب
جواب سمعته فسالته عن التفاته **فقال** لم يكن في المسالة عندي علم عتيد فسالت
صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت عن صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري
فنظرت الى قلبي فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وهذا كان معنى **قوله**
صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله يقول
ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه

ومحادثه

وقال بعض العلماء ليس على افواه
الحكماء لا ينطقون الا بما هيا
الحق من اسرارهم صح

ويحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة
فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى
وينفتح ذلك بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب الى
امراء الاجناد احفظوا ما تسمعوا من المطيعين فانهم تتجلى لهم امور صادقة وقال بعض
لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره **بيان تسليط الشيطان**
على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه
في مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ايضا مثال هدف تنصب اليه
السهام من كل جانب او هو مثل مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى
فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار
مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال **اما** من الظواهر ومن
الحواس الخمس **واما** من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج
الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا
بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات
الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شي الى شي وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من
حال الى حال والمقصود ان القلب في التاثير والتغير دايما من هذه الاسباب واخص
الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخاطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني
به ادراكات وعلوم اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من
حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنه والخواطر هي المحركات للارادات
فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا
الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الا
عضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعوا الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى
ما يدعوا الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الاخرة **فهما** خاطران مختلفان فافتقر الى
اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا
ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث
دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله في ترتيب المسببات على الاسباب
فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان
سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته **سببان** مختلفان
فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا **وسبب** الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا
واللطف الذي يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به تتهيا لقبول

وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي والملك عبارة عن
خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة الفهم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه
وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشا
والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك
والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين
فالموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج
كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب
لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق
ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله وهم من العدو فرحم
الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب
بين هذين المسلطين **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن والله سبحانه وتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم
منقسم بين الانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير
فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال
باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران
لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب
باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشيطان صلاحا متساويا ليس
يترجح **احدهما** على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات
والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسليط
الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى
الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة
صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع
وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان
يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك **قال** النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من
احد الا وله شيطان **قالوا** وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم ولا
يامرني الا بخير فانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله
على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو
الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات
الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان فضاق

مجاله

اقبل

مجاله والملك والهم والتطارد بين الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم به الى ان
ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب
قد فتحها جنود الشياطين وملكوها فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة
واطراح الاخرة ومبدا استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية
القلب عن قوة الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي
هو مطرح اثر الملائكة قال جرير بن عبد الله العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد
في صدري من الوسوسة فقال انما مثل النقب الذي يمر به اللصوص فان كان
فيه شي عالجوه والا مضوا وتركوه يعني القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك
قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى
لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عمرو
ابن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراتي فقال ذلك شيطان
يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال
ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان
فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شي ما سوى
ما يوسوس به لانه اذا احضر في القلب ذكر شي انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل
شي سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ايضا ان يكون مجال الشيطان فذكر الله
هو الذي يؤمن جوانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشي الا بضده
وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة و
هو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك
لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف
بقلبهم في اوقات الطيبات على سبيل الخلسة قال تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله
تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله
ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما
قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله
خنس وان نسي الله التقم قلبه قال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين
سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده على وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان

مثل ذلك صح

ومن اتخذ

الغفلات

خنس وانقبض واذا غفل
انبسط على قلبه والتطارد
بين ذكر الله صح

الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه و
محيطة في القلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن
ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان
الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى لحكاية عن ابليس
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمايلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد بطريق
الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال
اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله
الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي
تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر
معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه
فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح لهذا النوع من
الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا
نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم فان كان جسما فكيف
يدخل بدن الانسان فما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال
الباحث عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل
بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشر قد
علم وذلك عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف
الشيطان فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه وتعالى عداوته في مواضع
كثيرة في كتابه ليؤمن به وليتحرز منه فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقد قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم
الا تعبدوا الشيطان الاية فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال
عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفع وسلاح الشيطان
الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة
فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في المعاملة الى
معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داعي الى الشر فلا

يخفى

وان قتل او مات حتف او غرق او اكله السبع

يخفى كونه وسوسة والهاما يعلم انه داعي الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والهاما يتردد فيه
ولا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض
الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى — الشر
الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم
موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم
من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة
مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق
الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم
يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك
سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد — المخ
فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين
الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما
قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله
ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام
لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وكذلك روي ان ابليس تمثل — روي صح
لعيسى عليه السلام فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له
ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك
العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر
ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان
في كتاب الغرور في اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على
الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه انتشر تلبيسه الان في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال — ابليس صح
حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده
فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان
يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما — من الطبع صح
قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور
العلم فاذا هم مبصرون بالتقوى اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه
بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل به
هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقال هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة

الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا
بعلوم تستجر اليهم الوساوس [illegible] وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطرق الاحتراز
منه ولا ينجي من كثرة الوساوس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها
من داخل الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد ابواب الحواس والتجرد عن المال
والاهل حتى تقل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات
الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه
ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد عن
الشيطان مادام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني
قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فابواب الشياطين مفتوحة
في قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها
ومهما كان مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن
يا ابا سعيد اينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمومن عنه نعم له سبيل الى دفعه
وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن ينضي شيطانه كما
~~ينضي احدكم بعيره في السفر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن ينضي شيطانه~~
~~كما ينضي احدكم بعيره في السفر~~ وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا اليوم مثل العصفور
قلت ولم ذلك قال تذيبني بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان
وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى طرق المعاصي
الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما
اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان
كثيرة وباب الملايكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيها مثاله
المسافر الذي في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين
بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرق
هو العلم الغزير المستفاد من كلام الله وسنته خط لنا يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا
فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها
شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل تلك
الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه
وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي
الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه

ذلك

وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان
جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب فاتوا بها الراهب فابى ان
يقبلها فلم يزالوا حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين
له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه وقال الان تفتضح فاتيكم
فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم
انه قد احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان
قال الله في حقه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك فانظر
الحيله واغتراره الراهب لهذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية
للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة ويحسن في قلبه بخفي الهوى
فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك من اختياره ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد
محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام
حول الحمى يوشك ان يقع فيه **بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب** اعلم ان القلب
مثله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر
على حفظ الحصن عن العدو الا بحرسة ابواب الحصن ومداخله ومواقع ثلمته ولا يقدر
على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين
على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان
الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبا ومداخل الشيطان وابوابه
صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي
لا يضيق عن كثرة جنود الشيطان ومن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان
العبد حريصا على شي اعماه حرصه واصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حب الشي يعمي
ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا اغطاه الحرص والحسد لم
يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا
وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين
اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت
لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك قال نوح اخرج منها
يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث
ولا احدثك باثنتين فاوحى الله الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلاث مره بحديث
بالثنتين فقال لها الثنتان فقال هما لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك
اهلك الناس الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح ادم الجنة

وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين

ومن الابواب العظيمة [illegible]

كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص **ومن** ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب
غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به
الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام **فقال** يا موسى
انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد
ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي **قال** موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل **فقال** يا موسى
قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب عليك فاستكبر
وغضب **وقال** لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما
شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي
في وجهك وعيني في عينك اجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اجي بن
ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة
ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة و
الغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجود ادم ميتا هو الحسد
وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء لابليس باي شي تغلب ابن ادم قال اخذه عند
الغضب وعند الهوى فظهر ابليس لراهب **فقال** اي اخلاق بني ادم اعون لك قال
الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبي الكرة وقيل ان الشيطان
يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون
في راسه **ومن** ابوابه حب التزاين في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان
اذا راي ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة
الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب
ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن ان يعود اليه فان بعض ذلك
يجره الى بعض فلا يزال يوديه شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل
الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه
ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي
الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان **روي** ان ابليس ظهر ليحيي ابن زكريا عليه
السلام وراى عليه معاليق من كل شي فقال له يحيي ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات
التي اصيب بها بني ادم قال فهل لي فيها شي **فقال** ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة
وعن الذكر **قال** هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املي بطني من طعام ابدا فقال ابليس
ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا **ومن** ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب
الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا

والتلبيس

والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التردد والتحثث
اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة
معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن سليمان ان ابليس
تمثل لعبد الله بن حنظلة **وقال** يا ابن حنظلة احفظ عني شيا اعلمك قال لا حاجة لي به
قال انظر وان كان قبلت خيرا وان كان شرا اردت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله
سوال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت **ومن** ابوابه العجلة ترك التثبت في الامور
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله **وقال** تعالى
خلق الانسان عجولا **وقال** ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان
الاعمال ينبغي ان تكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة
يمنع من ذلك فعند الاستعمال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري **روي** انه لما
ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست روسها
قال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض ولم يجد شيا ووجد عيسى
وقد ولد عيسى واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد
البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان يعبد
الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة **ومن** ابوابه
العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار
وكلما يزيد على قدر القوت والحاجة فهي مستقر الشيطان فان معه قوته فهو فارغ
القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل واحد الى
~~مائة دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة~~
دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا
فالان وجد مائة فظن انه صار غنيا بها وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري بها دارا
ويعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل
شي من ذلك يستدعي شيا اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق
جهنم ولا اخر لها سواه **قال** لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه
قد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر
فذهب وجاء وقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خايبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل
هولاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله
ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام

توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورمى به وقال
هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا
ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القايم بالليل مثلا للصلوة مهما كان
بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن
لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته في النوم وهذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة
والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله ومن ابوابه البخل
وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز
والعذاب اليم هو الموعد للكاثرين كما نطق به القران قال خيثمة بن عبد الرحمن
ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن ادم فلن يغلبني على ثلاث ان امره باخذ المال من غير
حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح
مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه
ظن السوء ومن افات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش
الشياطين روي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما
انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال
فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه
قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي موذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر
قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد
قال النساء ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم
بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس
والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل
الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان ذلك موافقا لطبعه غلبت عليه حلاوته على قلبه
فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع
في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو اكل للحرام ومطلق
اللسان بالكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو راه ابو بكر لكان هو اول عدو له اذ هو الى
ابا بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما احبه وكان من سيرته ان يضع
حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاه وحبه وترى
فضوليا اخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في خلافته
ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا الثياب
الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم

القيمة وليت شعري من اخذ ولد انسان هو قرة عينه وحشوة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه
وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف يكون حاله عنده
ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وسائر الصحابة من الاهل والولد بل من
نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات
ويتوددون به الى ابليس عدو الله اوليائه وترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعدو صح
وعند اولياء الله بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه الصحابة في امة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم ثم الشيطان
يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر رضي الله عنهما النار لا تحوم حوله ويخيل الاخر الى
انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليهم خوف وهذا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لولده لفاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه
من جملة الاهوا وهكذا حكم المتعصب بين الشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم
من الايمة ممن ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول
كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان للعمل لا لاجل
الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكت
وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا من خلل عظيم من مداخل الشيطان
قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين
بصيرتهم وقوي في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع
واقامة الجاه الا بالتعصب فحسنوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكيدة الشيطان
فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيده فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد
هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال
سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون
الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من
الاسباب التي تجري الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظم حيل الشيطان
انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلاف الواقعة بين الناس في المذاهب و
الخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله فاتاهم الشيطان
ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلا يستطيع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث
الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون
الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم
ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله

وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم به في اصل الدين او يخيل اليهم ان الله
تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع
في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة
عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما
لانفسهم وظنونهم واحرصهم على السؤال من العلماء قالت عايشة رضي الله عنها ان
الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تعالى فيقول من خلق الله فاذا وجد
احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسله فان ذلك يذهب عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
لم يامر بعلاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلما
وانما حق العوام ان يومنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم وبمعايشهم ويتركوا العلم الى
العلماء فالعامي لو زنا او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من
غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر
وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر له
وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن في المسلمين ولذلك قال
تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه
الشيطان الى ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانا
في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل
ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان
النبي صلى الله عليه وسلم لتحترز منه روي عن علي بن حسين ان صفية بنت حيي
اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما
امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما
فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا قال ان الشيطان
يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما كيف م
فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم
الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن بي الا الخير اعجابا منه بنفسه
فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس اليه كلهم بعين واحدة بل بعين
الرضا وبعين السخط بعضهم وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين
السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن عين السوء وعن تهمة الاشرار فان
الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسي الظن بالناس
طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى

غيره

غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر
في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصا جميعه لم
اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح
للشيطان ومدخل من مداخله **فان قلت** فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله
وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير
القلب عن هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب
بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي
نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيا
زات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله لان حقيقة الذكر
لا يمكن
في القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون
الذكر حديث النفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك
قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص ذلك
بالمتقين ومثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم
وخبز ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم
وهو جائع هجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان
ينزجر عنه بمجرد الذكر **فاما** الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر
الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب **فاما**
قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا للشهوات
بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك **قوله**
تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الآيات والاخبار الواردة في
الذكر **وقال** ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين
دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول شعث عاري فقال شيطان الكافر
لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى
فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا قال الشيطان
اشاركه
الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان
محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح **اللهم** انك سلطت علينا عدوا
بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم **اللهم** فايسه
منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه
كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق

للمسجد فقال يا ابن واسع هل عرفتني قال ومن انت قال انا ابليس قال لهوما تريد قال
اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع الان
ما شئت وعن عبد الرحمن ابن الحلبي قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
بيده شمعة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل
عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن
الليل وطوارق الليل الا طارق يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شمعته وخر
على وجهه وقال الحسن انبئت ان جبرئيل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي وقال
صلى الله عليه وسلم اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي
بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان صلى
صلى الله عليه وسلم اصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سلك
عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان
وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع عنك الشيطان بمجرد الذكر كما
اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة
مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه كما ينفع الذي شربه بعد الاحتماء
وتخليه المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء يخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل
الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء
في معدة خالية من الاطعمة قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال
تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان
بعمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا
بان الذكر يطرد الشيطان ولم يفهم ان كثرة عمومات الشرع مخصوصة بشروط
يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك
وصلوتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف تتجاذبه الشياطين في الاسواق
وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها
حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا تزدحم الشياطين
على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك للقلوب فيها تظهر مساويها ومحاسنها
والصلوة لا تقبل القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان
بل يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت

الخلاص

الخلاص من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر وقد فر الشيطان
منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن
بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال
ادعوني استجب لكم وانت تدعوا ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان
منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعوا فلا يستجاب
لنا وقد قال ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها
قال ثمان خصال عرفتم الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده
وقلتم نحب رسول الله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقد قال الله تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار
فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم
وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم
فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم
انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال
عن صفته كما يقال البقل ولا تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار
وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطان يخصه
ويدعوا اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه
وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد
الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل
واحد منهم على شي من امره فذكر ثبور والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما
ثبور فهو صاحب المصايب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود
ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما
مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل الرجل الى اهله يريه العيب فيهم
ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون ملتطين
وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد في ذلك اخبار
كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملايكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر
في كثرة الملايكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم
يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل

الذباب في اليوم الصائف وما لو ابدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فا
عرفاه ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس
بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشوان معهم فقال
جابر بن عبد الله ان آدم صلى الله عليه وسلم لما هبط قال يا رب ان هذا العبد
الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعنيّ عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد
الا وكل به ملك قال يا رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح
قال ابليس رب هذا العبد اكرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد
الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذ من صدورهم بيوتا
قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال ورجلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب
وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوى وصنف عليهم الحساب والعقاب
وخلق الله عز وجل الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني
ادم وارواحهم ارواح الشياطين وظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهب بن الورد صنف في
بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا وقال انصحك قال لا اريد ولكن اخبرني عن بني ادم
قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه
حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء
ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن
منه في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة كرة في ايدي صبيانكم فنقلبهم
كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر
منهم على شيء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا
راى صورته فهي صورته الحقيقة او هو مثال يتمثل به وان كان صورته الحقيقة
فكيف يرى بصورة مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين
حتى يراه شخصين بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما
صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا
بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبرئيل في صورته الا مرتين وهو
انه عليه السلام ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحري فطلع له جبرائيل
فسد الافق الى المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى
وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان

رجلة

حسن العج

رجلاً والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل
الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه ويقوم ذلك مقام حقيقة صورته
كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشفة في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة
لا يمنعه اشتغال بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره
في النوم كما روي عمر بن عبد العزيز ان رجلاً سال ربه ان يريه الشيطان من قلب
ابن آدم فراى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان
في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنسه و
مثل هذا قد يشاهده بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين كلباً جاثماً على جيفة
يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقة
فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقته من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند
ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل
بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي
ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا
يكون الا صورة متخيلة لان عالم الغيب الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال
تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا يكون صورة على وفق
بالمعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم
الشهادة عالم كثير التلبيس واما الصورة التي تحصل في الخيال عن اشراق عالم الملكوت
على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكيا للصفة وموافقا له لان الصورة في عالم الملكوت
تابع للصفة فلا جرم لا ترى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فترى الشيطان في صورة
كلب وضفدع وخنزير وغيره وترى الملك في صورة جميلة تكون تلك الصورة
عنوان المعاني ومحاكيا لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على
انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع انواع التعبير
وهذا له اسرار عجيبة وهي من عجايب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما
المقصود بان يصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق
التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية
للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد
بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنايم بيان ما يواخذ به العبد من وساوس
القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يواخذ به
اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وايات متعارضة لا يتيسر طريق

في صورة صح

الجمع بينهما الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل
على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعماية ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها
لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ اخر ومن تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها
له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المواخذة فقوله سبحانه وتعالى
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال سبحانه ولا تقف ما ليس لك به
علم ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسيولا فدل على ان عمل الفواد كعمل
السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال
لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة
عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلب من مبدا ظهورها الى ان
يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة
امراة وانها ورآء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى
النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهو يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع
ونسمي الاول حديث النفس الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي
ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف
فانه قد يمنعه حيا او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل
وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والمثل الرابع
وهو تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية
وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر
الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة
فاذا انجزمت الارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك
العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عايق
فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر
وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يواخذ
به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان
تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها

فاكتبوها وان تركها لاجلي فاكتبوها حسنة

حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تحسن في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل واما العزم و
الهم لا يسمى حديث نفس بل حديث كما روي عن عثمان ابن مظعون حيث قال
يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي
تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصا امتي دوب الصيام قال نفسي تحدثني ان
اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمني فهذه
الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث ولذلك شاور رسول الله عليه وسلم
اذا لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه
ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري
منه يواخذ به والاضطراري لا يواخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يواخذ
به الا انه ان لم يعمل نظر فان تركها خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة
لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل
على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع محتاج الى قوة عظيمة
فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله بموافقة الطبع اشد من جده في موافقة
الشيطان فكتبت له حسنة لانه يترجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالعمل
فان تعذر الفعل بعايق او تركه لعذر لا لخوف من الله كتبت عليه سيئة فان همه
فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح منصله في لفظ
الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة يا رب ذاك عبدك
يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها
وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها اراد بها
تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه لسبب او بغفلة فكيف تكتب
له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات
مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل
والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل
صاحبه وهذا نص انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن
ان الله لا يواخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مواخذ
ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت
حسنة فاما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس

ان اترهب فقال لا تفعل فان رهبانية امتي الجلوس في المساجد

في كل يوم

النظر

وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمواخذة به تكليف بما لا يطاق ولذلك
لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جا ناس من الصحابة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله كلفنا ما لا نطيق ان احدنا يحدث نفسه
بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم
تقولون كما قالت بنو اسرايل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج
بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع
من اعمال القلب هو الذي لا يواخذ به فهذا هو كشف الغطا عن هذا الالتباس وكل
من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة
فلا بد وان يغلط وكيف لا يواخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد
وجملة الخبايث من اعماله بل السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسيولا اي ما يدخل
تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يواخذ به فان اتبعه نظرة
ثانية كان مواخذا بها لانه مختار وهكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب
اولى بمواخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا واشار الى القلب
ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم وقال الاثم حواز
القلب وقال البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا
حكم قلب المفتي بايجاب شي وكان مخطيا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر
فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثوابا بفعله وان ترك ثم تذكر كان
معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت
اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك نظرا الى القلب
دون الجوارح **بيان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر
ام لا** اعلم ان العلما المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في
هذه المسالة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله لانه صلى
الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكانه يسكت وقال
فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا
بالذكر محجوبا عن التاثر بالوسوسة كان كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان
كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ولكن
تسقط غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد على ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر
في لحظة وينعدم الذكر به في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة فيظن لتقاربهما
انها متساوية وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة اذا ادير بسرعة رايت النقط

دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة
مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام
لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب
قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله
اربعة اعين في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى   عينان م
هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها
قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوسواس
واخبر عنه والوسواس ثلاثة اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان
الشياطين قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل
والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه
وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما
فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب
اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية
لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه ولذلك
يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبد الله كما تعبده
فما اعظم مكانك عند الله فيذكر العبد ان معرفته وقدرته (وقلبه) واعضاءه التي بها
علمه وعمله من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول   كل ذلك
ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان تدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية
عن العارفين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه
بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه
بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن
التهييج فان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون
الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون
وسواسه بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل
على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة
ويتصور ان يتساويا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك
الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الخنس بالكلية
بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ركعتين لم يحدث فيهما نفسه (بشيء) من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور

لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى
المستوعب القلب بعدو يتاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث
لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان
كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من
خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا
تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجه
ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد و
لكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد وهو محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس
الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني
عن الصلوة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه
ونظرة اليكم فكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب و
طراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع
وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالروح والمفارقة فما دام يملك شيئا ورا
حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره
انه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد او كيف
يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع
في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه
ومحال فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب
قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه
النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام
فان ابى شككه في وضوءه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال
البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده
تشتد الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة بيان
سرعة تقلب القلب وانقسامه في التغير والثبات اعلم ان القلب كما
ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي
وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء فاثر به
اصابه من جانب اخر ما يضاده فيغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى
التفت القلب اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه الى الخير
ملك
الى الشر جذبه شيطان اخر
جذبه
فنزل الهم ملكه في دفعه

جميع

جذبه اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك
وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افيدتهم وابصارهم
ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجايب القلب وتقلبها
كان يحلف بها فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالوا اوتخاف يا رسول الله قال وما يومنني والقلب بين اصبعين
من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء وفي لفظ اخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان
شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة
امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة ومثل القلب في تقلبه
مثل القدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاه يقلبها الرياح
ظهرا لبطن وهذه التقلبات صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدى اليه ولا يعرفه
الا المراقبون لقلوبهم والمراعون احوالهم مع الله والقلوب في الثبات على الخير والشر
والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبايث الاخلاق
تنقدح فيه خواطر الخير من خزاين الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر
فيما خطر ليعرف دقايق الخير فيه ويطلع على اسرار فوايده فينكشف له بنور البصيرة وجهه
فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعوا الى العمل به فينظر الملك الى القلب
فيجده طيبا في جوهره طاهرا مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه
صالحا لان يكون مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات
اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب
في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى
لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلما
ولا يخفى على هذا النور خافيه ولا يروج عليه شي من مكايد الشيطان بل يقف
عليه الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته
من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف
والرجا والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير
ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمين المراد بقوله الا بذكر
الله تطمين القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمينة القلب الثاني القلب المخذول
المشحون بالهوى المدنس بالخبايث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب
الشياطين المسدود عليه ابواب الملايكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر

وعجايب صح

بتقواه

من الهوى ويتجسس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي فيه ويستكشف وجه الصواب فيه
فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى
فيسلم الى هوى النفس ويساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس
جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى
فيقبل عليه بالتزين والغرور والاماني فيوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف
سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين اذ يتصاعد من الهوى دخان
مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان
اجفانها فلا يقدر ان ينظر وهكذا تفعل عليه الشهوات بالقلب حتى لا يبقى للقلب مكان غلبة
للتوفيق والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع
وهاجت الشهوة ونشط الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى شدته
عالم الشهادة من خزاين الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة ارايت
من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وكقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون
وبقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ورب قلب هذا حاله ودونه بعض
بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن
بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط
مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة
للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استفز او ذكر
عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل
يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد
دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفي فيه انوار البصيرة فينطفي نور الحيا والمروة
والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب يبتدا فيه خاطر
الهوى فيدعوا الى الشر فلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس
بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة ويحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل
الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة و
السبع في تهجمها على الشر وقلت اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان
حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذي
نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا
لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان

اتريد

انه يريد ان يوليه منصبك على فلان وفلان وقد فعل مثل ما اشتهيت ولم تتبع المرتبة العالم الفلاني
ليس يتحرز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه
فيحمل الملك حمله على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة
افيقنع بلذة يسيرة ويترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام يستثقل الم الصبر عن شهوته
ولا يستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان
مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم
في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف
الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار **فعند** ذلك تميل النفس الى قول
الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب من هو اولى
به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها
غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله واوليايه
وساعد لحزب الشيطان واعدايه وجرا على جوارحه سابق القدر ما هو سبب بعده
عن الله وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشياطين
وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه للآجلة بل مال الى حزب الله وظهرت الطاعة بموجب
ما سبق من القضاء على جوارحه **وقلب المؤمن** بين اصبعين من اصابع الرحمن اي
بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب **اما**
الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه
الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة
القلب فانه من خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب
سابق القضا فمن خلق للجنة يسر له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسر له
اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه
بانواع الحكمة يغتر الحمقا **بقوله** ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون
من الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا ويمنيهم يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه
الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل
ذلك بقضا ازليته وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما ان ينصركم الله فلا غالب
لكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة

وان يخذلكم

وخلق النار وخلق لها اهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل
الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هولاء في النار ولا
ابالي وهولاء في الجنة ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فلنقتصر الان على هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلب
فان استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه
لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي
بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقايق الاسباب وفيما
ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى آخر
كتاب عجايب القلب تتلوه كتاب رياضة النفس
من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين
قد وقع فراغ منه كاتبه العبد
الضعيف المعترف بالذنب والتقصير
مصطفى ابن عبد الله غفر الله
له ولمن احسن اليه ولمن نظر
فيه ودعا له بالمغفرة
ولجميع المسلمين
والمسلمات والمومنين والمومنات
برحمتك يا ارحم
الراحمين

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة امراض القلب هي من الثاني
كتاب احياء علوم الدين

من وثق بالله اغناه عن الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره ⁖ وعدل في تركيب الخلق فاحسن في تصويره ⁖ وزين
صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره ⁖ وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره ⁖
وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره ⁖ واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره ⁖
وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره ⁖ وامتن عليهم بتسهيل عسيره ⁖
والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وخليله ⁖ وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره ⁖ الذي
كان يلوح نورة النبوة من اساريره ويستنشق حقيقة الحق من مخايله وتاثيره ⁖ وعلى اله
واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره ⁖ وحسموا مادة الباطل
فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره **اما بعد** فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين
وافضل اعمال الصديقين ⁖ وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة
المتعبدين ⁖ والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات ⁖ الدامغة والمخازي
الفاضحة والرذايل الواضحة والخبائث المبعده من جوار رب العالمين ⁖ المنخرطة بصاحبها
في سلك الشيطان اللعين ⁖ وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى
نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه
مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت
عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حياة فانية
فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا
النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت
تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها

ثم الى التشمر في معالجتها واصلاحها فمعالجتها ما هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها و
اهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض
القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض
فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الا
خلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب
من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن
الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال
حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان
العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطريق الذي يعرف الانسان به عيوب
نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم
بيان علامات حسن الخلق في اول النشو ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول
النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد الكتاب
ان شاء الله تعالى **بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق** قال الله سبحانه
وتعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم **وقالت**
عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران قوله عز وجل خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين **ثم قال** صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك و
تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك **وقال** صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن
الاخلاق **وقال** صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق وجاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين
قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل
شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين
فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال
سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال اتق الله حيث
كنت قال زدني قال اتبع السيية الحسنة تمحها قال زدني قال خالط الناس بخلق ابنع م
حسن وسيل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال صلى الله
عليه وسلم ما حسن الله خلق احد وخلقه فيطعمه النار **وقال الفضيل** قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي
سيية الخلق تؤذي جيرانها بلسانها فقال لا خير فيها هي من اهل النار **وقال** ابو الدردا تودي م
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان الخلق

الحسن والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بالسخاء وحسن الخلق
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخص هذا الدين لنفسه
ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم
ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم
فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد
الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس وجها احسنهم خلقا وعن ابن مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يكثر الدعا اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسنه
خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسئلون النبي صلى الله
عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق قال صلى الله عليه وسلم
ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا
يعتدن بشي من عمله تقوى تحجزه عن معصية الله او حلم يكف به السفيه او خلق
يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق انه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بن مالك بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس
الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم الايمان
اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق
وعن انس قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة تكون لها زوجان في الدنيا فتموت
ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام
حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم
ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية ليدرك درجة
الظمان في الهواجر وقال عبد الرحمن ابن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
قال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين
الله عز وجل حجاب فجا حسن خلقه فادخله على الله قال انس قال صلى الله عليه
وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف

العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء
قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن
الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر ما يضحكك اضحك الله
سنك بابي وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهولاء
النسوة كن عندي الان سمعوا صوتك تبادرن الحجاب قال عمر فانت كنت احق ان يهبن
يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك
الشيطان قط سالكا فجا الا سلك غيره وقال عليه السلام سوء الخلق ذنب لا يغفر
وسوء الظن خطيئة تبرح وقال عليه السلام ان الانسان ليبلغ بسوء خلقه
اسفل درك جهنم الاثار قال ابن لقمان الحكيم لابيه اي الخصال في الانسان خير
قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال المال والدين قال فاذا كانت ثلاثا
قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق
قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت
ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس الخصال فهو تقي نقي لله ولي ومن الشيطان بري
وقال الحسن من سا خلقه عذب نفسه وقال انس ابن مالك ان العبد ليبلغ بحسن
خلقه اعلا درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل دركة جهنم وهو عابد
وقال يحيي ابن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء
الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر
حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق
في سفره فكان يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال ارحم
عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع يرفعن العبد الى اعلى الدرجات
وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال
الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي
الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيي ابن معاذ سوء
الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة
السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم
قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس
الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بحسن الخلق ولن ينال الحكماء

وزايلوهم

الا المصطفى

الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله السالكون اثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

ما هو

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته
ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد منهم من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا
العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن
الخلق بسط الوجه وبذل الندا وكف الاذي وقال الواسطي هو لا تخاصم ولا تخاصم وشدة معرفته
بالله وقال شاه الكرماني كف الاذي واحتمال المون وقال ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم — بعضهم هو
غريبا وقال الواسطي هو ارضا الخلق في السرآء والضرآء وقال ابو عمر هو الرضا عن الله وسئل حسن — سهل عن ه
الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقال مرة ان لا تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا
تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه
حسن الخلق في ثلاثة اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال الحسين بن منصور — ابو سعيد م
هو ان لا يوثر فيك جفا الخلق بعد مطالعتك الحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك همة غير الله
فهذا وامثاله كثير وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف
الغطا عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا
يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركه
بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من
الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله والمراد
بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة النفس راسخة تصدر عنها الافعال
بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة
المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت
الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على
الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا
ان يصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب
بجهد وروية وروية لا يقال خلقه السخا والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح

بهما

والثاني القدرة عليهما والثالث للمعرفة والرابع هيئة النفس بها يميل الى احد الجانبين ويتيسر
عليها احد الامرين اما الحسن او القبح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخا ولا يبذل
اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لريا وليس عبارة عن القوة
لان نسبة القوة الى الامساك والاعطا بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطا
والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخا وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق
بالجميل جميعًا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئات التي بها تستعد النفس والقبيح م
لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذًا عبارة عن هياة النفس وصورتها الباطنة وكما
ان حسن الصورة الظاهرة مطلقًا لا يتم بحسن العينين دون الفم والانف والخد بل لا بد من حسن
الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن
الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم
وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها
وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها ادراك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل
في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة و
الحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرًا كثيرًا واما قوة الغضب الحكمة م
فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها
وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل
فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير
وقوة العدل هي المقدرة ومنزلته منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي ينفذ
فيه الاشارة مثله مثل كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة
لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون
مروضًا مؤدبًا وتارة يكون جموحًا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق
مطلقًا ومن اعتدلت فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى
خاصة كالذي يحسن بعض اجزا وجهه دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى
خاصة كالذي يحسن بعض اجزا وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها
بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال
الى طرف الزيادة سمي تهورًا وان مال الى الضعف والنقصان سمي جبنًا وخورًا وان مالت
قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرهًا وان مالت الى النقصان سمي خمودًا والمحمود هو الوسط وهو
الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان
بل له ضد واحد وهو الجور اما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة جنا وجربزة

ويسمى

تفريطها بلبها

ويسمى طرفيها تلثلها والوسط هو الذي يخص باسم الحكمة فامهات الاخلاق واصولها اربعة
الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة العقل بها يدرك الصواب من الخطا في
جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة النفس وقوة بها يوسس الغضب والشهوة
ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة
كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة
بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من
اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن
والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا افات النفوس ومن افراطه تصدر الجربزة والمكر
والخداع والدهاء ومن تفريطه يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة
قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق
بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون
اصل ايثاره واختياره له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار
مالا ينبغي ان يكون فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه
الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد
وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ و
الخساسة وصغر النفس والانقباض الاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطه
فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق
الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط
فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة والمجانة
والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات
محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها
ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون
في القرب والبعد فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا
يرجع الخلق كلهم اليه يقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق
كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من
الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي
ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن
الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين وقال انما

النفس

شيء

والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع والطلاقة

آية نجم

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
أولئك هم الصادقون والإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل و
المجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال
وقد وصف الله الصحابة بذلك فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم إشارة إلى أن للشدة موضعا
وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق
وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم أن بعض من غلبت عليه البطالة استثقل الرياضة والمجاهدة والاشتغال بتزكية النفس
وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم
أن الأخلاق لا يتصور تغييرها وأن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما أن
الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فا
لطويل لا يمكنه أن يجعل نفسه قصيرا ولا يقدر القصير يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين
صورته فكذلك القبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب
والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع وأنه
قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو
قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الأخلاق
لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل الصيد من
التوحش إلى الأنس والكلب من الأكل إلى التأدب والفرس من الجماح إلى السلاسة وذلك تغيير
للأخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل لاختيار
الآدمي في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء
الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجودا ناقصا
وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فإن النواة
ليس بتفاح ولا نخل إلا أنه خلق خلقة يمكن أن يصير نخلا إن انضاف إليه التربية ولا يصير
تفاحا أصلا ولا بالتربية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال
دون بعض فكذلك الغضب والشهوة ولو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم
نقدر عليهما أصلا ولو أردنا إسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وأمرنا
بهذا وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة

القبول

منتهى الحكمة ما

كل م

القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة
وامتداد مدة الوجود فان قوة الغضب والشهوة وانما التكبر موجود في الانسان لكن
اصعبها امرا واعصاها على التغير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبد
الفطرة يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة
التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له واعتقاد كونه
حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاول هو الانسان المغفل الذي لا يميز بين
الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته
ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم مرشد
والى باعث في نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني ان يكون قد عرف
قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته و
اعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من
الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخر
ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض
لها بجد وتشمير وحزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة
وانه حق وجميل وتربى عليه فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور
وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابع ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد
وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن
ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب
والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق
والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو قولهم وهو ان الادمي مهما دام
حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا
غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة هو قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها
وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام
لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية
لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال
الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية
بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب
حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه
قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار رحماء

عليه اذ صح

بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار
وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم ينفكوا عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه
فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى   الحق م
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث
لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو   الغضب
المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها
عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة
والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها والذي يدل على ان المطلوب هو الوسط في
الاخلاق دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد
اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال   على قدر / اذا انفقوا م
تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة
الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها
ولهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال
الله الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط
القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على امساكه
ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص
على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا
واذ لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو
الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخا   فانه م
بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك
سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور مذموم فهذا هو المطلوب وهو ممكن حتى انه
يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا والامساك للمال راسا ولا يرخص
في شيء منه لانه لو رخص في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه
القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا القدر المقصود فلا
يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وامساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة

وكونها مطيعة

وكونها مطيعتين للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وفطرة وكمال
نظري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب
بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير تعلم عالما وبغير تأديب متأدبا
كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون
في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة سخيا جريا
وربما يحصل بالعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بهما
حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق
الجود فطريقه ان يكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا
نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل
لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة
وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع
الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا عنده
فالسخي هو الذي يستلذ ببذل المال دون الذي يبذله على كراهية والمتواضع هو الذي
يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة
ولم يترك جميع العادات السيئة ولم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة
ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو لاجل
نقصان ولا ينال كمال السعادة نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه
لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة وعسى ان تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل
السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمن دون زمن بل ينبغي
ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس
ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد
اثرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان يقلع عن النفس حب الدنيا
ويرسخ فيه حب الله فلا يكون شيء احب اليه من الله من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا
على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه
الذي يوصله اليه وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك
فرحانا به ومستلذا فلا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة

وربما خلق جماعة مخصوصين
بالشعور في الفطرة التخلقين
بهذه الاخلاق صح

الا على النفاسة وقال صلى الله
عليه وسلم اعبد الله على الرضا
فان لم تستطع ففي الصبر صح

اعجب

فان العادة تقتضي في النفس عجايب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة
ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح
الناس بغير القمار وربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به
وذلك لطول الفه وصرفه اليه نفسه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره
في حر الشمس قايما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركتها وتحليقها في جو السماء
بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم
به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك ويرى ذلك فخرا لنفسه
حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار
ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيه
من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث
في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخاره
بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر
والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط
واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت
النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبايح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة
والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي
الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب
الله ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب وهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني
وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذا القلب الحكمة والمعرفة
وحب الله ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام
والشراب وهما سبب حيوتها وكل قلب مال الى حب شي سوى حب الله فلا ينفك عن مرض
بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشي لكونه معينا له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك
لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها
بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتدا لتصير طبعا انتها وهذا من عجيب
العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض
اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع
منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق
في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة
اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط

الحسن

الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر
طبعا كما كان يصدر منه في الابتدا تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي يجعل خطه حسنا ولكن
الاول بتكلف الا انه ارتفع منه الى النفس ثم انحط من النفس الى الجارحة فصار يكتب
الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو
التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير
سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة
طبعا ولا علاج له الا ذلك ثم كما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا
ينالها بتكرار ليلة فكذلك تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة
يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة
ولكن العطلة في يوم واحد يدعو الى مثلها ثم يتداعا قليلا قليلا حتى يانس النفس بالكسل
وتهجر التحصيل راسا فتفوته فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض
حتى تفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره
في تفقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة
فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن
لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها ما ثورة وانما اجتمعت الجملة
من الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي ولها لا محالة ثواب لان
الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا
على التوالي يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر
المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب
على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل
الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله
تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه الايمان
يبدو في القلب نكتة بيضا كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد
الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سودا كلما ازداد النفاق ازداد
ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة
تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب
الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرنا الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع
الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا و
تعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له الاقران السوء فتعلم منهم
وتيسر له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله وبين الرتبتين من

طالب

اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته
فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال في الاخلاق سقم ومرض
فيه كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحته والميل عن الاعتدال المرض فيه فلنتخذ البدن
مثالاً فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل
والاخلاق الجميلة لها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه فكما ان الغالب
على اصل المزاج الاعتدال وانما يعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال
فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيحاً على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
اي بالتعود والتعلم تكسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وانما يكمل بالتربية
والتهذيب للاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحاً فشان الطبيب تمهيد
القانون الحافظ للصحة وان كان مريضاً فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان
كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان يسعى لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد
قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي ان يسعى
لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان
كان من حرارة فالبرودة وان كانت من برودة فالحرارة فكذلك الرذيلة التي
هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض
الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء
وشدة احتمال مرارة الصبر عن الشهوات لصلاح الابدان المريضة فلا بد من احتمال
مرارة المجاهدة بالصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه
بالموت ومرض القلب والعياذ بالله يحصل منه عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد
وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف
ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد من عيار يعرف
به قدر النافع منه فان لم يحفظ عياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي تعالج به
الاخلاق لا بد له من عيار وكما ان عيار الدواء مأخوذ من العلة حتى ان الطبيب لا يعالج
ما لم يعرف العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة ام قوية
فاذا عرف ذلك التفت بعده الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسائر

عيار هم

احوال

احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب
المسترشدين ينبغي لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص
ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم فكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم
وكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي
ان ينظر في مرض المريد في حاله وسنه ومزاجه وما يحتمله بنيته من الرياضة ويبني
عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلوة
وظواهر العبادات وان كان مشغولا بالحرام او مقارفا المعصية فيامره اولا بتركها فاذا
تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال
الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه
منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونة والكبر وعزة
النفس غالبة عليه فيامره ان يخرج الى السوق والكدية والسوال فان عزة النفس والرياسة
لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر
كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان راى الغالب عليه
النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مائلا اليه فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه
في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى
تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون
المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين
نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله
فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه
فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك
الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان تنقل من
الخلق المذموم الى مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول
بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان
ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك بالترغيب
في الاخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف منه وكذلك
سائر الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام
ثم كلفه ان يهيئ الاطعمة النفيسة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى تقوى به نفسه
فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راى شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز
عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على

الظاهرة صح
ثم الاهم

ومواضع صح

اطعام بدل

الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه
وتنكسر شهوته ولا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه
الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويامره بخدمة من ساء
خلقه وراغمه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه
الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب وكان يستاجر على من يشتمه على ملا من الناس
ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل
وكان بعضهم يستشعر من نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه
خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند
يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول ليله على هيئة واحدة وبعض الشيوخ في
ابتدا ارادته كان تكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل
لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه
في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود وريا البذل فهذه الامثلة تعرفك
طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دوا كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب
وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه
النفس وتميل اليه وقد جمع الله جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم
على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر
نفسه ويستمر فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض
عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المراقبة
واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد به الرياضة بالكلية

بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة

وكما ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله
الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد
ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب ان
يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله
ومعرفته وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع

الاعضاء والشهوات على الوصول اليه قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما تميز به
عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشيا على
ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله فلو عرف كل
شي ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة
المحبة الا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله فتربصوا فمن عنده شي احب اليه من الله
فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها
عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه المرض فبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء
الله الا ان في الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل
عنه وان عمله صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نوع
الروح وان وجد في نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطبا هم
العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت لعلاجه فلهذا صار الداء
عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل
الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراياه فهذه علامة
اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي
يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه المهلك المبعد من الله وانما علاجه ببذل المال
لكنه قد يبذر مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة
حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب
الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين
فاذا اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان
كان اسهل عليك والذي يضاده فالغالب عليه ذلك الخلق الموجب له مثل
ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان
الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على المستحق
الذ عندك واخف من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على
الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسرها
حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك
كالماء فلا تطلب منه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح
عندك البذل على الامساك فكل انسان صار كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا

(ولا الامساك على البذل)

المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر العلائق حتى لا يكون له علاقة شيء مما يتعلق
بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة
الى اشيائها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة
عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما
كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا
جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما
ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا
بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل
البرق قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا الذين
قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في
كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى
بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة
هود فلم قلت ذلك قال لقوله فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية واخواتها
الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة وان لم يقدر على حقيقة
الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد ولا تصدر الاعمال الصالحة
كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق التي بها يعرف عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره عيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه
عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون
القذى في اعين غيرهم ولا يرون الجذع في اعينهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة
طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات ويحكمه على نفسه
ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه
شيخه واستاذه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان
الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله
فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان بعض
الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وكان
يسال سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح

عليه

عليه فقال لي سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة وان لك حلتين حلة بالليل وحلة
بالنهار فقال وهل بلغك غير هذا فقال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول
انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيا من اثار النفاق
فهو على جلالة قدره وعلو منصبه كذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى
منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء
من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على القدر الواجب فلا
تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن
يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل
له لم لا تخالط الناس قال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كان شهوة ذوي
الدين ان ينبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا الى ابغض الخلق الينا
من ينصحنا ويعرفنا بعيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق
السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبها ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة
وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم المها
يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت
ابدا او الافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بمقالة
الناصح بمثله ونقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع
بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك
ضعف الايمان فنسال الله ان يعرفنا رشدنا ويعرفنا بعيوب انفسنا ويشغلنا
بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الطريق الثالث**
ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدايه فان عين السخط تبدي المساوي
ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق
مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو
وحمله على ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدايه فان
مساويه لا بد وان تنتشر على لسانهم **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكلما
يراه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن
مراة المومن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في
اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن اصله او
عن اعظم منه او عن شي منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره
وناهيك بهذا تاديبا ولو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا

تشتغل بازالتها

الاخر بل

عن المؤدب قيل لعيسى ابن مريم عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل
فجانبته وهذا كله من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين
فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد
الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب

بترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الا
عتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين
وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن
يستحق التقليد فان الايمان درجة كما ان العلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه
قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة
الشهوات هو الطريق الى الله ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع
على ما ذكرناه من اغوار الشهوات فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي
يقتضي الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله و
نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس
شدايد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه
فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود
عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات
الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعد غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم
من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس
وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواك في معصية الله
اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله ويستر وقال

جميل نجم

التصديق و

وقال المجاهد من جاهد نفسه في الله صح

سفيان

تجهدين بدل

سيما هو ما عالجت شيئاً اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول
يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في الاخرة مع العباد تجتهدين كأني
بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح
باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى ابن معاذ الرازي جاهد النفس
باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام
والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات
ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال
الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شي اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى
فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام
جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول
وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم بالانتقام فتامن من بوايقها في ساير الايام وتصفيها
من ظلمة شهواتها فتنجوا من غوايل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية
خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضاً اعدا الانسان ثلاثة دنياه
وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس
بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيراً في حب
شهواتها محصوراً في سجن هواها ومنعت قلبه الفوايد وقال جعفر بن حميد اجتمعت
العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من
ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب ما زيد على الخبز
فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من اراد شهوة الدنيا فليتهيا للذل ويروى ان امراة

الحرص

العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة
صير الملوك عبيداً وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكاً قال يوسف عليه السلام
قال الله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت
ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجد فاردت المنام فلم اقدر
فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا برجل ملتف في عباة مطروح على الطريق
فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي عن غير موعد فقال بلى سالت
محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير دا النفس
دواها فقال اذا خالفت هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع
مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد فال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام

على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم
قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من
اشتاق الى الجنة لهى عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق
فاذا راى الشي تشتهيه قال للنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن
قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى و
مخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما على تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا
يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشي مما لا يوجد
معها في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل
ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشي منه انس به والفه واذا مات
تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة بحال ولا
خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه وينقص
في الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب
منه والناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات
المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهى الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات
مدة مديدة والثاني رجل استغرق حب الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث
حديث النفس بذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا
والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها
سريعا بقدر غلبة ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب
على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه
وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القايل ان التنعم
بالمباح مباح فكيف يكون سبب التبعد من الله فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس
كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسياتي ذلك في ذم الدنيا
وقد قال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته واخذت منه واحدة
فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد
اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني
قال من عرف الله لا يخفى عليه شي فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك
عن هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك عن شهوة الرمان فان
لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد الانسان المه في الدنيا
فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في

الا حيث

فيذبل فيما اطمعها فاذن لا يمكن اصلاح القلوب لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس من التنعم
بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ
لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى
تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما
اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر
الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد
وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم تتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوة
غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذا آفة اعظم من هذه وهو ان تيسري
النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن لها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة
كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل في العروق فيخرج من القلب
الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو القلب قال تعالى وفرحوا بالحيوة موت صح
الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة لعب ولهو الاية
فاولو العزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها
قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها
لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب
البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها
وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب ومن نوقش الحساب في عرصات القيمة
فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والاخرة
بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله والاشتغال بطاعته وفعلوا بها
ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توحشه ونفرته الى الانقياد والتادب
فانه يحبس اولا في بيت فيخاط عيناه حتى يحصل له الفطام عن الطيران في جو الهوى
وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه
ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها
ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات
ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن
الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في
النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة
فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم
اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر

وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير طبعا فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر
الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتدا تنفر عن السرج واللجام
والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الاسترسال الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا
ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تودب النفس كما تودب
الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل
بكل ما تزايله بالموت فيقال لها احبب ما احببت فانك مفارقته فاذا علمت انه من احب
شيا يلزمه فراقه فيشق لا محالة فراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله فان ذلك
يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلايل فالعمر قليل بالاضافة الى
مدة حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيره شهرا
ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من شهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من
الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان
تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فا
لذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضا والولاية او بكثرة الاتباع
في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شي من ذلك
وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة
الدنيا واطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل
الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما
يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا
ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد اخر الا الموت
والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك
فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن
المجاهدة فلا بد من ايضاح حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو
النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المومنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن
الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم به حسن الخلق فقد قال تعالى قد افلح المومنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال تعالى التايبون
العابدون الى قوله وبشر المومنين وقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقا وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون

على الارض

على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى اخر السورة ومن اشكل عليه حاله
فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد
جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض
فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنين
بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المومن يحب لاخيه ما يحب
لنفسه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المومنين هي حسن الخلق فقال
اكمل المومنين احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل صموتا وقورا فادنوا
منه فانه يلقى الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن وقال لا يحل
لمومن ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان
بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن
الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير
العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا
عفيفا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا
هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا
هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق
فقال المومن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام و
الشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول
بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمومن
امن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمومن يقدم ماله
دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة
والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع
ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة
فيفسد واول ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من
سوء خلق غيره دل على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا
شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد
هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك

وقال صح

كثير صح

دون دينه والمنافق يقدم دينه صح

ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش اذاه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
فلذلك قال الله وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابراهيم بن ادهم انه خرج الى بعض
البوادي فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد قال نعم قال اين العمران فاشار
الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضربه راسه بالسوط فشجه
شجه شجة موضحة ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي
الخبر فقالوا هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل
يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد قال لانه لم يسالني عبد من انت بل قال انت
عبد قلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله له الجنة فقيل له انه ظلمك
فكيف سالت الله له الجنة فقال علمت انني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه
الخير ونصيبه مني الشر وروي عن ابي عثمان الحيري انه دعي الى دعوة وكان الداعي
يريد تجربته فلما بلغ المنزل قال ليس لي حاجة هذا فرجع ابو عثمان فلما ذهب
غير بعيد جاء ثانيا قال له ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته فرجع
الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاء الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان
لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذي
رايت مني هو خلق الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان
اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه
ودابته ولم يقل شيئا فقيل له الا زجرتهم قال ان من استحق النار فصولح على الرماد
لم يجز له ان يغضب روي ان علي بن موسى الرضى كان يميل لونه الى السواد
اذ كانت امه سوداء وكان في نيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام
فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فانطبق عليه باب الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه
فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه فراى علي بن موسى الرضا
رضي الله عنه فظن انه بعض خدم الحمام فقال قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى
فامتثل جميع ما امره به فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن
موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سئل عن الحمامي فقيل له انه خاف
مما جرى فهرب فقال لا ينبغي له ان يهرب انما الذنب لمن مارة عند امة سوداء وروي وضع
ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في
الخياطة وكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله
ياخذها ولا يخبره بذلك ولا يرده عليه فقضي من القضاء ان عبد الله قام من الحانوت
لبعض حاجته فتقدم المجوسي الى تلميذه فاسترجع منه ما خاطه ودفع اليه

درهما

درهماً زايفاً فلما نظر فيه التلميذي ردّه عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال
بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة سنة وانا اصابر عليه فآخذ الدرهم
والقاه في البير كي لا يغر به مسلماً وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق
عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو
من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذا والرجوع بالملامة على نفسه
والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير
والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه وسئل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال سهل صح
الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل
للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من خلقه
قال بينما هو جالس في داره اذ جاءته خادمة بسفود عليه شوا فسقط من يدها
فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله
وقيل كان اويس القرني اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان
ولا بد فارموني بالصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة وشتم رجل
الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان بقي في قلبك
شي فقله كي لا يسمع بعض سفها الحي فيجيبوك وروي ان علياً رضي الله عنه دعا
غلاماً فلم يجبه فدعا ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعاً فقال
الم تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت
فقال امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال
يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي
وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس
قد ذللت بالرياضة واعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغل والغش بواطنها فاثمرت
الرضا بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من كره فعل الله ولا يرضا
به فهو غاية سوء الخلق فهولاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن
لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها
حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق
فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان

في اول نشوهم ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واكدها والصبي امانة
عند والديه وقلبه الطاهر نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة جوهرة صح
وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه
وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومودب وان عود
الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي
عليه وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصرفه عن نار
الدنيا فبان يصونه عن نار الاخرة اولى وصيانته بان يودبه ويهذبه ويعلمه
محاسن الاخلاق ويحفظه من القرنا السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الز
ينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي
ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة
تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو في الحلال خير بركة واللبن الحاصل صح
الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما راى
فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحيا
فاذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس الا لاشراق نور
العقل عليه حتى راى بعض الاشياء قبيحة ومخالفة للبعض فصار يستحي
من شي دون شي وهذه هدية من الله اليه وبشارة تدل على اعتدال الا
خلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي
ان يهمل بل ينبغي ان يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه
من الصفات الشره في الطعام فينبغي ان يودب فيه مثل الا ياخذ الطعام
الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل
غيره ولا يحدق النظر الى الطعام والى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام
مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في
بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان

يشبه من يكثر الاكل بالبهايم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح
بين يديه المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالات
به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض
دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النسآء والمخنثين وان
الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم
او ملون فينبغي ان يستنكر ذلك ويذم ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين
عودوا التنعم والترفيه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه صح
فيه فالصبي اذا اهمل في ابتدا نشوه خرج في الكبر ردي الاخلاق كذابا حسودا
سروقا نماما لحوحا ذا فضول ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التادب
ثم ينبغي ان يشغل في المكتب بتعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات
الابرار واحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ عن الاشعار
التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادبا الذين يزعمون ذلك
من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد
ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه
بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك الا في بعض الاحوال
مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر انه
يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفايه
فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان
عاد ثانيا فينبغي ان يعاقب سرا ويعظم الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك
في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه
يهون عليه سماع الملامة وركوب القبايح ويسقط عنه وقع الكلام من
قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه لا يوبخه الا احيانا والام تخوفه
بالاب وتزجره عن القبايح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل
ولا يمنع النوم ليلا يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاوه ولا يستخف ولكن صح
بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي
ان يمنع من كل ما يفعله في خفية لانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا
ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى
لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه
بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشي مما يملكه والداه او بشي

من مطاعمه وملابسه ولو حقّقد ابه ويعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره و
التلطف في الكلام معهم ويمنع انه يفخر من الصبيان بماله وحشمته ان كان
من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في العطاء لا في الاخذ وفي الاخذ لوم وخسة
وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك
من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمته وبالجملة يقبح الى الصبيان
حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات
والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من افة السموم
على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان لا يعود ان يبصق في مجلسه ولا يتمخط
ولا يتثاوب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت
ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك على الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان دليل صح
يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام
ويمنع اليمين راسا صادقا او كاذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع من ان يبتدي
بالكلام ويتعود ان لا يتكلم الا جوابا بقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم
من هو اكبر منه وان يقوم لمن هو فوقه وان يوسع له المكان وان يجلس بين
يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري
على لسانه شي من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب
الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ و
الشغب ولا يستشفع باحد من الصبيان وغيرهم بل يصبر ويذكر ان ذلك داب
الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي
ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب
المكتب والادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى
التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في
الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو
اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم
وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي لا يسامح في ترك
الصلوة والطهارة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس
الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود امور الشرع ويخوف من
السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يعاب على الانسان
فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار

هذه الامور

هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يتقوى الانسان
بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع
نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس
العاقل من تزود من الدنيا الى الاخرة حتى تعظم عند الله درجته وترتفع في
الجنان نعمته فاذا كان هو النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ
واقعا مؤثرا نافعا يثبت فيه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف
ذلك حتى الف الصبي الفحش واللعب والوقاحة وشره الطعام واللباس
والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس
فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق جوهره قابلا للخير
والشر جميعا وان ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
قال سهل التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة
خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف
اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك
به لسانك الله معي الله ناظر الى الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته
فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة
احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال
لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا
والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي
يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك
والمعصية فكنت اخلو فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني اخشى ان يتفرق علي همي
ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب
فحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع فكنت اصوم الدهر وقوتي
من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلاث عشرة سنة
فسالت اهلي ان يبعثوا بي الى البصرة اسال عنها فجئت الى البصرة وسالت عن علمائها
فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة
ابن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع
بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى
لي بدرهم من الشعير الفرق ويطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية

واحدة بخبًا من غير ملح ولا ادام وكان يكفيني في ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان
اطوي ثلاث ليالٍ ثم افطر ليلة ثم خمسًا ثم سبعًا ثم خمسًا وعشرين ليلة وكنت
على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل
كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك الرياضة

اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح
بالضرورة مريدًا حرث الاخرة مشتاقًا اليها سالكًا سبيلها
مستهينًا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق
له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدًا حرث الاخرة
ولا طالبًا للقاء الله فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث
القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول
من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهر الا لفظه فاما حقيقته
فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فان
المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة
عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى
طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها والخلق غا
فلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم
فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء
وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق
ونطق العلماء بالهوى سببًا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب
محجوبًا والدليل مفقودًا والهوى غالبًا والطالب غافلًا امتنع الوصول وتعطلت الطرق
لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة
وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطًا لا بد من تقديمها في بداية الارادة **وله**
معتصم لا بد من التمسك به **وله** حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع
لطريقه **وله** وظايف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق **اما** الشروط
التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان

[illegible]

الخلق

الخلق عن الحق بسبب تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون • والسد بين
المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال
بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما دام له درهم يلتفت اليه
قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه
وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق
وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى
قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان
يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف
له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف
ذلك من المجاهدة لا من المجادلة وان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في
قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتما الى مذهب
معين اصلا **واما** المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من
المظالم وتصميم العزم على ترك العودة وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء
الخصوم وان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار
الدين بالمكاشفة كان تريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة
العرب بعد فان ترجمة غريب القران لا بد من تقديمه ثم الترقي منه الى اسرار معانيه
ولذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم
هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان تطهر وتوضا ورفع الحدث صار
صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان
سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه به
قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك البراري المهلكة بنفسه من غير خفير
فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها
تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط
المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه
امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا في صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان
نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد
مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويمنعه ويعصمه بحصن حصين يدفع
عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحفظ من

كمن صح

بامتثال الاوامر والانزجار عن النواهي
كمن صح

من القواطع وان مقصود المربي اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اما الجوع
فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته
ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق
منه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى صلى الله عليه
وسلم يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا
الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففايدة الجوع
في تنوير القلب ظاهر تشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب
كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف الى الصفاء
الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فتتم به رغبته عن
الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن
والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة
لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة
وقال ابراهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت
فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب
وتدبير امر فينبغي الا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب
الى الكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فلذا
فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففايدتها دفع الشواغل
وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة قذرة
من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل
فيها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء
من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلابد من
ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن
مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكسا او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق
ويشاهد الحضرة الربوبية الا ترى الى نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو
على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن
تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده
بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب
التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب

في قطعها

في قطعها بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلايق التي قطعها في
اول الارادة واثارها اعني اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق
والتشوق الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن
اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب
شخص مكفي قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة
مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره
فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علقة شغله بعد ذلك بذكر
يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرض و
الرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب
لذكر الله بعد الخلوة من ذكر غيره ولا يشتغل به ما دام قلبه ملتفتا الى علايقه قال
الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتي شي غير الله فحرام
عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق الارادة واستيلا حب الله على القلب
حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك
الزمه الشيخ زاوية يتفرد بها ووكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت حلال
وان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا واحدا من الاذكار حتى يشتغل
به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ
من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على
اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ
وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ القلب
من كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشي خلا عن غيره اي شي كان فاذا اشتغل بذكر
الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب
والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما
اشتغل بشي منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان نقصانا
فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة
جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنا قولنا الله ولاي معنى كان
الها وكان معبودا وتعتريه عند ذلك خواطر يفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من
وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته
عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن
الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله

ويسهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم • ان الذين اتقوا اذا مسهم الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى طايف من
ما يشكل فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة
او نشاط او التفات الى الدنيا او الى غفلة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك
لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه و
كياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على
الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما ينكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما
لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من
فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها
فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه
فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر والذكر
ودفع العلايق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة
الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين **ولذلك قال** النبي
صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجايز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق
التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير **ولهذا يجب**
على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم
يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين
للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد
دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد
المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والريا والفرح بما ينكشف له من
الاحوال وما يبدو من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شي من ذلك وشغل به نفسه
كان ذلك فتورا في طريقه او وقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان
الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم عليه وراس ماله الانقطاع عن الخلق
والخلوة قال بعض السايحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق
الى التحقيق قال مرة قلت له دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله في كل وقت على
الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم
فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي منه قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت
انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة
قلت هذه لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل

فقال ان تكون في الدنيا كانك عابر طريق

الباطلين

الباطلين وترى ان تجرد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا لا يكون ابدا ولا
يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبك مع
الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة
الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فاذا انكشف للمريد شي من ذلك
فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس
فيه لذة ليس وراها لذة فتدعوه تلك اللذة ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني
وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد
القران والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما
يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن ذكر الله وانما انت
واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب وما لنفسك
فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل
لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة
ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى
صراط مستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني
على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا
فتعين عليه شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسده والغافلون
موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان
يعظم الفرح وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فان
اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوائل الطريق فان
ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة
الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطبع وان ذلك مكتوب في الكتب السالفة فقال
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته
في التدرج الى لقاء الله اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي بيانه فان
اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة ثم
مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا
بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر
ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه
الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات
بثمانية كتب كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج وكتاب افات اللسان

وكتاب ذم الدنيا وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب ذم الرياء وحب الجاه
وكتاب الكبر والعجب وكتاب مواقع الغرور ونذكر هذه المهلكات و
نعلق طريق المعالجة فيها ليتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله وانما ذكرنا
في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات
وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب
الاخلاق ومعالجة امراض القلوب واما تفصيلها فانما يأتي في هذه الكتب ان شاء الله

كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج كتاب الثالث من احيا علوم الدين نفعنا الله به

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه • المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح و
التنزيه • القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه • المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه •
المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه • المنعم عليه بما يزيد على مهمات
مقاصده بل بما يفي بامانيه • فهو الذي يرشده ويهديه • وهو الذي يميته ويحييه
واذا مرض فهو يشفيه • واذا ضعف فهو يقويه • وهو الذي يوفقه للطاعة
ثم يرضيه • وهو الذي يطعمه ويسقيه • ويحفظ عن المهالك ويحميه •
ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه • ويمكنه من القناعة بقليل
القوت ويقويه • حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه • ويكسر
به سطوة النفس التي تعاديه • فيكسر شرها ثم يعبد ربه ويتقيه • هذا بعد ان يوسع
عليه فيما يلتذ به ويشتهيه • ويكثر عليه مما يهيج به بواعثه ودواعيه • كل ذلك
ليمتحنه ويبتليه • فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه • وكيف يحفظ اوامره
ونواهيه • ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه • والصلوة على محمد عبده
النبيه • ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه • وترفع منزلته وتعليه •
وعلى الابرار من عترته واقربيه • وعلى الاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد

فاعظم

فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوى من دار القرار الى دار
الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما
والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الافات اذ نتبعها شهوة الفرج وشدة
الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذان
هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم تتبع استكثار المال والجاه الى
انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منها افة الريا وغائلة
التفاخر والتكاثر والكبريآء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضة
ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما
يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري
الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به
ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب
على الدنيا واذا عظمت افة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وافاتها
تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا
فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول
يجمعها

بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طرق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعا

والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته (فضلته) باختلاف احوال الناس ثم بيان
الريا في ترك التشهي ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج
وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة الفرج والعين **بيان فضيلة الجوع
وذم الشبع** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش
فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع
وعطش **وقال** ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء

من ملا بطنه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال من قل طعمه
وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس
لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف وكلوا
واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم
الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم
افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نوام اكول شروب
وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز مختارا لذلك وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله ليباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا انظروا الى عبدي
ابتليته بالطعام والشراب فتركهما اشهدكم يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها
درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب
فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء قال صلى الله عليه وسلم ما ملا ابن ادم
وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه وروي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي الله ستين
صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن لذة المناجاة فاذا ان رغيف موضوع فقعد
يبكي فاذا اشيخ اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله لي فاني كنت في حالتي فخطر
ببالي الخبز فانقطعت عن لذة المناجات فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز
خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلام لما قربه نجيا كان
يترك الطعام له اربعين يوما وفي حديث اسامة ابن زيد وحديث ابي هريرة
الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس الى الله يوم القيمة من طال
جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا
وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس
في الدنيا ونعموا بطاعة الله وافترش الناس الفراش وافترشوا الجباه والركب
ضيع الناس فعل السلف واخلاقهم وحفظوهم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله
على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف
اطالوا القلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما
بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم
بقلوبهم الى امر ذهبت عن عقول اهل الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول
عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة
فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم رحيم و

بقوام

نخ اجلي

الجبار

والجبار عنهم راضٍ اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان يأتيك
الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع
الحسن النبيين وتفرح بقدوم روحك الملايكة ويصلي عليك الجبار وروي عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في
كم انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكباد
واعروا اجسادكم لعل قلوبكم تجد ربكم وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم
ايضا رواه طاوس وفي التوراة مكتوب ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين لان
السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال
ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري
من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل
على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا
واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المومن او
تكون شهوته سبعة امثال شهوة المومن ويكون المعنى كناية عن الشهوة لان
الشهوة هي التي تقبل الطعام فتاخذه كما ياخذ المعا وليس المعنى به زيادة
عدد معاء المنافق على معاء المومن وروى الحسن عن عايشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ادموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم
قرع باب الجنة قال صلى الله عليه وسلم بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشى
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر عن جشايك فان اطول الناس
جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من
الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما
يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني اولو العزم من الرسل قد صبروا
على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب
الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي
قالت عايشة والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله وعن
انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال
اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما شبع

النبي صلى الله عليه وسلم واهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا
وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وان ابغض
الناس الى الله المتخمون الملا وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة
واما الاثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة
ونتن في الممات وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة
وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض اي شي تخاف اتخاف ان تجوع
لا تخاف ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه وكان كهمس الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني
طلبتي وكان فتح الموصلي اذا اشتد جوعه ومرضه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع
وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت
لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كان له غلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال
لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل
يقول اجعتني واجعت عيالي وتركتني في الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك
فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين
تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة
وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك
لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه
لا يعطيه الا لمن احب وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان
يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوجد في القيامة
عمل بر افضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال
لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الاخرة
من الاكل وقال وضع العلم والحكمة في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال
ما عبد الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد قال في الحديث ثلث
للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى
يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين
فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت
والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع
وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع

والسقم

لنفسه
يقول صح
ظلم صح

والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال علموا ان هذا زمان لا ينال فيه احد النجاة الا
بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء
حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي
شي اقيد النفس قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها
تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء
الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى
ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم
الله الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما
حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة
وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر ابن عبد الله ثلاث يحبهم الله رجل قليل الاكل
قليل النوم قليل الراحة

بيان فوايد الجوع وافات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاسات
الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه
وقطعه لحمه وتناوله الاشيا الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول
من شرب دوا فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهته فاخذ يتناول
كل ما هو مكروه في المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدوا وليس لكونه مرا وانما
يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلما ومن جوع
نفسه مصدقا لما جا في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما
ان من شرب الدوا انتفع وان لم يعرف وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان
اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم ويرفع الله الذين امنوا والذين
اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد الفايدة الاولى صفا القلب
وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار
في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان
في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه
وصار بطي الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة
للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك

سئل صح

يضاهي صح

والشبع فطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه

وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شي زكاة وان زكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادة الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فيحرى فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم معز الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية** رقة القلب وصفاوه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجات والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يتلذذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثيره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه و قال ابو سليمان احلى ما تكون العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي ونام فاذن تاثر القلب بلذة المناجات امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة

فهي فائدة ثانية الفائدة الثالثة

الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر النفس ولا تذل بشي كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربه وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العزة والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه

زكاة صح

شاهدا

شاهدا للاضطرار بالرزق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا
وخزاينها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت واذا شبعت شكرت
او كما قال والبطر والفرح باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار من
ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب
الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد عن الاخر

الفايدة الرابعة

لا ينسا بلاء الله وعذابه ولا
ينسا اهل البلا فان الشبعان
ينسى الجايعين وينسى الجوع و
العبد الفطن لا يشاهد بلا الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه به عطش
الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم
والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها
التي تهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلا نسي عذاب الاخرة ولم يكن يتمثل
في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما
يقاسيه من البلا بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى ذكر عذاب الاخرة وهذا
احد الاشيا التي اقتضا اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك
قيل ليوسف لم تجوع وفي يدك خزاين الارض قال اخاف ان اشبع فانسي الجايع فذكر الجايعين
والمحتاجين احد فوايد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله
والشبعان في غفلة عن الم الجوع

الفايدة الخامسة

وهي من كبار الفوايد وهي كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسوء
فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها
يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه
وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك
النفس وقيل لبعضهم مالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انتهك فقال لانه سريع
المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني فلان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني
على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت
عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست
فايدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واقل

والحاصل انه يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول
الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه
الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب
الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع
يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه و
العين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك
فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش
به مناجاته وربما عرض له في اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة اللسان والفرج
مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال
حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخالطه
مع شي من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مونة النساء

الفايدة السادسة

دفع النوم

ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذا كان يقول بعض
الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب
وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب
والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من
العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة
العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ايضا ذلك من التهجد ويحوجه
الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل
فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج الى مونة الحمام وربما تقع عينه
على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك
اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات
كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفايدة السابعة

تيسير المواظبة
على العبادة فان
الاكل يمنع من كثرة

العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء
الطعام وطحنه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه
والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجات وساير العبادات
لكثر ربحه وقال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك
الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ والاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل
نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة
لا اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام
على الطهارة وملازمة المسجد فانه يتيسر لمن تعود الجوع بالصوم ودوام الاعتكاف
ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة
انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني
الى ست افات فيه وقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وعدم
حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا اشبع ظن ان الخلق كلهم شباع
وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول
المزابل

الفايدة الثامنة

من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول
فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع عن العبادات ويشوش القلب ويمنع
من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك
يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع المعاصي واقتحام
الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي
ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه
فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي الاهليلج الاسود وقال الرومي هو
حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار وقال السوادي
وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء
الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك يا سوادي فقال الدواء قال الدواء الذي
لا داء فيه ان تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا

وهذا داء صح

صحف وذكر بعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل
احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية
اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامر
ذلك وقال بن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له
وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم
الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان وان اضر ما ادخل معدته لملح
ولان يقلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا
ففي الصوم الجوع وان تقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من الم الطغيان والبطر وغيرها الطعام

الفائدة التاسعة

خفة المؤنة فان من
تعود قلة الاكل كفاه
من المال قدر يسير
والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل
اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما
احتاج الى ان يمد عينيه الى الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقمارة والمؤمن خفيف المؤنة
وقال بعض الحكماء اني لاقضي حوايجي بالترك فيكون اروح لنفسي وقال اخر اذا عافتم
اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي
خير غريم نفسي وكان ابراهيم بن ادهم سئل اصحابه عن الشي من الماكول فيقال انه غال
فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلثة احوال ان كان اهل
العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف
الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن
والفرج وسبب شهوة البطن شهوة الفرج وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها
وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع
باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات ايضا وصار حرا و
استغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الاخرة فيكون
من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها
بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة

الفائدة العاشرة

ان يتمكن

ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل عن الاطعمة على اليتامى والمساكين ليكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر به فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام من التخمة والشبع اولى كان الحسن اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارضين كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول قائلهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا بلغت به الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم اين المساكين الذين امرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع تتشعب عن كل واحد فوائد لا ينحصر ولا تتناهى فوائده فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان

الفوائد ٩

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف الاولى الا ياكل الا حلالًا فالعبادة مع اكل
الحرام كالبنا على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب عليه رعايته من درجات الورع في كتاب
الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظايف خاصة بالاكل وهي تقدير قدر الطعام في القلة
والكثرة وتقدير وقته في الابطا والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناوله وتركها للشهوتيا صح

الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل
الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي
ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلًا من طعامه المعتاد فان
كان ياكل رغيفين مثلًا في كل يوم واراد ان يرد نفسه الى الواحد فينقص كل يوم ربع
سبع رغيف وهو ان ينقص منه من ثمانية وعشرين جزءًا او جزءًا من ثلاثين جزءًا
فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شا فعل ذلك بالوزن
وان شا بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما كله بالامس ثم هذا
فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو
عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث
بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل اكل
وافطر ان كان صايمًا وتكلف الطلب ان كان فقيرًا وان لم يخف عليهما بل على القوة
قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدًا ورأى ان صلاته قاعدًا مع ضعف
الجوع افضل من صلاته قايمًا مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يتقوت سمنا
به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسًا وبدرهم دقيق
الارز فاسويه مخلطًا ثلثماية وستين كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له
الساعة كيف قال اكل بلا حد ولا توقيت ويحكى عن الرهبانيين انهم قد يردون انفسهم
الى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية** ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم
والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشي مما تكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون
مقدار هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق
اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك عادة
عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم **الدرجة الثالثة** ان يردها الى مقدار سبع
المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد
ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الالفاظ ولا يبقى صح
ثلث للذكر بدل قوله للنفس **والدرجة الرابعة** ان يزيد على المد ويشبه ان يكون
ما وراء المد اسرافًا مخالفًا لقوله عز وجل ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار

الحاجة

الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به **وههنا**
طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض
يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر على منع نفسه رغيفا
او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر
للجوع الصادق علامات احدها الا تطلب نفسه الادم بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي
خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب ادما فليس ذلك جوع وقيل ان يبزق فلا يقع
الذباب عليه اذ لا تبقى فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك
غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي
هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام
لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا
من الحنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد
فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج
الى زيادة لسقوط النوى منه **وقد كان** ابو ذر يقول طعامي في جمعة صاع من شعير	كل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته
يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو اليوم عليه وكان يقول
في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم تنخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق
وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح
في ثوب اخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت
اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان
الحسن يقول المومن مثل العنيزة يكفيها الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة
من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره
ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا
كان قوت المومن منها لان اكل المومن عند ضرورته بقدر القوام فقط **الوظيفة**	حلال
الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات **الدرجة العليا**
ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار
حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم
منهم محمد ابن عمرو المغربي وعبد الرحمن ابن ابراهيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة
وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن
عبد الله وابراهيم بن احمد الخواص وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام

وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعاً وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي سبعاً
وروي ان الثوري وابراهيم ابن ادهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً كل ذلك كانوا يستعينون
بالجوع على طريق الاخرة وقال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوماً من الطعام
ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض
هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور
فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوماً وانه
معجز لا يكون الا لنبي صادق قال له الصوفي فان طويت خمسين يوماً اتترك ما
انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد
لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوماً فقال وازيدك ايضاً فطوى الى تمام الستين
فتعجب الراهب وقال ما كنت اظن ان احداً يجاوز المسيح وكان ذلك
سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة
ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة
الثانية ان يطوي يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب يمكن
الوصول اليه بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم
والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا
يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد
الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد
وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم اياك والاسراف
فان اكلتين في كل يوم من الاسراف فكان اكلتين في يوم سرف واكلة واحدة في يومين
اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم
على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحراً قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد
وقبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ
المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته
وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تتورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط
انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يواصل الى السحر وان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله
عن حضور قلبه في التهجد فالاولى ان ينقسم طعامه نصفين وان كان رغيفين مثلا
اكل رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد

بالنهار جوعه

بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن
كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر
فهذه هي الطرق في توقيت الاكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام
وترك الادام واعلا الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول
وادناه شعير لم ينخل واعلا الادام اللحم والحلاوة وادناها الملح والخل واوسطه المزورات
بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع
عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في
قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا
جنة في حقه فيكون الموت سجنا واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها
لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا واشتهت النفس الافلات منها فيكون
الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم
لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من افات
الشبع وانما تجري في اكل الشهوة وتناول اللذات فلا نطول باعادته ولذلك يعظم
الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس تحريما بل هو مباح
على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى
نفسه بالنعيم وتانس بالدنيا وتالف اللذات وتسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي
فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور وتلك الامور معاصي **وقال**
صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم
الوان الطعام وانواع اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله الى موسى اذكر انك ساكن
القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة
وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية
السعادة حتى روي عن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما
للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال
الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب
الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ماء بارد بعسل
وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات
كما اوردناه في كتاب رياضة النفس **وقد روي** نافع ان ابن عمر كان مريضا فا
شتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت

بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها
برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم
نجدها حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها قال لفها وادفعها
اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتعطيني السمكة قال نعم فاعطاه الدرهم
واخذها ورفعها بين يديه فقال قد اعطيته درهما واخذتها منه قال لفها وادفعها اليه
ولا تاخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما رجل اشتهى
شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت
كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود
رد الم الجوع ودفع ضرورة دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد
ابن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني
فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاءه بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط
يزيد يده وكف عمر يده ثم قال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام
والذي نفس عمر بيده ان خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن نمير قال
ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام انه كان يعجن دقيقه
ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الاخرة الشواء والطعام
الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فيقول مولاة له يا عتبة
لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت
عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة فلم ياكله واهدي اليه
يوما رطب تراوده في اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن
ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه
عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي
قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله وقال مالك بن
ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فا
فاقسمت الا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار خمسين سنة فما اكلت لكم
رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم بنقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار
طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها
حتى الحق بالله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته
يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت
ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى فيه من الفاكهة فاشتهاها فقال

لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة
ولا ممنوعة فلما اشتراها واتاه بها قال لنفسه قد دعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى
اشتريت والله لا ذقته فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج قال نفسي تشتهي ملحا
جريشا منذ عشرين سنة فما اطعمتها وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب
مني الا الماء حتى تروى فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين
فلما ان كان بعد ذلك قال لقد استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين سنة سنة فا
شترى قطعة لحم على خبز فشواها فلقي صبيا قال اليس انت ابن فلان وقد مات ابوك
قال بلى فناوله اياها وجعل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
واسيرا ولم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سبع سنين فلما ان كان
ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع
الناس قال عتبة ولجراتي عليك وشرائي التمر بقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذنا
الا بذنبك اليت على الاذقته وتركت التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا
وبفلس خلا قال فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيمة ولم يكن
ياكل الا قفارا فقيرا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من
قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان
ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض
اصحابه لا ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت
صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعد فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد
ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته له فلما افطر اخذ واحدة ووضعها
في فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف اما
تستحيي تركتها من اجلي ثم تعود اليها وقال صالح المري قلت لعطا السلمي اني متكلف
لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من
سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد
جعلت له نحوها فردها فلم يشربها فاتيته فلمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي
فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في
المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله عز وجل
يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب
غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في واد وقال السري ان
نفسي تنازعني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر

الحلاوى فانسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة
اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي
ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار
اجودها فقال له العابد مه اي شي تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا
وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدير من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي
الارض والرياح والارض والبهايم وبنو آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه لا ترضى به
وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم
ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملايكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر
والافلاك وملائكة الهوى ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمت الله لا
تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شي هو فقال لي اي
شي سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شي تقول فقال اعلم ان البطن
دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبمقدار ما تملكه بطنه تملكه الدنيا
وكان بشر بن الحرث قد اعتل فسال عبد الرحمن المتطبب عن شي يوافقه من الماكول
فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر فصف لي حتى اسمع قال تشرب
سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال له بشر تعلم شيا اقل
من السكنجبين شيا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرفه قال ما هو قال
الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيا اقل ثمنا من السفرجل قال لا قال انا اعرف قال
ما هو قال الخرنوب الشامي قال افتعرف شيا اقل ثمنا من الاسفيدباج ويقوم
مقامه قال لا اعرف قال ماء الحمص بسمن البقر في معناه قال عبد الرحمن فانت
اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هولاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات
ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها في بعض الاوقات
لانهم كانوا لا يصفو لهم حلال فلا يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات
ليس من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز فينبغي ان
لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كلما يشتهيه و
يفعل كلما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه وقيل ان المداومة على اكل اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا
وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه
وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع
بين غفلتين فيعتاد فيقسو قلبه لذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب

الى الشكر

الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم
واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران عقيب
كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلوة
والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى
شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون
تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر ابن سهل الى سالم كفايتك ولا اخترت
من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه
لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم
يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا
تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة وقال ابن عمر ما تاتينا من العراق فاكهة احب
الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات
في المناحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان
يقال له اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته
يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض عباد اهل البصرة نازعتني نفسي خبزا ارزا و
سمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتد مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات
قال بعضهم رايته في المنام فقلت له ماذا فعل الله بك فقال لا احسن واصف
ما تلقاني به ربي من النعيم والكرامة وكان اول شي استقبلني به خبز ارز وسمك
فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما
اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات
النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها
وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط

فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى
وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان
المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود
الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى
يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على
قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع
كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل
وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر
كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع
المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينبغي ان ينسى
بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام
يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل
اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل
الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص
من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال
طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة
القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب
من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر
على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة
التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة
والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد
التشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن
الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه
عبر **قوله** صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر
وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية
الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال
لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست
مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واعتدلت رجع الى الاعتدال

لان الوسط

جموحة

وترك

وترك تعويدها وايلافها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيأمره
بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تاديب
نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره في الشهوات
والجماح عن العبادة كان الاصلح له الجوع الذي يحس المه في اكثر الاحوال لتنكسر
اذ المقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذا ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع
عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق
فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى
الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان
بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا
وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه
فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام
بمقدار يسير ووقت مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما مجاهدة نفس متباينة
عن الحق غير لاحقة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له
تقدير وتوقيت لطعامه قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله عليه
وسلم يصوم حتى يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول
هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا اصوم وقد كان
يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما اني صايم فقالت عايشة رضي الله عنها قد اهدي الينا
حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف
كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق
النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاث
دراهم في ثلاث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك فقال اكل بلا حد
وتوقيت وليس المراد بقوله بلا حد اي اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما اكله
وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فيقال له ان اخاك
بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف
في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم
بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال
يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر
الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال

نقول لا

فقال

له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافاً فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف
في اللباس والاثاث فالذي يأخذ العلم من السماع والنقل تقليداً يرى هذا ويرى ابراهيم بن ادهم
ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن السري
السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهى ان اغمس جوزة في دبس فلم افعل فيراه متناقضاً او يتحير
او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان ذلك حق ولكن بالاضافة الى
اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور فيقول
المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اهم من نفس سري السقطي
ومالك ابن دينار وهؤلاء من جملة الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول
وما نفسي علي باعز من نفس معروف الكرخي وابراهيم ابن ادهم فاقتدي بهم وارفع
التقدير عن ماكولي فانا ايضاً ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه
وتوقيره او في ماله وجاهه بشطرنقيه قامت القيمة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا
مجال رحب للشيطان مع الحمقاء بل ترفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات
لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استر
ساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة
بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملاً لله
في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد
بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعاتها اعني
لو اعتزل حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر
على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال وانه يقصر لا محالة عن ما يدعوه اليه
فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل
يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقاً من قلبه فيلقي اليه كل ساعة
انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم
الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كي لا يخطر بباله ان الشيخ لم
يامره بما لم يفعل وينفره ذلك عن رياضته والشيخ اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير
لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في سياقتهم الى السعادة و[illegible]
ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص
فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده
عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحماً مادوماً بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك

كل يوم

كل يوم خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما
خبزا وخلا ويوما خبزا قفارا فهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم
والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان افة الريا المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او من يقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات افتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات
احدهما الا تقدر النفس على بعض ترك الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه
يشتهيها فيخفي الشهوات وياكل في الخلوة ما لا ياكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي
سيل بعض العلما عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له تعلم به باسا فقال ياكل
في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه افة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان
يظهرها فان هذا صدق في الحال وهو بدل عن ثواب المجاهدة بالاعمال فان اخفا النقص
واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفا فيكون
مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره
للكفر كفرا لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم امر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره
فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالريا والغش و
الاخفا بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوات اسقاطا
لمنزلته من قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتهي الشهوات ويعلقها في بيته وهو
فيها من الزاهدين ولكن يبتغي به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى
لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزاهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل
الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس
ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بنبذه فلا جرم اوليك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا وهذا ايضا هو طريق من ياخذ ما يعطا جهرا او يرد سرا
ليكسر شهوته بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار
شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغتره قول الشيطان انك اذا اظهرت

كذا بان

وانتبه في باطنه

اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحاً لغيرك لانه لو قصد اصلاحاً غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهو انما يقصد الريا المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك وان ما علم ان من اطلع ليس يقتدي في الفعل ولا ينتفع باعتقاد انه تارك الشهوات **الافة الثانية** ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي اشر منها وهي شهوة الجاه فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فلياكل فهو اولى به قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فاصب منها شيئاً يسيراً ولا تعط نفسك مشتهاها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها لها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها فان اخفت شهوتها واظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئاً وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا اضر كثيراً من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفايدتين احدهما ان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق

الفايدة الثانية

بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى من شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بالله من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا

فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه ثم قال السلام عليك قال موسى من انت
قال انا ابليس قال فلا حياك الله وما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك عند الله
ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني ادم قال فما الذي
اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه فاستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك
ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي
حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها
فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين
الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني ادم وعن سعيد بن المسيب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان
يهلكه بالنساء وما شيء اخوف عندي منهن وما من بيت بالمدينة ادخله الا بيتي وبيت
ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف
جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي
فنصف جندي الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة
ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى تصرف همة الرجال الى
التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى ينجر الى اقتحام
الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفتين الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا
ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة
لتقوى شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وبهائم عادية فينام
عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها
فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك
لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في غرائب الحديث انه قال شكوت الى
جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه
تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن وكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم
واللذة والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو
غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس
يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحيى منه حتى اعتقد
ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة حيث
اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية
الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون

خادمًا للشهوة محتالا لاجلها وما العشق الا شعبة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له
وانما يجب الاحتراز من اوايله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه
وكذلك عشق الجاه والمال والغنا والاولاد حتى حب اللعب بالطنبور والنرد والشطرنج
فان هذه الامور قد تستولي على طايفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون
عنه البتة ومثال من يكسر العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند اول
توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها ومثال صلاحها بعد استحكامها ان تترك بصرف عنانها
الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت
بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا تقبل
العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل
الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة والضعف عن امتاع المنكوحة وهو
ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها
ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجا

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن
السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا
تقاس الملايكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا
وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال
ما انسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل
ومال وولد فهو عليك مشوم فشرط المريد العزوبة في الابتدا الى ان يقوى في المعرفة
وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم
فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ
الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره
وتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغاير وهي تودي
على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر
على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة
وكفى بها لصاحبها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جات فتنة داود من اجل النظر

وقال داود لابنه

يا بنيه

وقال داود لابنه عليهما السلام امش خلف الاسد ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى
بن زكريا ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة
وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظر وقال صلى الله عليه وسلم سهم مسموم من النظرة صح
سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال
صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال
اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء
وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم
لكل ابن ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان
وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه
القبل والقلب يهم ان يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة
استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وسلم
احتجبا فقالا اليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء
مجالسة العميان كما جرت العادة به في الماتم والولايم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء
ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة
الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه ومن لم يقدر على حفظها
حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر بالصبيان اكثر لو مال فانه
قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة
حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك الفرق بينه
وبين الملتحي لا يحل له النظر اليه **فان قلت** كل ذي حس يدرك التفرقة
بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فقلت لست اعني
تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين
شجرة خضراء يابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها
وشجرة تساقطت اوراقها فانه تميل الى احدهما عينه وطبعه ولكن ميلا خاليا
عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل
الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة
بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس
الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل
وبين البنا الحسن والابواب المنقوشة والسقوف المزخرفة فنظره نظرة شهوة فهو
حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال

بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس
اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد
الشهوة لكان لوطا وعن بعض السلف انه قال سيكون في هذه الامة ثلاثة
اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فافة النظر
الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر
شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي
في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله فرايت شخصا في المنام فقال ما لك
فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها
في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني
ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده
واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به
عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك او اشد منه فرايت
شخصا يخاطبني فيما بين يدي جنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع
ما لا يحب رفعه تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما
احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه
اما في ابتدائه فالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام
بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في اداب النكاح فلا نطول باعادته
وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم
من تزوج غنية له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت كان
الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف
ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن
والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة
صدق الارادة في دوام النكاح الخلق الحسن تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل
يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى ابيها وقالت تحيرت في هذا الرجل انا في منزله
منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات
جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزنهم لذلك خوفا من ان يستقبح
ها واراهم الرجل ان به رمدا اذهب بصره حتى زفت المراة اليه وزال عن اهلها ذلك
الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت
لاجل اهل بيتها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض

الصوفية

الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها قال اخشى ان يتزوجها
من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك
فهو اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن
حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي ملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب
الى اهل البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى
فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني
من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الايام والليالي حتى اتمها
مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الغم و
الحزن فاذا اتاك كتابي فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال
اوصياءك فيقسموا ميراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله
خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه
اشارة الى ان كل ما شغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده
في العزوبة سالما فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوة ثلثة
الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي في القلب وان لم تنفع هذه الثلاثة
فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح
والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما يئس الشيطان من شيء الا اتاه من
قبل النساء وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه و
هو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن
المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قال توفيت اهلي فاشتغلت بها
فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت
امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت
وتفعل قال نعم فحمد الله وصلى الله على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على
درهمين او قال ثلاثة فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي
وجعلت اتفكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت
السراج وكنت وحدي صائما فقدمت عشاي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي
يقرع الباب فقلت من هذا فقال سعيد قال ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا
سعيد بن المسيب فانه لم يرى اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت
فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيك

قال الا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك
الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في
في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحيا فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة
التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت
الجيران فجاؤوني فقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم
وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا اسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت
نعم فنزلوا اليها وبلغ الخبر امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها
قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل
النساء واذا هي احفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان قرب الشهر اتيت
سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس
فقال ما حال ذلك الانسان قلت خير يا ابا محمد كما يحب الصديق ويكره العدو قال
ان رابك شيء فالعصا قال فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله
بن سليمان وكانت بنت سعيد ابن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد
بن عبد الملك حين ولاه العهد فابا سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على
سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف
فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان
مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز
او لخوف او لحياء او المحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من
حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع
الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب
الجزيل في تركه خوفا من الله مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق
الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم
فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله

وعن منهم رجل دعته امراة ذات حسن وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين
وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى
الله عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة
وروي ان سليمان ابن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته
نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام
يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت
وانت سليمان الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا
ان راى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة
ومعه رفيق له حتى نزلا بالابوا فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع
شيئا فقعد سليمان في الخيمة وكان اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية
من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت
وقعدت بين يديه واسفرت عن وجه كانه فلقة قمر فقالت هبني فظن انها
تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا وانما اريد ما يكون
من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب
فلم يزل يبكي فلما رات المراة ذلك سدلت البرقع على وجهها وفعت رجلها حتى رجعت
الخيمة فجاء رفيقه وراه قد انتفخت عيناه من البكا وانقطع حلقه فقال
ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان يكون لك قصة انما عهدك بصبيتك
منذ ثلاث ليال فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل
يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكا منك لاني اخشى
لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فطاف وسعى واتى
الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة
طيبة فقال سليمان من انت يرحمك الله قال انا يوسف قال انا يوسف الصديق قال
نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف شانك
وشان صاحبة الابوا اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار
فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة
الا ان تدعوا بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران
وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا ولا ولدا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما
حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نايمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا وولدا فلبثت

والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي
فاستيقضا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت تعلم ان ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه
من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت
لي ابنة عم من احب الناس الي فعلقتها فراودتها عن نفسها فامتنعت عني حتى المت بها
سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها
ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من
فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي
اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه
فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني
استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت
اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت
كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي
فقلت لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان
كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا
فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين
فان النظر بريد الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف
فيه والافات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يؤاخذ بها والمعاودة
يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة قال العلا بن
زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في
ترددا ته عند وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى
الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه
ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان
استقبح لم يتلذذ به وياثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما ال اليه فلا يخلو في كل
حالة عن معصية وعن الم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع
عن قلبه كثير من الافات وان اخطا عينه وحفظ الفرج مع التمكن فكذلك
يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع
بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها
عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه
وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول

ببعض انبيا

فكان م

بعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا
سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامّن انت فدعا
الرسول وامّن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه
ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل فانا الذي دعوت وانت الذي
امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب
من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه
قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه
حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت
به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت
يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له
بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال
قال فاطرق مليًا وقال هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعًا فقالت له
والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد
الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل
من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثل القوارير ادنى شي يعيبها وجملة
ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب
الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسًا وكتب كتابًا ثم خرج من
منزله فاذا بالامرأة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في
الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المرأة ان الله تبارك وتعالى اذا عُصي
حَلُم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس عليها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه
غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان
كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح
غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى مداو للكلوم الممرضة والاسقام
الموجعة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسئلة فاني متشاغل
عنك بقوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب
من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد
اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدًا

الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده
مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها
واوصني بوصية اعمل عليها فقال الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك لهما
قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت
بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ثم ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل
على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم
بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخرة لي عند الله
عز وجل وانا استحي من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والحمد لله لا شريك له تم كتاب كسر شهوة البطن والفرج

كتاب افات اللسان وهو الكتاب
السادس [الرابع] من ربع المهلكات
من كتاب احيا علوم الدين رحم الله مصنفه

غلط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وافاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا
في شواهدها واياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها
ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة
تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة
عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها وان احسنت ساعة
اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة
وتجارة بنيها خاسرة وافاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها
بذل طالبيها ناطقة فكل مغتر بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره
شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته
لا يخلص صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات

سلامتها تعقب
بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله • والهمه نور الايمان فزينه به وجمله • وعلمه
البيان فقدمه به وفضله • وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله • ثم ارسل عليه
سترا من رحمته فاسبله • ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وتقبله • ولم يكشف
عنه ستره الذي ارسله • فاطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله
ونطق سهله • ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه
وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله • واي فصله ودين عدله صلى الله عليه وعلى اله
واصحابه ومن تبعه ما كبره عبد وهلله **اما بعد** فان اللسان من نعم الله العظيمة
ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان
الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق
متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض باثبات او نفي فان
كل ما يتناوله العلم ~~مظنون او موهوم الا واللسان ويتناوله ويتعرض باثبات~~ يعرب
عنه اللسان اما بحق واما بباطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير
الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات
واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذلك ساير الاعضاء **واللسان** رحب الميدان ليس
له مرد ولا لمجاله منتهى وحد وله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق
عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه
الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى دار البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا
حصايد السنتهم ولا ينجي من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما
ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد اطلاق
اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضى على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضا
على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الا
حتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم آلة للشيطان في استغواء
الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع افات اللسان ونذكر كل واحدة
منها بحدودها واسبابها وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز منها وايراد ما ورد من الاخبار
والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افة الكلام فيما لا يعنيك ثم افة
فضول الكلام ثم افة الخوض في الباطل ثم افة المراء والمجادلة ثم افة الخصومة ثم افة
التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير
ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم افة الفحش والسب وبذاءة اللسان

ثم افة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم افة الغنا والشعر وقد ذكرناه في كتاب السماع
ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده ثم افة الوعد الكاذب في القول واليمين ثم افة الغيبة
ثم افة النميمة ثم افة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد
بكلام يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما
فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ثم افة سوال العوام عن صفات الله
وعن كلامه وعن الحروف في انها قديمة وهي اخر الافات وتتمة العشرين والله اعلم

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث
عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة
وحزم وروي عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي قال فاومى بيده
الى لسانه وقال علقمة ابن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك
وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل ابن سعد الساعدي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه
وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج و
اللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاثة بها يهلك اكثر الخلق ولذلك نذكر افات اللسان
لما فرغنا من ذكر افة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان
الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد
البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انؤاخذ بما نقول
فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم
وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم
استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه وقال هذا وروي
ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه
ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان
عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة عبد لا يامن

نفسه

الناس

جاره

جاره بوايقه وعن سعيد بن جبير مرفوعًا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تستكف اللسان تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت
استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه
فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا يشكوا الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود
انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرًا تغنم او انصت من قبل ان تندم
قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه — يقوا ص
وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر
الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله
كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شيت انباتك بما هو املك من هذا كله واشار
بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرًا
او ليصمت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدًا تكلم — خيرا
فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم دلنا على عمل
ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدًا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال
سليمان بن داود عليه السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء
قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال
اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر وان لم تطق فكف لسانك الا من
خير وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند كل لسان قايل فليتق الله امرو على ما يقول وقال
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتًا وقورًا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي
يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان لسان المومن من وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه
ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه بلسانه
ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة اجزاء تسعة منها
في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا عليه السلام من كثر كلامه كثر

سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به الاثار
كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه
ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شي احوج
الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب ابن منبه
في حكمة داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه
وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر ابن عبد العزيز
اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه
فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه
والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك ابن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان
اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس
احد يكون لسانه على باب الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا
يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا يحيى قال اخشى الله ان
كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر ابن عياش اجتمع اربع ملوك ملك علي وملك
الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا
تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم
ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني
على رد ما قلت وقيل ان منصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين سنة وقيل
ما تكلم الربيع ابن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما
ما تكلم وكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المسا فان قلت فهذا الفضل الكبير
للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطايا والكذب والنميمة و
الغيبة والريا والنفاق والفحش والمرا وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض
في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه
افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان ولا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها
بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قل ما يقدر على ان يلزم اللسان فيطلقه
بما يحب ويكفه عما لا يحب وان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض
خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار
والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن
حسابه في الاخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك
على ان لزوم الصمت .:. امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع فيه

محض ضرر ونفعه

ملك الروم

ضرر

محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة **اما** الذي هو نفع محض
فلا بد من السكوت وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر **واما** ما لا منفعة فيه
ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع
فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي من الكلام ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج
بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا
يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف افات دقائق اللسان على ما سنذكره
علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا
واو تي جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص
العلماء وفيما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها ما يعرف حقيقة ذلك لمن شاء الله ونحن
الان نعد افات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلاظ قليلا قليلا ونؤخر
الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيهما اطول وهي عشرون افة **الافة** الكلام
فيما لا يعني **الاولى** الكلام فيما لا يعنيك **اعلم** ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك
عن جميع الافات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والرياء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو
مباح لا ضرر فيه عليك وعلى مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغني عنه ولا حاجة
بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو ادنى
بالذي هو خير لانك لو صرفت الكلام الى الفكر ربما الذي ينفتح لك من نفحات رحمة الله
عند الله عند الفكر ما يعظم جدواه او لو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك
فكم من كلمة تبني بها قصرا في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز واخذ بدله
مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بما
لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا يكون
صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا **قال النبي** صلى الله عليه وسلم بل راس
مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر به ثوابا في الاخرة فقد ضيع
راس ماله ولهذا **قال النبي** صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه **وقالت** هنيئا لك الجنة يا بني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا
يضره **وفي حديث** اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض
فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب
فقال من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا

ط
ط فقد اوتي والله

قال ما لا يعنيه او منع ما لا يعنيه ومعناه انما تهنى بالجنة من لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه
حوسب عليه وان كان كلاما مباحا فلا تهنى له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه
نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من
يدخل الساعة من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك
في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدور وترك ما لا
يعنيني وعن ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على
البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك
ما لا يعنيك فانه فضل ولا امن عليك الوزر ولا تكلم فيما لا يعنيك حتى تجد له موضعا
فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان
الحليم يقليك والسفيه يوذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك
به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام
وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي
امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال
الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر
صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا
تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك ان تتكلم
بكلام لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال او مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم
اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقايع وما استحسنته من الا
طعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت
عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد ولم تمزج بحكاياتك زيادة ولا نقصان
ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة
لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانا تسلم من الافات التي ذكرناها
ومن جملتها ان تسال غيرك ما لا يعنيك وانت بالسوال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك
ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السوال عنه افة واكثر
الاسولة فيها افات فانك تسال غيرك عن عبادته فتقول هل انت صايم فاذن قال
نعم مظهرا عبادته فيدخل عليه الريا وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر
وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت
كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد

وتعب

يقليك
بصمته
يعذبك
بمنطقه

ح وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن
احسن من الدهم الموقوفة

تضرر

ولم

وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما للريا او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع
وكذلك سوالك عن سائر عباداته وكذلك سوالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي
منه وسوالك عن سائر عباداته وكذلك سوالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه منه و
سوالك عما يحدث به غيرك فتقول له ماذا تقولون وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق
فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيى وان لم يصدق وقع
في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسل عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسوول ربما
لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني
هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر واما مثال ما لا يعني فما روي
ان لقمان دخل على داود النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما
يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام
داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم
به من غير سوال واستغنى عن السوال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك
ولم يساله عنه فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في ريا
وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه
فالخوض فيما لا حاجة به اليه والمباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت
بحكايات احوال لا فايدة فيها وعلاجه ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه
مسوول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص
بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا من حيث العلم واما من حيث العمل — علاجه صح
فالعزلة وان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود
اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا
الافة الثانية فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني
والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر و
يمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين
فالثانية فضول اي فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم
ولا ضرر قال عطا بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ما عدا كتا
الله او امر بمعروف او نهي عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون
ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد اما يستحي احدكم لو نشرت صحيفته التي املا صدر نهاره كان
اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام

لجوابه انتهى الحي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلاً وقال
مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه
واعلم ان فضول الكلام لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله لا خير في كثير
من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا
فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف ابن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في رهط بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا
علينا فضلاً وانت اطولنا طولاً وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال صلى الله عليه وسلم قولوا
بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق
فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول
الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت
ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة
ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان
ابن داود عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه
انه مر على السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فساله سليمان
فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما
اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم و
الا امسك والفاجر انما يرسل لسانه رسلاً رسلاً وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر
كذبه كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو ابن دينار تكلم رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم فاكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من باب فقال
شفتاي ولساني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل
اثنى عليه فاستكثر في كلام ثم قال ما اوتي رجل شراً من فضل في لسان وقال عمر ابن عبد العزيز
انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس
فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتاً فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن
ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه
وان في الاسلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل
لسانه ورأى ابو الدرداء امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها
وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فيما لا يعني فهذه مذمة
كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني الافة

ن حجاب

ن فاستهتر

ستماع

69

الثالثة الخوض في الباطل والكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر
ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة
فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام **واما** الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني
فهو ترك للاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل
واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس
والخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص
منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات
ما تهلك صاحبها وهو يستحقرها **وقد قال** بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب
الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ
ما بلغت الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه قال وكان علقمة يقول كم من كلام قد
منعنيه حديث بلال بن الحرث **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة
ليضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا **وقال ابو هريرة** ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما
يلقي بها بالا يرفعه الله بها في الجنة **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس
خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض
مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال
سليمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله **وقال** ابن سيرين
كان رجل من الانصار يمر بمجلس فيقول توضوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث
فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل
هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دعت
الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات اهل البدع والمذاهب الفاسدة وحكايات
ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث
فيه خوض في باطل **الافة الرابعة** المراء والمجادلة وذلك منهي عنه قال صلى الله
عليه وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم
من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلا الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيتا
في ربض الجنة **وعن** ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد
الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحات الرجال **وقال** ايضا
ما ضل قوم الا اوتوا الجدل **وقال** ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع
المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في

يكتب صح

يهوي بها في جهنم سبعين خريفا وان الرجل ليتكلم بكلمة ما يلقي بها بالا

فقال

لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم

الضيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات
واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس
بالقران فانك لا تستطيعهم وعليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه
عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل
العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا با
لجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين شيء وقال ايضا المراء يقسي
القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك
وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال
سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان
وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش
وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه
وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لح
ركعتين وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري
به ولا لتباهي ولا لترايا به ولا تترك حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه و
وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته
ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران
ما لك لا يفارقك اخ لك قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير وحد المرا
هو اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في
قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا
فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن
في كلام الغير تارة بان يكون بلفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة
او العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة
يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه
لاظهار خلله واما المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه لكذا وكذا واما
في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه
صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص
باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او [illegible] او السؤال في معرض
الاستفادة لا على صيغة العناد والنكادة او التلطف في التعريف لا في معرض
الطعن وانما المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه

ونسبته

ونسبته الى القصور والجهل فيه واية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها
عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطاه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه
وللنجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا ياثم به لو سكت **واما** الباعث على هذا فهو الترفع
باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان
اما اظهار فمن قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبريا — الفضل صح
وهي من صفات الربوبية **واما** تنقيص الاخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان
يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويوذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان
وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال المتعرض لهذه الصفات المهلكة وهو — ط مقو
مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذا الغير ولا تنفك المماراة عن الايذا
وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل
ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما يثور التهارش بين
الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه
والجامه **واما علاجه** فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة
له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب الكبر والغضب فان علاج كل علة باماطة — كتاب
سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن
من النفس ويعسر الصبر عنه **روي** ان ابا حنيفة قال لداود الطائي لم اثرت الانزوا
فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم فقال
ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من يسمع من غيره
خطا وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك
المرا وهو محق بني له بيت في اعلا الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في
المذاهب والعقايد فان المرا طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه
وتعاون الطبع والشرع وذلك خطا محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن
اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق الجدال فان المجادلة
تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة منه يقدر المجادلون من اهل مذهبه
على امثالها فتستمر البدعة في قلبه بالجدال وتتاكد واذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل
بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل
القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله سبع مرات وكل من
تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت
فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه شيطان الكبر

والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات شديد مجاهدتها
فكيف بمجموعها الآفة الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء
طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار
مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاجة
في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا
والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق وقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله عز وجل الالد الخصم وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى
ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في
الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة
بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما
رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للمروءة ولا اضيع للذة ولا
اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال
عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك
فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما
ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي
يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي
جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه
ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد
الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة
واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه
قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده
وكسر عرضه واني ان اخذت هذا المال منه ربما رميته في بير ولا ابالي فهذا واللجاج وهو مذموم
جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاجة
على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد عنه
الصدور و تهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد
بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان
في عرضه فمن ابتدا بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشوش خاطره
حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه ولا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدا

كل شر

كل شر وكذا الجدال والمرا فينبغي ان لا يفتح بابه الا للضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ
اللسان والقلب من تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته
فسلم عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما
يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمرا
والجدل طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة
ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب
فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقال صلى الله
عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس
حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا
لان الله يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال
لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي
ان عيسى صلى الله عليه وسلم مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول
هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة
صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء
هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به
جليسك فلا تكن عليه بخيلا فلعله ان يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض
الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام
الطيب ونضاده الخصومة والمرا واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره المستوحش
الموذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر الافة السادسة
التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات
والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من
التصنع المذموم وهو التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا واتقياء من امتي برآء من التكلف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابغضكم الي وابعدكم مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت
فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله
عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا وقال
عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد

الى ابيه يساله في حاجة فتكلم بين يديه حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك
ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان
يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على
الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من افات اللسان ويدخل
فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في
المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة الجنين فقال بعض القوم
الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل
فقال فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التصنع
والتكلف بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شي على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض
وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير
افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولر
شاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به **فاما** المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا
يليق بها السجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا
واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الا**
فة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه ومذموم ومصدره
الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله
عز وجل لا يحب الفحش ولا التفحش **ونهى رسول** الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب
قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولاء فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون
الاحيا الا ان البذا لوم **وقال** صلى الله عليه وسلم المومن ليس بالطعان ولا اللعان
ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال
صلى الله عليه وسلم الجنة حرام اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون
ما بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد
قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذ
بها كما يستلذ الرفث **وقال** صلى الله عليه وسلم يا عايشة لو كان الفحش رجلا
لكان رجل سوء **وقال** صلى الله عليه وسلم البذا والبيان شعبتان من شعب
النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا
المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين
وفي صفات الله فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه
اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب

الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكر مقرونا بالبذا يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي
الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال
جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا امامه فقال صلى الله عليه
وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا
وقال ابراهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب
وقال الاحنف ابن قيس الا اخبركم بادوا الدا اللسان البذي والخلق الردى فهذه
مذمة الفحش وأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة
ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة
فاحشة يستعملونها فيها واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون فيها ويدلون
عليها بالرموز وذكر ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنا
باللمس عن الجماع والمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة
وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه
العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وتختلف بعادة البلاد
واوايلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس تختص
هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط
والخراءة وغيرها فان هذا ايضا مما يخفى ويستحيونه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة
فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النسا فلا يقال قالت زوجتك كذا بل
يقال قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر او قالت أم الاولاد فالتلطف في هذه
الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر
عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري
مجراه فالتصريح بذلك حاصل في الفحش وجميع ذلك من افات اللسان قال العلا ابن
هارون كان عمر ابن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج له خراج في انفه فقلنا
نساله ماذا يقول فقلنا من اين خرج قال من باطن البدن والباعث على الفحش
اما قصد الايذا واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللوم
ومن عاداتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى
الله وان امرؤ عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكون وباله عليه واجره لك
ولا تسبن شيا قال فما سببت شيا بعده وقال عياض ابن حمار قلت يا رسول الله
الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال صلى الله عليه وسلم

وربما اختلف بعادة ن

المستبان شيطانان يتهاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب
المومن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية
من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه
قال يسب الرجل فيسب الآخر اباه **الافة الثامنة** اللعن اما لحيوان او لجماد او لا
نسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم المومن ليس بلعان وقال
صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة
ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران ابن الحصين بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره اذ امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال
صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة
تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله
اعصانا لله وعن عايشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن
بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة
مرتين اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر بعض
رقيقه وجا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم
ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهدا يوم القيمة وقال انس ابن مالك كان
رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله
لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله وذلك
غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على
الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان اللعن خطر لانه حكم على الله
بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه
والصفات المقتضية اللعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد
ثلاث مراتب **والاولى** اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى
والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزنادقة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك
جايز ولكن في اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض فما لم يرد فيه لفظ ما
ثور فينبغي ان يمتنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين
الناس وفسادا **الثالث** اللعن على الشخص الواحد معينا وهذا فيه نظر
كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص تثبت لعنته
شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله او ابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء
ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي

لعنة الله على الكافرين
والمبتدعة والفسقة **الثاني** اللعن باوصاف
اخص منه كقولك لعنة الله
على صح صح

مثلا فهذا

مسلمًا فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف تحكم بكونه ملعونًا **فان قلت**
يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلمًا وان كان يتصور ان
يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة
وبحكم الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا
سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا
لعنه ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطرً
وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع
اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول اللهم عليك
بابي جهل هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم ابن
يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير ذلك
معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر
جاز لعنه وذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما **روي** ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا سأل
قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن
سعيد وقال يا رسول الله صلى الله هذا كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي
قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر
اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابنا للابا فكف الناس عن ذلك
وشرب نعيمان الخمر وحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله فقال بعض الصحابة
لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك
وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق
بعينه غير جائز وعلى الجملة في لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن
لعنة ابليس فضلا عن غيره **فان قيل** هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين بن علي رضي
الله عنهما او امر به **قلنا** هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم
يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال
قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا
فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا

بالكفر وما يرميه بالفسق الا ارتد عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم
ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا
فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة
او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان
تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عايشة رضي
عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتوذوا به الاحياء وقال صلى الله عليه وسلم
ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا
مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الامر
بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه
يحتمل ان يموت بعد التوبة ووحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وهو
كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا فلا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة
الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو
اولى رتبة الكفر فاذا لم يقيده بالتوبة اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق
اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات
على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين والاشتغال
بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا
بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما
نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما كلمتان يخرجان من صحيفتي يوم القيمة
لا اله الا الله ولعن الله فلانا وفلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من
ان يخرج لعنة الله وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك
لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال
بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم
ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مومنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك
حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعا على الظالم
كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر
ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم تبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة
الافة التاسعة الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا

وما

وما يحل فلا نعيد واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم
قال صلى الله عليه وسلم لان يمتلى بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلى شعرا وعن
مسروق سيل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في
صحيفتي شعر وسيل بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله
خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره و
قال صلى الله عليه ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيه
وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا ان يهجو الكفار
والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن
في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سايله فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخا فانه
~~ولم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سايله فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية~~
السخا فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة لغة من صنعة
الشعر ولا يقصد منه ان يقصد صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيات لو اشعار
تتبعت لوجد فيه مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عايشة كان رسول الله عليه وسلم يخصف
نعله وكنت اغزل فقالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبينه يعرق
وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل
جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما
يقول يا عايشة ابو الهذلي فقلت يقول ومبرا من كل غبر حيضة ؞ وفساد مرضعة وداء مغيل ؞
واذا نظرت الى اسرة وجهه ؞ برقت كبرق العارض المتهلل ؞ قالت فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما كان عليه وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة
خيرا ما سررت بشي كسروري منك ولما قسم الغنايم امر لعباس بن مرداس باربع قلايص
فانبعث يشكو في شعر له وفي اخره حيث يقول وما كان بدر ولا حابس ؞ يسودان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرء منهما ؞ ومن تضع اليوم لا يرفع ؞ فقال صلى الله عليه وسلم
اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار له مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي وامي
انت اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد
بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر
حتى تدع الابل الحنين الافة العاشرة المزاح واصله مذموم ومنهي عنه الا قدر
يسير يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت
المماراة ايذا لان فيها تكذيب الاخ والصديق وتجهيلا اما المزاح فطايبة وفيه

وامر لعيينة ابن حصين ... الابن بدر والاقرع ابن حابس بمائة من الابل

انبساط وطيبة قلب فلم ينه عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما
المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة
واما الافراط منه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة
في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر ان
يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس
كيف كان وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه
يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح
استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن
الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج
منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما روي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن
اسباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل ان عطا السلمي لم يضحك اربعين
سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هولاء غفر لهم
فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن
ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب
ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت رجلا في الجنة
وهو يبكي الست تتعجب من بكائه قال بلى قال والذي يضحك في الدنيا ولا يدري
الى ما يصير اليه اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود
منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان يضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله نفرت
به وجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم
وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم
وافواهكم ملأى من دمه واما اذا اداء المزاح الى سقوط الهيبة والوقار فقد قال عمر
ومن مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمزح مع الصبيان فتهون
عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح
الدني فيجتري عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانهما

تورث

توورث الضغينة وتجر الغيبة فخر ثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن
جميل من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح
مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح
مظنة للتهم ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط
فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم
ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذن لعايشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغاير
ما يصير كبيرة بالاصرار عليه ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم
روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال فاني وان داعبتكم فلا اقول الا
حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح
فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال البسيه واحمدي الله وجري فيه ذيلا
كذيل العروس وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس وروي
انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا
انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن
جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو
الذي في عينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت
لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وبعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة بياض صح
وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وسلم نحملك
على ابن بعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن
بعير وكان يمزح به وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان رسول الله صلى الله ابن صح
عليه وسلم ياتي ابا عمير ويقول له ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور و ابا عمير صح
قالت عايشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا
عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوم ونحن بذي المجاز وانا

جارية قد بعثني ابي لتني فقال اعطينه فابيت وسعيت فسعي على اثري فلم يدركني وقالت
عائشة سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني
فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسوده فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن
او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت من الصحفة شيًا فلطخت به وجهها ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته
لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيًا فمسحت به وجهي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك وروي ان الضحاك ابن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له عندي امراتان احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن
احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت قال
بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسالة عائشة وخطابها
اياه لانه كان رجلا دميما وروي عقبة عن ابي سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يدلع
لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله
ليكونن لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من
لم يرحم لم يرحم واكثر هذه المطايبات منقولة له مع النساء والصبيان وكل ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم
لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان
جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد
قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرد منه كلما رايته حياء منه قال فقدمت
المدينة وبعدما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت
فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد
بعد قال فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان
نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به النبي صلى الله عليه وسلم
فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما اكثر ذلك منه قال له رجل لعنك
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل

وجهها

المدينة

76

المدينة رسلاً ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول
هذا هدية لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويقول يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهد
لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور
لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب الآفة الحادية
عشر السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان موذيا قال تعالى لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب
والنقايص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكات في الفعل والقول
وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه
معنى الغيبة قالت عايشة حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب
اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى ويقولون يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزا
بالمومن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرايم و
الذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم
في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم بما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزين
بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق
دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما
يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن
جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى
يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة واستصغارا له
وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم ان لا تستحقره استصغارا ولعله
خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح
من ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما
المحرم استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك
تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة
كالضحك على خطه او على صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا
بعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها الآفة الثانية
عشر افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذا والتهاون بحق المعارف والاصدقاء

حو عه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو امانة
وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك
وروي ان معاوية اسر الى الوليد ابن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المومنين
اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم
سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت وان هذا ليد
خل بين الرجل وبين ابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث
السر قال فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا فافشاء
السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم فان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا
ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا نعيده الافة الثالثة عشر
الوعد الكاذب فان اللسان سابق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفا فيصير الوعد
خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون وقد قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال الواي مثل الدين
والوافي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل صلى الله عليه وسلم فقال
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع
فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة
قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوا
الله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن
ابي الخمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان اتيه بها في مكانه
فنسيت ذلك يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد
شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد
فلا يجي فقال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول
ان شا الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان
يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال
عمر بن عبد الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا
ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد

وهو على عزم

وهو على عزم الخلف وترك الوفا من غير عذر واما من عزم على الوفا ومن يكن له
عذر يمنعه عن الوفا لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن
ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز عن حقيقته ولا ينبغي ان
يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم خادما من السبي فاتي بثلاثة من السبي
فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تطلب منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر موعده لابي
الهيثم فجعل يقول كيف موعدي لابي الهيثم فاثره به على فاطمة لما سبق من موعده
له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالسا فقسم غنايم هوزن بحنين فوقف عليه رجل من الناس
فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال
احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك
وقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم
واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك
الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اشح من
صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من الخلف ان
يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته
ان يفي فلا يجد فلا اثم عليه الافة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين وهو
من قبايح الذنوب وفواحش العيوب قال اسماعيل بن الوسط سمعت ابا بكر الصديق
يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما
في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب
النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول
والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب قال
صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت بم
به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك كذا وكذا
ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما

وهما
من صح

فقال لو فيء باء احدكما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكذب
ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس
الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة المنان
بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره خيلا وقال صلى الله
عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في
قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
يحبهم الله عز وجل رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه
او على اصحابه ورجل كان له جار سوء يوذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت
او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض
فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشناهم الله التاجر الحلاف والبياع
الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث
فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم كان رجلا — رأيت
جاني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس بيد القائم
كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه — به
الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا
قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله ابن جراد انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المومن قال قد يكون من ذلك
قال يا نبي الله هل يكذب المومن فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يومنون وقال ابو سعيد — بآيات الله
سمعت رسول الله يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا
ولساني من الكذب فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر — وصص
اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل
مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا
صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما لو لم تفعلي
كتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو اتاني الله على نعما عدد هذه
الحصا لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه
وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين

ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال
صلى الله عليه وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وقال
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي
يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن
فلا يخون وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله
عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه الكذب واما نشوقه
فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه بالجابية فقال قام رسول فينا
الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم
ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل اليمين ولم يحلف ويشهد وقال صلى الله عليه وسلم ولم يستشهد صح
من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال من قال عني حديثا
يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين
ياثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال
صلى الله عليه وسلم على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
وقالت عائشة ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه
على الكذبة فما تنجلي من صدره حتى يعلمه قد احدث الله عز وجل منها توبة وقال
وقال موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا يا رب اي عبادك خير عملا قال من
لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب
فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم
في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديثا
وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في
خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة
وقال معاذ قال صلى الله عليه وسلم اني اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفا
بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح واما الاثار قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا
عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد
العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم

الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم
فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون ابن ابي شبيب قال
قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت
فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار
الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه
انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم
قال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله
فان كان صادقا [illegible] صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض
من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان
في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شي
فقال له كذبت فقال له عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه بيان
ما يرخص فيه الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من
الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشي على خلاف
ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة
فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال
ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا يسعى واخر وراءه
بالسيف فدخل فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما ذا كنت قائلا الست تقول لم اره
وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود
محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان
امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك
المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم
واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب
ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني الا
بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب
الكذب فيخشى عليه ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما يقتصر على قدر الضرورة
فكان الكذب حرام في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثنا ما روي
ان ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي
من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الصلاح يقول القول في الحرب

على

79

والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها **وقالت** ايضا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت
اسما بنت زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن
ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما **وروي** عن ابي كاهل قال وقع بين
رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فعلت صح
مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر فقلت له مثل ذلك
حتى اصطلحا فقلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا باكاهل اصلح بين الناس ولو يعني بالكذب وقال بن يسار
قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال
اعدها واقول لها قال لا جناح عليك **ويروي** ان ابن عزرة الدؤلي كان
في خلافة عمر يخلع النساء اللاتي يتزوج فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها
فلما علم بذلك قام بعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك
الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم فقال قالت
لابن ارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن
فسال ابن ارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عزرة فجاءت هي وعمتها
فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضيه فقالت اني اول من تاب
وراجع امر الله انه ناشدني الله فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين
قال **نعم** فاكذبي وان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان
اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب
وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب
كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين
شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع
به مسلم او دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني
وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها
ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم و
يساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين
الله ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت خمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة
فاحشة اخرى وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان
كان كذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره ويصلح بين الضرات
من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد
ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا لقلبها صح
بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور فينبغي
ان يقابل احدهما بالاخر ويزنه بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل با
لصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود
اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند
ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك
في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد
ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة فيستحب له ان يترك
اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار
به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هي لزيادات المال والجاه ولامور
ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة
الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شي
قال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور
يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي ليس
يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا
ادري وهذا حرام واما ما يلتحق بالنساء والصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب
في المكتب الا بوعد ووعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الا
خبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب
بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور
كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل
ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم
ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض
جدا فالحزم في تركه الا ان يكون واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يؤدي الى سفك دم

اوارتكاب

اوارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل
الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض
اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهذا
لا يترك الا لضرورة اذ في الصدق منه وجه على الكذب ففيما ورد من الايات
والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط
وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ما هذا من الاغراض التي تقاوم
محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه
الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شي **بيان الحذر من الكذب بالمعاريض**
وهو نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب **قال** عمر رضي الله عنه
اما في المعاريض ما يكفي الرجل من الكذب **وروي** ذلك عن ابن عباس وغيره وانما
ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة
فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون **ومثال** المعاريض ما
روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي
منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شي فكرهت
ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قوله ما حرف نفي
عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت امراته ما جيت
به مما ياتي به العمال وما كان معه شي فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث عمر معك ضاغطا فقامت
بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمعه عمر دعا معاذا وقال ابعثت معك
ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيا فقال
ارضها به وقوله ضاغطا يعني به ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك
سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان ابراهيم اذا طلبه في
الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هاهنا
كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت من يكرهه يخط دائرة و
يقول للجارية ضع الاصبع فيها وقولي ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة
واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا
فهو مكروه على الجملة **كما روي ان** عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد
العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين

فكنت اقول جزى الله امير المومنين خيرًا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما اشبهه
فنهاه عن ذلك لان فيه تغريرًا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل فلا
فائدة فيه **نعم** المعاريض تباح **لغرض** خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح **كقوله**
صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير
فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري في قصة الضرير اذ قال له انه النعمان وكما
يعتاده الناس من ملاعبة الحمقا بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان
كان فيه ضرر يودي الى ايذا قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف
صاحبها بالفسوق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه **قال** رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يستكمل المرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب
الكذب في مزاحه **واما** قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك
بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذا قلب دون
محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسوق ما جرت العادة به في المبالغة
كقوله قلت لك مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل
تفهيم المبالغة وان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبًا وان طلبه مرات لا يعتاد
مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان
بالمبالغة فيه لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل فيه ان يقال كل الطعام
فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح **قال**
مجاهد قالت اسما بنت عميس كنت صاحبة عايشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها و
ادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا
عنده قرى الا قدحًا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها قالت فاستحت
الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فا
خذته على حيا فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقالت لا اشتهيه فقال لا
تجمعن جوعًا وكذبًا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشي تشتهيه
لا اشتهيه ايعد ذلك كذبًا قال ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة وقد كان
اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب **قال** الليث بن سعد كانت
ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال لو مسحت
هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول
لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب
ولا يشعر وعن خوات التيمي **قال** جات اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني

له فانكبت

81

لى فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بنى فجلس ربيع وقال ارضعتيه قالت لا قال
ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان تقول يعلم الله فيما لا تعلمه
قال عيسى صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد
ان الله يعلم لما لا تعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم **قال** صلى
الله عليه وسلم ان من اعظم الشرك ان يدعي الرجل الى غير ابيه او ترى عينيه في المنام
مالم تره او يقول علي ما لم اقله وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد شعرة
الافة الخامسة عشر الغيبة والنظر فيه يطول فنذكر اولا مذمة الغيبة وما
ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه وتعالى على ذمها في كتابه وشبه
صاحبها باكل لحم الميتة **فقال** ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا فكرهتموه **وقال** صلى الله عليه وسلم كل المسلم حرام على المسلم دمه وماله و
عرضه والغيبة تناول للعرض وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه
وبين الدم والمال **وقال** ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا **وعن جابر** وابي
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة
اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله
له حتى يغفر له صاحبه **وقال** انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت
ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم **وقال** سليم بن جابر
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا
تحقرن من المعروف شيا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان يلقاك
اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتبه **وقال** البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها **فقال** يا معشر من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه
لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته
ومن يتبع الله عورته يفضحه الله في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى صلى الله
عليه وسلم من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها
فهو اول من يدخل النار **وقال** انس بن مالك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا
جعل الرجل يجي فيقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظللت صائما فائذن لي لافطر فياذن
له والرجل حتى جاء رجل **فقال** يا رسول الله فتاتان من اهل بيتي ظلتا صائمتين

ظللت

وانهما ليستحييان ان ياتياك فاذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه و
عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب
فامرهما ان كانتا صائمتين ان يستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقائتا فقاءت كل واحدة فقاءت
منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال والذي نفس
محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك
وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه و
سلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد
حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما
احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان
لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم
يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ستة وثلاثين زنية يزنيها
الرجل وان اربا الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر بن عبد الله كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مسير فاتينا على قبرين يعذب صاحبهما فقال انهما ليعذبان
وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة ويغتاب واما الاخر فكان
لا يستبرئ من بوله فدعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست
على قبر فقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين
او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزنا قال رجل لصاحبه
هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معهما بجيفة
فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما
انتن من هذه وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون
ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم
اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله و
يضج ويكلح ويروى كذلك مرفوعا وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب
من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه وقد
شيء فاقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء
فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلاة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا
صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الطعان في الناس واللمزة
الذي ياكل لحم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة
وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن

من الاكلة في جسده **وقال** بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا
في الصلوة ولكن الكف في اعراض الناس **وقال** ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب
صاحبك فاذكر عيوبك **وقال ابو هريرة** يبصر احدكم القذا في عين اخيه ولا يبصر
الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لم تصب حقيقة الايمان حتى لا
تعيب الناس وهو فيك حتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت
ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا **وقال**
مالك بن دينار مر عيسى بن مريم والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن
ريح هذا **فقال عيسى** ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب و
ينبههم على انه لا يذكر شي من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن حسين رجلا يغتاب
اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس **وقال** عمر رضي الله عنه
عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء **بيان معنى
الغيبة وحدها** اعلم ان الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سوا ذكرت
نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في دينه او في دنياه وحتى
في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر
والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه فاما النسب
فان يقول ابوه هندي او نبطي او فاسق او خسيس او اسكاف او بزاز او شي مما
يكرهه كيف كان **واما** الخلق فانه يقول انه سي الخلق بخيل متكبر مراي شديد
الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه **واما** في افعاله المتعلقة
بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب خمر وخائن وظالم ومتهاون با
الصلوة وبالزكوة لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا
بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرز صومه من الرفث
والغيبة والتعرض لاعراض الناس **واما** فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل
الادب يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير
الكلام كثير الاكل وانه نوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه **واما**
في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب **وقد قال** قوم لا غيبة في الدين
لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل **ما روي** انه
ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلاتها الا انها توذي جيرانها
فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن فهذا
فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام من رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسوال اولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب لانه داخل فيما
ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا
فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك
اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول
فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته وقال معاذ ابن جبل ذكر رجل عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم
صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه و
عن حذيفة عن عايشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل
في كتاب الله الغيبة ان يقول ما فيه والبهتان ان يقول ما ليس فيه والافك
ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال
استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعي ولم يقل الاعور
فقالت عايشة لا يغتابن منكم احدا واني قلت لامراة يوما وانا عند النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم
بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم
لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه والتعريض فيه كالتصريح
والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والرمز والغمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم
فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عايشة رضي الله عنها دخلت علينا
امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها
ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة
لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة
حكت واومت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا
وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين
كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي
بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص
معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه
اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما

اذا لم يفهم عنه جاز فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا كره من انسان شيئاً
قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر
وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع
الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا
من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا
بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي
لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة
الحيا نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعا
وكذا قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر فيذكر
نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين وفي ذم انفسهم
انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه ويجمع بين ثلاث فواحش وهو
بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان
باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم
ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا ينتبه له بعض
الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله
فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلاً
منه وغروراً وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسال
الله ان يروح سره ويكون كاذباً في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعا بل لو قصد
الدعا لاخفاه في خلوة عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه
وكذلك تقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل
ذلك يظهر الدعا والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه
قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى
الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة
فيندفع فيها فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب اما علمت
انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسبته غير هذا عافانا الله من بلايه
فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة ثم الساكت شريك
المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد
روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه فلان لنوم ثم طلبا اداما من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا مع الخبز فقال عليه السلام قد ايتدمتما

في العبادات ولكن قد اعتراه
غرور وابتلي بما ابتلي به ممن لا
وهو قلة الصبر صح

فقالا ما نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القايل احدهما
والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب
انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر
بلسانه وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فلم
يقطعه لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهي لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه
عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اسكت او يشير بحاجبه وجبينه
فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر ان ينصره اذله الله يوم القيمة
على رؤوس الخلايق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض
اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا من
ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وورد في نصرة
المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة و
حقوق المسلمين فلا نطول في الاعادة **بيان الاسباب الباعثة على الغيبة**
اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق
العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاولى تشفي الغيظ
وذلك اذا جرى سبب غيظ به عليه فاذا هاج غيظه تشفى بذكر مساويه وسبق
اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب
فيحتقن الغيظ في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دايما لذكر المساوي
فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة
الرفقا ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه
لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة
ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج ان يغضب لغضبهم
اظهارا للمساهمة في السرا والضرا فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي
فيهلك معهم الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه
او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح
هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب
عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب
فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد
ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي

فعله

فعله وكان من حقه ان يبتدي بنفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر
غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه الخامس بتنقص غيره
فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك
نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك
السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه
فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان
يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل
عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب
والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق
المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت
بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب
الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور
ويجري ايضا في الغيبة ومنشاه التكبر واستصغار المستهزا به واما
الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها
الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به الاولى
ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول
ما اعجب ما رايته من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر و
لكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر
تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت
من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو
جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين
فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم
عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا
وكذلك تعجبه ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن
دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل ثواب اغتمامه وترحمه
الثالث الغضب لله فانه يغضب على منكر قارفه انسان اذا راه او سمعه
فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف
ولا يظهره لغيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها
على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان

له كان عذرًا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة
فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم
اني لابغض هذا في الله فقال اهل المجلس والله لتنبئن ما قلت او والله لننبئنه
قم يا فلان لرجل منهم قم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم واخبره فاتى
الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال فساله ان يدعوه فدعاه
فساله فقال نعم قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه
قال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة
قال الرجل فسله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها
والركوع والسجود فيها فساله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط
الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فساله يا رسول الله هل
راني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا قال والله ما
رايته يعطي سايلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الله
الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل راني نقصت منها
شيئا او ماكست فيها طالبها التي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله
خير منك **بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبة** اعلم ان
مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة
بمضادة سببها فلنتفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على و
جهين احدهما على الجملة والاخرى على التفصيل اما على الجملة فهو يعلم انه
تعرض لسخط الله بغيبته لهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط
حسناته فانه تنقل حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم
يكن له حسنات نقل من سياته وهو مع ذلك يتعرض لمقت الله ومشبه
عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان تترجح كفة سياته وربما ينقل
اليه سيئة واحدة من الجناية فيحصل بها الرجحان فيدخل بها النار وانما
اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة
والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار
في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال
للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي
فمهما امن العبد بما وردت به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك

وينفعه

وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه عيوب فان وجد فيها عيبًا اشتغل بعيب نفسه
وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما
وجد عيبًا فيستحي ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره
عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبًا يتعلق بفعله
واختياره وان كان امرًا خلقيًا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد
ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق وجهي الي فا
حسنه وان لم يجد العبد عيبًا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه
باعظم العيوب فان غيبة الناس واكل لحم الميتة من اعظم بل لو انصف لعلم
ان ظنه بنفسه انه بري عن كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان
يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان
يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة
اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة
بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب
افاة الغضب وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله ان يمضي
غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت
بزجره وقال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابًا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية قدم
الله وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو يقدر ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة
على رؤوس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتاب الله يا ابن
ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما
الموافقة فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين
فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان
يكون غضبك لله ايضا على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش
الذنوب وهي الغيبة واما تزكية النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغنى
عن ذكر الغير فيعالج بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت
الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك هل تتخلص
من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة او
تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدًا وتنتظر دفع ذم الخلق
نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك اني اكلت لحم الحرام

فلان يا كل وان قبلت مال السلطان فلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتدا
بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدا به كاينًا من كان ولو دخل
غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما
ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين
المعصيتين على جهلك وغباوتك وقد كنت كالشاة تنظر الى العنز يردي نفسه
من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان تعتذر به
لصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسه فكذلك افعل
لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من
نفسك **واما** قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادات الفضل
بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله
وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك
اذا عرفوك بثلب الناس فيكون قد بعت ما عند الخالق يقينًا بما عند المخلوق
وهمًا ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله
شيئًا **واما** الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة
الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا
في الاخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك
واهديت اليه حسناتك فانت اذن صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره
غيبتك وتضر نفسك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك وتنقل اليك سيئاته
ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك
سبب انتشار فضل محسودك **فقد** قيل اذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود **واما** الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك
عند الناس باخزاء نفسك عند الله وعند الملايكة والنبيين فلو تفكرت
في خزيك وحيائك وخجلك وخزيك يوم تحمل سيئات غيرك ممن
استهزيت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزا صاحبك حالك ولو عرفت
لكنت اولى ان يضحك منه فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك
لان ياخذ بيدك في القيمة على ملاء من الناس ويسوقك تحت سياته كما
يساق الحمار الى النار مستهزيا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه
وتسليطه على الانتقام منك **واما** الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك
ابليس واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون

خير

خير الاثم لمرحوم فيخرج عن كونه مرحومًا وتنقلب انت مستحقًا لان تكون
مرحومًا اذا حبطت اجورك ونقصته من حسناتك وكذلك الغضب لله
لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك
وتصير معروضًا لغضب الله بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى
الغيبة فتعجب من نفسك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه
وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهوان يهتك الله ستركما
هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق
بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك
بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك
ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس
فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه
النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس
لك ان تعتقد في غيرك سوءًا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند
ذلك لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك
ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق
الفساق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ
فتبينوا ان تصيبوا قومًا بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة
تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان يصدق به حتى ان من استنكهته فوجدت
من فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر
ومجه وما شربه او حمل عليه قهرًا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب
واساءة الظن بالمسلم محرم فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم
دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح
به المال وهو يقين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك خاطر
سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور

ولكونه اثمًا عنه صح

لان الفاسق يتعلق ان يصدق
في خبره صدقا ولكنه لا يجوز لك ان
تصدقه

كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر **فان قلت** فبماذا يعرف عقد الظن
والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه
كما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام
بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث
في المومن وله منهن مخرج فمخرجه من سو الظن ان لا يحققه ان لا يحقق
في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة
والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى
مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك
وذكايك وان المومن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان
وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا
لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا
من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسوء الظن بالاخر نعم
بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه
وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك على عدو
عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن
تقول المذكور حاله في ستر الله عني وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم
ينكشف لي شي من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه
وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا
قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته
ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا
بتناول اعراض الخلق فمهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته
وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك
الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعا والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة
فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته
فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم و
تنظر اليه بعين الاستصغار وتترفع عنه بادلال الوعظ وليكن قصدك
تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي
ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك
كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن

ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان الرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة الاولى التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكن استيفا حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح بينهم ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ولم ير عمر ذلك ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما والثالث الاستفتا كما تقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعرض بان تقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح لهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطي ما يكفيني انا وولدي افاخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى اهل الشر

او مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدا اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته

وفسقه لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس

الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا

وقد عرفت من المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر

ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر على البايع والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك

المزكي ذلك اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج

وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة

وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا

ينزجر الا بالتصريح بغيبته فله ان يصرح قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم اترغبون عن ذكر الفاجر الذي يعرفه الناس اذ ذكروه بما فيه

يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع

والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن

عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول ذلك روى ابو الزناد

عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك

لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم

بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف

بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم

النقص السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب

الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس او كان ممن يتظاهر

بالفسق بحيث انه لا يستنكف من ان يذكر به فاذا ذكر به ما يتظاهر به فلا اثم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا عن نفسه

فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهرون

بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن

الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال ولا كرامة

قال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام

الجاير وهولاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون

به وكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير

ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال

ابن سيرين ان الله حكيم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج

لمن ظلم

88

لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك
من اعظم ذنب اصابه الحجاج **بيان كفارة الغيبة** اعلم ان
الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من
حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي ان يتحلله و
هو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع
وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى **وقال**
الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك **بما روى**
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته
ان تستغفر له **وقال** مجاهد كفارتك عن اكل لحم اخيك ان تثني عليه
وتدعو له بخير وسئل عطا ابن ابي رباح عن التوبة من الفرية فقال تمشي
الى صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت
بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح فقول القائل العرض لا عوض
له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض
حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما **روي** انه
صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال
فليتحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ
من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد
على سيئاته وقالت عايشة رضى الله عنها لامراة قالت لاخرى انها
طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر
عليه فان كان غايبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعا
ويكثر من الحسنات **فان قلت** فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع
والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ
في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب كان اعتذاره
وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض
السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني **وقال ابن سيرين**
اني لم احرمها عليه فاحلها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت
لاحل ما حرمه الله ابدا **فان قلت** فما معنى قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد
به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين

حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز ان يحلل لغيره الغيبة **فان قلت**
فما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي
ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على
الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان
لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة يوم
القيمة ولا اخاصم والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة به لانه
عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفا بان لا يخاصم وان رجع
كان قياس سائر الحقوق واذ له ذلك بان صرح الفقهاء بان من اباح
القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا
وعلى الجملة فالعفو افضل **قال الحسن** اذا جثت الامم بين يدي الله يوم
القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا
وقد قال تعالى خذ العفو الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
جبريل ما هذا قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من
قطعك وتعطي من حرمك **وقد روي** عن الحسن ان رجلا قال له ان
فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب **وقال** بلغني انك قد اهديت
الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك
على التمام **الافة السادسة عشر** النميمة وقد قال تعالى هماز مشاء
بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله ابن المبارك ولد الزنا لا يكتم
الحديث واشار به الى كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه
ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو
الدعي **وقال** تعالى ويل لكل همزة قيل الهمزة النمام وقال حمالة
الحطب كانت نمامة حمالة الحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا قيل كانت امرة لوط تخبر بالضيفان وامرة نوح
كانت تخبر انه مجنون **وقد قال** النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام **وقال**
ابو هريرة قال رضي الله عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الـ
الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون لكم العثرات وقال صلى الله
عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون

رسول الله صلى الله

89

بين الاحبة الباغون لكم العيب وقال صلى الله عليه وسلم من اشاع على مسلم كلمة
ليشينه بها بغير حق حتى شانه الله في الدنيا يوم القيمة وقال ابو الدرداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة هو منها
بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يدينه بها يوم القيمة وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم شهادة
ليس لها باهل فليتبوء مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة
وعن ابن عمر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي
وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر
ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا
المخنث ولا قاطع رحم ولا على الذي يقول على عهد الله ان لم افعل كذا وكذا
ثم لم يف به وروي كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى
مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم
نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال
يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال
اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك
للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض
وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منها وعن النار وما احر منها وعن
الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى عنه وعن اليتيم وما اذل منه
قال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب
القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا
لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل
من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم ان النميمة اسم انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المنقول فيه كما تقول
فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما
يكره كشفه سواء كره المنقول عنه او المنقول اليه او كره ثالث وسواء كان
الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان ذلك عيبا او نقصانا على

المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة
افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما راه الانسان من
احوال الانسان فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فايدة لمسلم
او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة
لحق المشهود عليه واذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء
للسر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع
بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه
او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في
الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وهو يريد
في افساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح او ما يجري مجراه فعليه
ستة امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة
قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني**
ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف
وانه عن المنكر **الثالث** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله
ويجب بغض من يبغضه الله **الرابع** ان لا تظن باخيك الغايب سوء
لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكى
لك على التجسس والبحث لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا **السادس**
ان لا ترضا لنفسك ما نهيت عنه النمام فلا تحكي نميمة فتقول فلان كذا
وكذا فتكون به نماما ومغتابا او تكون قد اتيت ما نهيت عنه **وروي**
عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده من رجل شيا
فقال عمر ان شيت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من
اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا
كنت من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شيت عفونا عنك فقال
العفو يا امير المومنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره
بعض اخوانه فاخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات بالزيارة
واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ و
اتهمت نفسك الامينة **وروي** ان الخليفة سليمان ابن عبد الملك
كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان ان الذي
اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا يكون النمام صادقا

فتبينوا صح

قد حكى صح

بلغني انك وقعت في
وقلت كذا وكذا فقام
الزهري ما فعلت ولا قلت
فقال سليمان صح

فقال سليمان صدقت اذهب بسلامة وقال الحسن من نم لك نم عليك
نم عنك وهذه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته
وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر و
الخيانة والغل والحسد والنفاق بين الناس والخديعة وهو ممن — والافساد
يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال تعالى ويفسدون في
الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون
في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل
الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى
عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن
نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك
وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المومنين وقيل لمحمد
بن كعب القرظي اي خصال المومن اوضع له قال كثرة الكلام
وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا
بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان
ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال
ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع
عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال
ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال
مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان
السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شي فاخبر به
كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان
في صدقه اثما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي
النميمة الا انها اذا كانت الى من لا يخاف جنابته سميت سعاية وقد قال
صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني
ليس ولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن
في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المومنين بكلام فاحتمله وان كرهته
فان وراه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المومنين انه قد اكتنفك
رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله

اشتغل

ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه ولا تضع
اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لم يالوا الامة خسفا جفا والامانة
تضييعا والاعراض قطعا وانما اكثا اعلا قربهم البغي والنميمة واجل
وسايلهم الغيبة والوقيعة وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين
عنما اجترحت فلا تصلح دنياهم بما بفساد اخرتك فان اعظم الناس
غبنا بايع اخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الى سليمان ابن عبد الملك
فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول «امنا لعل اما ائتمنتك
خاليا» فخنت واما قلت قولا بلا علم» فانت من الامر الذي كان بيننا «
بمنزلة بين الخيانة والاثم» وقال رجل لعمرو ابن عبيد ان الاسواري
ما يزال يذكرك في قصصه بسوء فقال عمرو ما رعيت حق مجالسة
الرجل نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين بلغتني عن اخي ولكن
ابلغه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيمة تجمعنا والله
يحكم بيننا وهو خير الحاكمين» ورفع بعض السعاة الى الصاحب
بن عباد رقعة بنه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على
ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم
جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان الحكيم
لابنه يا بني اني موصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط
خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك
واصل اقاربك منهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم
خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تغتبهم ولم
يغتابوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق
وهي اثافي الذل وقال لو صح ما نقله النمام الظالم اليك لكان هو المجترئ
بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك **الافة
السابعة عشر** كلام ذي اللسانين المتردد بين المتعاديين ويكلم كل
واحد منهما بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يصادق متعاديين وذلك عين
النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين
الذي ياتي هولاء بحديث وهولاء بحديث هو هو في لفظ

والجراحات صح

فلما بلغت اليه قصته وقراها

بعضهم

اخر الذي

وهؤلاء بوجه قال صلعم

اخر الذي ياتي هؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين
ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرات في التوراة ابطلت
الامانة والرجل مع صاحبه شفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة
كل ذي شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض
خلق الله اليه يوم القيمة الكذابون والمتكبرون والذين يكنزون
البغضا لاخوانهم في صدورهم فاذا القوهم تخلقوا لهم والذين اذا
دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا
سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي
يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق
علامات كثيرة من جملتها وهذه وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول
صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت
رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه
فقال يا امير المومنين انه منهم قال فنشدتك الله انا منهم
ام لا قال لا ولا امن فيها احدا بعدك فان قلت فيما يصير ذا اللسانين
وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما
وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق
متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت
الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في اداب الصحبة
والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك
شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان
لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعادات مع
صاحبه فهو ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره
وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على
احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان
يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين
يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا
قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء فلو
استغنا عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثني فهو نفاق لانه الذي

اذا كان صح

التهم صح

احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك
المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنا واثنى فهو منافق وهذا معنى
قوله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامرا ومراعاتهم فاما اذا ابتلى به
لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقا الشر جايز قال ابوا
الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت
عايشه رضى الله عنها مر رجل برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بئس الرجل العشيرة فلما دخل عليه اقبل عليه فراجعته قال
يا عايشه ان شر الناس الذي يكرم لاتقاء شره ولكن هذا
ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثنا فهو كذب صريح
فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب لمثلها كما ذكرنا في افة
الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الراس في معرض
التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان
ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه الافة الثامنة عشر
المدح وهو منهى عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة
وقد ذكرنا حكمها والمدح تدخله ست افات اربع في المادح واثنتان
في الممدوح فاما المادح فانه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال
خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد
بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الريا فانه
بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير
به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى
الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح
ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي
على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الافة تتطرق الى المدح
بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير
وما يجري مجراه فاما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه
امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي
ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على رجل

الا انه القول فلما خرج قالت عايشة فقلت
بشئ الى الصحيح ثم النبه القول فقال صح

فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته بالمبايعه والمعامله قال لا قال
والله الذي لا اله غيره لا تعرفه **الرابعة** في مدح الممدوح وهو ظالم
او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا الظالم بالبقا فقد احب
ان يعصى الله في ارضه فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح فيفرح
والفقها اما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث منه كبرا واعجابا
وهما مهلكات قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة
والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها
عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي
ولك يا امير المومنين قال مالي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال
خشيت ان يخالط قلبك منها شي فاحببت ان اطاطي منك الثانية هو
انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه
قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الالسن
بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت عنق
صاحبك لو سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك
في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح
رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثنا ولا مدحة
الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء
عليه او مدحة الا ترايا له الشيطان ولكن المومن من تواضع
قال ابو المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب
العوام ~~واما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام~~ واما ما ذكر مطرف
فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل
بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي
الله عنه المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح
يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح
فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الافات في حق المادح
والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك
اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت

يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل
رتبة من ان يورثهم ذلك عجبا او كبرا او فتورا. ا لمدح الرجل نفسه قبيح لما
فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثنا
على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله عز وجل وبقربه من الله
لا بولد ادم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما
انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وتفصيل هذه
الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال
صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد
ان لبني ادم جلساء من الملايكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قال الملايكة
ولك مثل ذلك واذا ذكره بشر قالت الملايكة يا ابن ادم المستور عورته اربع
على نفسك واحمد الله تعالى اذا ستر عوارتك فهذه افات المدح
بيان ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز
عن افات الكبر والعجب وافات الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف
نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقايق الرياء وافات الاعمال وانه يعرف
من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره
لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الا
شارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المادحين قال
سفين بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين
فقال اللهم هؤلاء يعرفوني وانت تعرفني وقال اخر لما اثني عليه
اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا
مما يظنون واثني رجل على عمر فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثني
رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون
ما قلت وفوق ما في نفسك الافة التاسعة عشر في الغفلة عن
دقايق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته
ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا
العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن
الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله وقال حذيفة قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشيت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شيت

وقال صلى الله عليه وسلم ... في الاولى

وذلك لان

وذلك لان في العطف بالمطلق تشريك وتسوية وهو خلاف الاحترام و
قال ابن عباس جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض رسول
الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني
لله عديلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى
عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى فقال بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى
وكره قوله ومن يعصهما لان فيه تسوية وجمع وكان ابراهيم يقول يكره
ان يقول الرجل نعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك
وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره
بعضهم ان يقول اعتقنا من النار ويقول العتق يكون بعد الورود
وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم
اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة
ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون
شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل
يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة احمارا رايتني خلقته اخنزيرا رايتني
خلقته وعن ابن عباس ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه
يقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف
بالله او ليصمت قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت وقال
صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن
احدكم عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله و
لكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي وربتي
ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب الله وقال
صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد انا
اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال بريء من الاسلام
فان كان صادقا فهو كما قال فان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام
سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل
جميع ما اوردنا من افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند

ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الافات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وتقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

الافة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذا الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة تركبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القران والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال سائسات الدواب عن اسرار الملك وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي **وقد قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم فاتوا منه ما استطعتم **وقال** انس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي قال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا قال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار **فقال** لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله

عليه

عليه وسلم رسولا فقال اجلس رحمك الله انك كما علمت لموفق
وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال و
كثرة السؤال واضاعة المال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك
الناس ان يتساءلوا بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن
خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختم السورة
ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان
الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة
موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل
اوان استحقاقه اذ قال فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه
ذكرا فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال
لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلم لم يصبر حتى
سال ثالثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال
العوام عن غوامض الدين من اعظم الافات وهي من
المثيرات للفتن فيجب ذمهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف
القران ايضا هي اشتغال من كتب اليه الملك بكتاب رسم له
فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان القرطاس
الكتاب حديث او عتيق فاستحق به العقوبة لا
محالة فكذا تضييع العامي حدود القران وا
شتغاله بالحروف انها قديمة او محدثة و
وكذا ساير صفات الله
تعالى وصلى الله على سيدنا
محمد واشرف وكرم

فرغ منه كاتبه العبد الضعيف المعترف بالذنب والتقصير الفقير الى الله ...

... ابن عبد الله ... غفر الله له ولوالديه ولمن ...

اليهما واليه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات برحمتك يا ارحم الراحمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
واصحابه وازواجه اجمعين
والحمد لله رب العالمين
٢٢٢
٢٢
٢

قاذ بعقتني

الكتاب الخامس من كتاب آفة الغضب من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوء
غضبه وسطوته لعله الا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث
لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون و
ابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره
واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن بحبهم ليعلم
صدقهم فيما يدعونه وعرفهم انه لا يخفى عليه شي مما يسرون وما
يعلنون وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يصير
تحت لوايه النبيون وعلى اله واصحابه الايمة المهديين والسادة
المرضيون صلاة يوازي عددها ما كان من خلق الله وما سيكون و
يحظى ببركتها الاولون والاخرون اما بعد فان الغضب شعلة
نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها
المستكنة في طي الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر
الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد
وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى
الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة
الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان
الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة
والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك
وفسد من فسد ومغرسهما مضغة اذا صلحت صلح بها ساير الجسد وان كان

الحقد

الحقد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة
معاطبه ومهاويه ليحذرها ويتقيها ويميطه عن قلبه ان كان وينفيه ومعالجته ان رسخ في قلبه ويداويه فان
من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق
الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وافات
الحقد والحسد في هذا الكتاب بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة
الغضب واسبابه ثم بيان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام
لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب
بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم
ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم بيان
القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم بيان القول
في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته
ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني
العم والاقارب وتاكيدها وقلتها في غيرهم وضعفها ثم بيان الدواء
الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي
الحسد عن القلب بيان ذم الغضب قال الله تعالى اذ جعل الذين
كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على
رسوله وعلى المومنين الاية ثم ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية
الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من
السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني
بعمل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال
لي لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله
بن عمرو انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب
الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما
تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن
الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه
وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته
وقال سليمان ابن داود عليه السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان

كثرة الغضب يستخف فوائد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله
تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو
الدرداء قلت يا رسول دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب
وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع الا اغضب
انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم
الغضب يفسد الايمان كله كما يفسد الصبر العسل وقال صلى
الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل
اي شي اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا
تغضب الاثار قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت يوشك
ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة
فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر
ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتوده
واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا
للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب ابن منبه ان راهبا
كان في صومعة فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطيع فجاءه حتى ناداه
فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه وقال
اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا با
لعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جيتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله
منك فقال انه هو الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجيتك
لتسالني عما شيت فاخبرك قال ما اريد ان اسالك عن شي قال
فولا مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني
ادم اعون لك عليهم قال الحدة قال ان الرجل اذا كان حديدا
قلبناه كما تقلب الصبيان الاكرة وقال خيثمة ان الشيطان
يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا
غضب طرت حتى اصير في راسه وقال جعفر ابن محمد
الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقايده
الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحكم الحلم زين ومنفعة و
الجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد
قال ابليس ما اعجزني بنو ادم فلم يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم

اخذنا

96

اخوانا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعلى عملنا بما احببنا واذا غضب قال
بما لا يعلم وعمل بما عليه يندم محله لما في يديه وتمنيه بما لا يقدر عليه و
قيل لحكيم ما املك فلان لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه
الهوي ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياكم والغضب فانه
يصيركم الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد
الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه
وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا
لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله لا تعاقب عند غضبك
واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه
لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان
كان للدنيا كان ذاهبا منكرا ان كان للاخرة كان علما
وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان
عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من
الهوي والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه
الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في
لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في
غنا وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب
ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا تستخفه حرصه
ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف
ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عنا والناس
منه في رخا وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة
فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه من تكفل لي ان لا
يغضب يكون معي في درجتي ويكون من بعدي خليفتي فقال شاب من القوم
انا ثم عاد اليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته
بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به فلما مات
كان في منزلته وهو ذو الكفل وقال وهب ابن منبه للكفر اربعة
اركان الغضب والشهوة والحرص والطمع بيان حقيقة الغضب
اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموت باسباب
في داخل بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه عن الفساد

قال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا

ويدفع عنه الهلاك الى اجل المعلوم سماه فى كتابه اما الاسباب الداخليه
فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة
ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تنفش
اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يجبر
ما انحل وتبخر من اجزايها لفسد الحيوان فخلق الله الغذا الموافق لبدن
الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل
به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك
فهذا السبب الداخل واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكا التي
لسيف والسنان وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية كا
تثور من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه
فى الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود
من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر
فى العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع
الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه
والعين والبشرة بصفايها يحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي
الزجاجة لون ما فيه وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه ياس من الانتقام
تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك
يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه الانتقام تولد منه تردد الدم
بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب
محلها القلب وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات
قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوة هذه
القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا يسكن الا بها ثم الناس في هذه القوة
على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال
اما التفريط فيفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي
يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من استغضب فلم يغضب
فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب
اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية
فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال الله تعالى جاهد الكفار

والمنافقين

والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية
وهو الغضب **واما** الافراط ان تغلب هذه الصفة حتى يخرج من سياسة
العقل والدين وطاعته ولا يبقا للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار
بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب
انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في
الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان
الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرودة
المزاج تطفيه وتكسر سورته **واما** اما الاسباب الاعتيادية فهي
ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك
شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال
ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر
بجهله فمن سمعه فيترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى
به الغضب ومهما اشتد نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه
عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله
وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب
فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان
دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى
الى معادن الحس فتظلم عينيه حتى لا يرى بعينيه وتسود عليه الدنيا
باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي
مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى
او انمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلم ولا ترى فيه صورة
ولا يقدر على اطفائه من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق
جميع ما يقبل الاحتراق فلذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما
تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت صاحبه
غضبا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وينهد اعاليه على اسافله و
ذلك لابطال النار ما في جوانبها من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذا
حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب
الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا
ان في السفينة من يحتال ليمسكها ويدبرها وينظر لها ويسوسها واما القلب

فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذا عماه الغضب واعماه ومن
اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد
على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان
في نفسه حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حيا من قبح صورته واستحالة
خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما
قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر
ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذه الثمرة في الجسد واما
اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبايح الكلام الذي يستحي منه
ذووا العقول ويستحي منه قايله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
التكلم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم و
التمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب
عليه اوفات بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب الى صاحبه فيمزق ثوب
نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الارض ويعدو عدو الواله السكران
والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض
لشدة الغيظ والغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيضرب القصعة على الارض فيكسرها وقد يكسر المائدة اذا
غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبه
ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته
دابته فرفس الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه
فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور و
العزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك
من القبايح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة
فقلة الانفة مما يونف منه من التعرض للحرم والزوجة والام واحتمال
الذل مع الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته
عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان
سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما جعلت الغيرة لحفظ
الانساب ولو تسامح الناس به لاختلطت الاسباب وكذلك قيل
كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسايها ومن

لعله الانساب

ضعف

ضعف الغضب الجبن والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال
عليه السلام خير امتي حدادها يعني في الدين قال تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة
بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات
الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل
والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على
حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى به عباده وهو الوسط
الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور
اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى يحس من نفسه ضعف الغيرة
وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج
نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام
الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف
على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد
من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله
ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذا حقيقة الغضب ودرجاته

بيان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه
تتوجه واياه تقصد وظن اخرون انه اصل لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير وكلا الرايين ضعيف
بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا
فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه اخر فلا بد

وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما
اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان
ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما هو
ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن
فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلابد وان يغضب وكذلك لمن
اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي
هي مسكنه او ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان اديق ٥
من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها **القسم الثاني**
ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب
فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور
حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب ح
على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنه في القوت فهذا الجنس في الوقت
مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت
له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان
يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها
فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها
واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر
في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب
اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا
يبالي ولو جلس في صف النعال لا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه
العادة الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه واكثرت
غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط
رتبة وانقص لان الحاجات صفة نقص مهما كثرت كثر النقص
والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري
انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادة
الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انه لا يحسن
اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير
وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل والغضب على
هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري **القسم الثالث**

ما يكون

مايكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب
مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه او يغرقه
وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل
الى القوت الا به فانما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
محبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وله
قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقايق
الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور الا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة
اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منهما اما القسم الاول
فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع
الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه
العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مرة حتى يصير
الحلم والاحتمال خلقا راسخا واما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك خلاف
مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر قوته وتضعيفه حتى لا
يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره
في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث
ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره
عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى
لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة
الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك
بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخرة وانما الدنيا معبر يعبر
عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه
ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها من القلب ولو كان للانسان
كلب لا يحبه اذا ضربه غيره فالغضب يتبع الحب والرياضة في
هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهذا نادر جدا وقد ينتهي الى المنع
من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو الاهون فان قلت
الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون
الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد
وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان

لم يغضب صح

يتالم بالفصد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشيا كلها
من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة
قدرته كالقلم في الكاتب ومن وقع بضرب رقبته لم يغضب على القلم يده
ولا يغضب على من يذبح بشاته التي هي قوته كما لم يغضب على موقها
اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبته التوحيد و
يندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله
لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجوعه
وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى الخيرة فيه
فتوى هذا على الوجه غير محال ولكن غلبته التوحيد الى هذا الحد انما يكون هذا
كالبرق الخاطف يغلب احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى
الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك
على الدوام للبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان
يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب
البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاة وزكاة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله ابن عمرو بن عمرو
وابن العاص يا رسول الله اكتب منك كلما قلت في الغضب والرضا
فقال اكتبه فو الذي بعثني بالحق وما يخرج منه الا حق واشار
الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق
اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال
لها صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان
قال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بالخير فلم يقل يأمر
لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر
وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا
فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له
وكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط
على الجملة بل كل من يغضب على من ياخذ ضروريته وحاجته التي لابد
له في دينه منها فانما غضبه لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد
يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا
بضروري اهم منه فلا يكن في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره

فان استغراق

فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا
كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني صح
لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه
بالشتم وكذلك شتم الربيع ابن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك
وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها
فانا شر مما تقول وشتم رجل ابي بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الصديق صح
الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن
ان يتق الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره
اياه الى نقصان اذا كان ينظر الى نفسه بعين النقصان فذلك لجلالة
قدره وقالت امرة لمالك بن دينار يا مرايي فقال ما عرفني غيرك فكانه
كان مشغولا بان ينفي عن نفسه افة الريا وينكر على نفسه ما يلقيه
الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل للشعبي فقال ان
كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة
في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم
ويحتمل ان يكون قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما
كان هو الاغلب على قلوبهم فاذن اشتغال القلب ببعض المهمات لا
يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد
الغيظ اما باشتغالهم او بغلبة التوحيد وبسبب ثالث وهو ان يعلم نظر صح
ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حب الله غيظه وذلك
غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب
محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة افات الدنيا وغوائلها كما
سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن القلب تخلص
عن اكثر اسباب الغضب وما لا يمكنه محوه فيمكن كسره
وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

اعلم ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة قد عرفت ح
اسبابها وقد قال يحيى لعيسى صلى الله عليه وسلم اي شي اشد قال

غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب
وما ينبته قال الكبر فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي
والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب
والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص
على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا
خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب
باضدادها فينبغي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس
ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سياتي في كتاب
الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس غيرك اذ الناس باجمعهم
في الانساب من اب واحد وانما اختلفوا في الفضل اشتاتا فبنو ادم جنس
واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب الكبر اكبر الرذائل وهي راسها
واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك من حيث البنية
والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة فاما المزح فتزيله بالاشتغال بالمهمات
الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفته واما الهزل فتزيله
بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة
الاخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس
عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس
عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة
بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق
من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة
وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها
وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة
مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه
الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث
للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم للغضب شجاعة ورجولية وعزة
نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس
اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض
المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب بالقلب
بسببه وتسميته هذا عزة النفس وشجاعة جهل بل مرض القلب ونقصان

والهزء

فلم تفخر وانت من جنس غيرك صح

مزايا

عقل وهو لضعف

وايضا انه لضعف النفس ونقصانها

عقل وهو لضعف لضعف النفس ونقصانها واثباته لضعف النفس وان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكهل وذا الخلق السيئ بل والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل والرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على أهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

صاحب صح

من صح

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال ويرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي غيظه قال مالك ابن اوس ابن الحدثان غضب عمر بن الخطاب على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف وكان يتامل الاية وكان وقافا على كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله علي غضبه يوم القيمة وانا احوج ما اكون الى العفو وقد قال تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى

رضي الله عنه صح

غضب صح

حاجة فابطا عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيمة
وقيل انه كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها اعطاه
ارحم المسكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقراها حتى يقراها حتى يسكن
غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر
العدو لمقاتلته والسعي في هدم جميع اغراضه والشماتة بمصايبه وهو
لا يخلوا عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا
من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة يخاف
ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض
الا ان تكون محذوره ان يشوش عليه في الدنيا فراغة العلم والعمل وما يعينه
على الاخرة فيكون مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه
بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب
في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة
الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والحكماء والعلماء ويخير
نفسه بان يتشبه بالكلب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا في عاداتهم
والعلماء في عاداته لتميل الى حب الاقتدا بهولاء ان كان قد بقي معه مسكة نفسه
من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه
من كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان
هذا تحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في
اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تانفين من الاحتمال الان ولا تانفين
من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين
ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من الصغر عند الله وعند الملايكة من
والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله تعالى
وذلك يعظم عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة
اشد من ذله لو انتقم الان افلا يحب ان يكون هو القايم اذا نودي يوم افلا
القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف
الايمان ينبغي ان يكون على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه في يقرره
من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف
يقول مرادي اولى من مراد الله فيوشك ان يكون غضب الله عليه
اعظم من غضبه **واما** العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من

الشيطان

١٥٢

الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال
عند الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها
وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب
غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فينبغي ان يقول
ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت
جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك
واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة و
سبب الحرارة الحركة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة
توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم
من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل
ذلك فيتوضا بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء فقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب
من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق
من النار وانما تطفا النار بالماء واذا غضب احدكم فليتوضا وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال
ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس
واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد
الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب
ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك
شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء
من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل العزة
والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر غضب يوما فدعا
بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب
وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت وروي
ابي ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا
بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك
فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله

رضي الله عنه صح

قلت نعم قال فانظر
فاذا غضبت فوقك والارض
الى السماء ثم اعظم خالقها
تحتك صح

ذلك صح

فاقعد

بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدًا فاتكئ وان كنت متكيًا فاضطجع **وقال** المعتمر بن سليمان كان رجل فيمن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحايف فاعطا كل صحيفة رجلًا **وقال** للاول اذا غضبت فاعطني هذه **وقال** للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه **وقال** للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يومًا فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضًا وسكن بعض غضبه فاعطي الثانيه فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالثه فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذاك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

فضيلة كظم الغيظ

كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته **وقال** صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة **وقال صلى** رسول الله عليه وسلم من كظم غيظه ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضًا وفي رواية ملأ الله قلبه امنًا وايمانًا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله **وقال** ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابًا لا يدخله الا من شفي غيظه بمعصية الله **وقال** صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظه يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملا الله خوفه ايمانًا **وقال** صلى الله عليه وسلم من كظم غيظًا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق ويخيره اي الحور شاء **الاثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون **وقال** لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك

في ملك

قلبه
صح

واعرف

تنفعك

واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفين الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع قول الله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله عز وجل اذا رضي لم يدخل رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا ابا عبد الله اوصني فقال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم اشار بهذا الى التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني بالتقوى وجملني بالعافيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عن من جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحيا والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك

خذ ع

فهذا من الجاهلين ع

وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ع

بالحلم درجة الصايم وانه ليكتب جبارًا عنيدًا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة
ان رجلًا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيؤون الي و
يجهلون علي واحلم عنهم قال لين كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهيرًا
ما دمت على ذلك المل يعني الرماد وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها
فايما رجل اصابه من عرضي شيا فهو عليه صدقة فاوحي الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ان قد
غفرت له فقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل
كان فيمن كان قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني اتصدق اليوم بعرضي على عباد الله عن
ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي علماء حلماء وعن الحسن في قوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلامًا قال الحلم ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطا ابن ابي رباح يمشون
على الارض هونًا اي حلمًا وقال ابن ابي حبيب في قوله وكهلًا قال الكهل منتهى الحلم
وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كرامًا اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر
بلغو معرضًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريمًا ثم تلا ابراهيم
بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كرامًا قال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادرك زمان لا يتبعون فيه العليم
ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله
عليه وسلم ليليني منكم ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا
تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى النبي صلى
الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج
من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذاك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع
ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اشج
ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال وما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال
خلقان تخلقتهما او خلقان جبلتهما قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي
جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السايل الملحف وقال ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن
بشي من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلايق يوم القيمة نادى مناد اين
اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعًا الى الجنة فتتلقاهم الملايكة فيقولون
ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا

القايم
الملء
الرمل
قلوبهم

حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الاثار** قال عمر رضي الله عنه ليس الخير ان
يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر عملك ويعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك
فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله **وقال الحسن** اطلبوا العلم وزينوه
بالوقار والحلم **وقال** اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر **وقال** ابو الدرداء ادركت
الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم
لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك **وقال علي رضي الله عنه**
ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل **وقال** معوية لا يبلغ
الرجل مبلغ الراي حتى يبلغ حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال
معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من
بذل دنياه لصلاح دينه **فقال** انس بن مالك في قول الله تعالى فاذا الذي بينك و
بينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا
فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا
وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه
واستحيى وقال رجل لعمر ابن عبد العزيز اشهد انك لمن الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك
وعن علي بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم
فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله وحمله
على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشي من الدنيا يسير
فقال معوية لعرابة بن اوس بما سدت قومك يا عرابة **قال** يا امير المؤمنين كنت
احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني
فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر ابن محمد انه قد وقع بيني وبين
قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما
الذليل الظالم **وقال** الخليل بن احمد كان يقال من اسا فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه
يردعه عن مثل اساءته **وقال** الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم **وقال** وهب بن
منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر
لا يسلم ومن لا يدع المرا يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية
الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يستعن بالله يظفر **وقال** رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني
بسوء قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي **وقال**
بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به **وقال** رجل لبعض الحكماء والله
لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي المسيح ابن مريم صلى الله على

تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم قاله علي رضي الله عنه صح

قوله صح

فيغفر الله لك وان كنت صادقا صح

فيغفر الله لي وان كنت صادقا

رضي الله عنهما صح

ومن يتوكل على الله يكفه ومن يسأل الله يعطه ومن يقرض الله يجزه ومن لا يسأل الله يغضب عليه صح

نبينا صلى الله عليه وسلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت
تقول كل واحد ينفق مما عنده **وقال لقمان** ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحلم خيرا فقال صح
الا عند الغضب ولا الشجاعة الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه ودخل على بعض
الحكماء صديق له فقدم له الطعام فخرجت امرأة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت
على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوم كنا في منزلك نطعم
فخرجت دجاجة على المائدة فافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم قال
احسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم واشفا من كل
الم ضرب رجل قدم حكيم فاوجعه ضربا فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر
تعثرت به فذبحت الغضب **وقال محمود** الوراق شعر سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت
منه علي الجرائم ۞ وان كثرت منه علي وما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل
مقاوم ۞ فاما الذي فوقي فاعرف قدره ۞ واتبع فيه الحق والحق لازم ۞ واما الذي دوني فان
قال صنت عن ۞ اجابته عرضي وان لام لائم ۞ واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت
ان الفضل بالحلم حاكم ۞

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة
ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي وانما القصاص بالسب صح
والغرامة على ما ورد الشرع به وقد فصلناه في كتاب الفقه واما السب فلا يقابل بمثله
صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان قال رسول الله صح
يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم **فقال** انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك
فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان **وقال**
قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي مقابلة صح
تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص فيه ان تقول من انت وهل

انت

انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال
ابن مسعود وهل انت الا من بني زهرة ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق
فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث
طويل حتى ترى الناس كلهم حمقا في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما فيه
جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيّئ الخلق يا صفيق الوجه وكذلك قوله لو كان
فيك حيا ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما
النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان
بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان
ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض فلم يستمع السوء فكيف يجوز
ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب
والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن
اليه فاطمة فجاءت اليه فقالت يا رسول الله ازواجك ينشدنك العدل في ابنة
ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم
قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت
جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر فما زالت
تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب
فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة
ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد الفحش بل هو الجواب
عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا حتى
يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الا ان يعتدي فهذا القدر هو الذي
اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا
القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار
الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع
فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم
من يكف في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفا
سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضاة بطي الوقود بطي الخمود وبعضهم بطي
الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
بطي الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال
الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقال ابو سعيد

من الجهل ما فيه

ويا ثلاب الاعراض وكان ذلك فيه صح

فعلى البادي منهما صح

في الوقود

الخمود صح

الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء
الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب
بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما
كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان يجب على السلطان ان لا يعاقب
على احد في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا
نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه
راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر
فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي
لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

شرح

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا
ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى
وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر
ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان
اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه الثاني
ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه
وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس
ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه
استهزاء او سخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه
حقه من قضاء دين او صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من
الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله ولكن تستثقله بالباطن
ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عن كل ما كنت متطوعا عليه من البشاشة والرفق والعناية
والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له والثناء

تتطوع به

عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر لا ينفق على مسطح وكان قريبه وكان تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم **فقال** ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان وان يزيد في الاحسان مجاهدة النفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللحقوق ثلاثة احوال عند القدرة **احدها** ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة والانقصان نقصان وهو العدل **الثاني** ان يحسن اليه بالعفو او الصلة وذلك هو الفضل **الثالث** ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال والثاني وهو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضلة العفو والاحسان **فضيلة العفو والاحسان**

اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ ولذلك افردناه وقد قال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين **وقال** تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر **وقال** صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشه رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله فاذا انتهكت من محارم الله شئ كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما **وقال** عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا **ولذلك** سئل ابو الدرداء عن اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو امظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له مظلمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين

هم المفلحون يوم القيمة فابا ان ياخذها حين سمع هذا الحديث **وقالت عايشة** قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش
ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين (المسلمين) ان الله قد عفى عنكم فليعف بعضكم عن بعض **وعن ابي**
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة
فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم
قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم (الراحمين) قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام
قال سهل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب
الكعبة والناس حوله لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول
خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم **قال** انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا وقفت العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل
من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها بغير
حساب **وقال** ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لولي الامر ان
يوتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الاية **وقال** جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب
الجنة شاء وزوج من الحور العين ما شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلاة قل هو الله
احد عشر مرات وعفا عن قاتله **قال ابو بكر** او احداهن يا رسول الله قال او احداهن
الاثار قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشغل قلبه
لتعرضه لمعصية الله بالظلم وانه يطلب يوم القيمة فلا يكون له جواب **وقال** بعضهم اذا اراد
الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه
ووقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه ومظلمتك
قد اقتصصتها **وقال** يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعوا على من ظلمك فان الله يقول ان اخر يدعوا
عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم
القيمة فيسعكما عفوي **وقال** مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه
اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن الا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا
ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله شي فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم

فقال صح

قوله صح

الله تعالى

(٥٦)

الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام ابن محمد ابي النعمان ابن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبًا عظيمًا فعفى عنه والاخر اذنب ذنبًا صغيرًا فعاقبه وقال تعفوا الملوك عن العظيم ؛ من الذنوب لفضلها ؛ ولقد تعاقب في اليسير ؛ وليس ذاك لجهلها ؛ الا ليعرف فضلها ؛ ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذا اتى برجل فامر بقتله فقلت تقتل رجلا من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثًا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم منادٍ من عند الله فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى فقال بالله اسمعته من الحسن فقلت سمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبًا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذي القرنين كان نبيًا فقال لا ولكنه انما اعطى ما اعطى باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتى هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم انت كلامًا قال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان سارقًا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس بن مسعود في السوق يبتاع متاعًا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله تعالى فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم ابن ايوب وهو على البصرة يومًا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اذا اقاله منهم ورفع ذكره واعلا كعبه وجعله على خزاين الارض فما صنع حين اكمل له امره

في نفسي صح

والله لقد صح

ما اعطى صح

الحليم صح

على من اخذها

لبيلا ن

وجمع اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فعرض الحكم بالعفو عن اصحابه فقال
الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولولم احب الا توبيخي لوثبتكم تحته وكتب ابن المقنع الى
صديق يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك
واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك بن مروان باسارى
بني الاشعث بن قيس فقال لرجا بن حيوة ماترى قال ان الله قد اعطاك ما تحب الظفر فاعط
الله ما يحب من العفو فعفى عنهم **وروي** ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه
فاخذ اخاله فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب
من امير المومنين تخلي سبيلي **قال** نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم
عليك شاهدين ابراهيم وموسى ثم قرا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا الرجل لقن
حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان
الرفق محمود ويضاده العنف نتيجة الغضب والفظاضة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة والحلم وهو
وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاوه بحيث يدهش عن
التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة فلا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط
قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عايشة انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير
الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة **وقال صلى** الله عليه وسلم
اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق **وقال** صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على الرفق
ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق ما من اهل بيت يحرمون الرفق الا
حرموا **وقال** صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لم يعطي
على العنف **وقال** صلى الله عليه وسلم يا عايشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة
دلهم على باب الرفق **وقال** صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله
وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي فلان ورفق رفق به يوم القيمة **وقال** صلى الله
عليه وسلم تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم
الرفق يمن والخرق شوم **وقال** صلى الله عليه وسلم التاني من الله والعجلة من الشيطان
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد
بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير **فقال** الحمد لله الحمد لله مرتين او
ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال
اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته عنه

وعن

ويعطي على العنف صح
نقص من نسخة
[illegible]
علي ما لم

وعن عايشة انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق فانه
لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع من شي الا شانه **الاثار** بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله ثم اثنى عليه ثم قال
ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان
للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض
الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية
ممن هو دونه **وقال** وهب بن منبه الرفق يثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق
والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن
العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم **وقال**
عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان يكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما
الخرق **قال** معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك **وقال** سفين لاصحابه تدرون
ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين
في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه **وهذه اشارة** الى انه لا بد من
مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق **كما قيل شعر** ووضع الندى في موضع السيف
بالعلا ٭ مضر كوضع السيف في موضع الندا ٭ فالمحمود وسط بين العنف واللين
كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة
الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف
وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن واذا كان الواجب هو العنف فقد
وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا **قال عمر** بن عبد العزيز
وروى ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معاوية
اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب
من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان المعجل مخطي او كاد
ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا
تدرك المعالي **وعن ابن عون** الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى
جانبها كلمة الين منها تجري مجراها **وقال ابو حمزة** الكوفي لا تتخذ من الخدام الا ما لا بد منه
فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو
افضل منه **وقال الحسن** المومن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثنا اهل العلم على
الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد

2
البدي

فتقع ولكن على الندور ولكن الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواضع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم

الغضب

اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب وهو فرع الغضب والغضب اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا تكاد تحصى **وقد ورد** في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا **وقال** انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوءه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي واقسمت لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله ولم يقم حتى يقوم لصلوة الصبح قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا تطاق **وقال** صلى الله عليه وسلم

وقال في اليوم الثالث صح

ثلاث لا ينجوا

ثلاثا لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق
واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو
منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة **قال** صلى الله عليه وسلم دب اليكم
داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن
حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى
تحابوا الا انبيكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم
كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر **وقال** صلى الله عليه وسلم انه سيصيب
امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد
والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج **وقال** صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لا
خيك فيرحمه الله ويعافيه ويبتليك **وروي** ان موسى لما تعجل الى ربه راى في ظل
العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره
وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه
ولا يمشي بالنميمة **وقال** زكريا عليه السلام **قال الله** تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط
لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي **وقال** عليه السلام اخوف ما اخاف
على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا ويقتتلوا **وقال** صلى الله عليه وسلم استعينوا
على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود **وقال** صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله
اعداء فقيل ومن ذلك فقال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله **قال**
صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة **قيل** يا رسول الله منهم
فقال الامرا بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل
الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الاثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت
هي الحسد حسد ابليس ادم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية **وحكي** ان عون
ابن عبد الله دخل على الفضل ابن المهلب وكان يومئذ على واسط **فقال** اني اريد ان
اعظك بشي قال ما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم الاية والحرص فانه اخرج ادم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها
السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه ثم قرا اهبطا
منها جميعا الى اخر الاية واياك والحسد فانما به قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرا واتل
عليهم نبا ابني ادم بالحق الاية واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت
واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت **وقال** بكر بن عبد الله كان رجل
يغشا بعض الملوك فيقوم بحذا الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء

واياك

سيكفيك مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي
يقوم بحذايك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي فقال
تدعوه اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه ان لا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج تدعوه
من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء
الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء ستكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا
منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى
فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجايزة او صلة فكتب
له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش
جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا
الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل
في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الى
الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد
الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني
فلان فاستوهبه فوهبته قال الملك ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما فعلت قال فلم مني صح
وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال
صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء اساءته وقال ابن سيرين ما حسدت
احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة
في الدنيا وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال الجنة صح
رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب حيث نعم ولكن غمه في صدرك
فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر
الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه
الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل
كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن حسد وقال بعض الحكماء الحسد
جرح لا يبرا وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من
حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد
اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان
غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال
من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق
الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه وا[قسامه]

اعلم انه لا حسد الا في نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالان احدهما ان
تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة
وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها
ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى
المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي
بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول
فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد
ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها
من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم تغمك نعمته ويدل على تحريم
الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض
عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة
مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان
وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم
زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى
حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن
عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم
فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون
فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله

وقال كان الناس امة واحدة

الحالة ص

الفتنة والفساد

كما كفروا ص

بقوله تعالى ص

الحق قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف
بينهم على طاعته فامرهم ان يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان
ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان القول
يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان
ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى
الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي
حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما
فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته
ايام الحياة فهذا حكم الحسد وحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل
ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة قال لعلي حين قال لهما لا تذهبا
اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا
ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة
من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض وانما المسابقة عند خوف
الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه
فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه
الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه
الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما
ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر
سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه قال
ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله به ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي
مالا مثل مال فلان لكنت اعمل بمثل ما عمل فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذن
لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم
يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة
والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك

فيكون

فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم
والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح
فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة
النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره
وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من
يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد
والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان

وهنا دقيقة غامضة

وهو انه اذا ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا
محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان تزول
نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر
حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها لان بزوالها يزول تخلفه
وتقدم غيره وهذا يكاد ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره
لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً وان كان يردعه التقوى
عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما
كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث
لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا
تبغ اي اذا وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريداً للحاق
باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحاً
على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له لانه موضع الخطر
وما انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد ان يجره
ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف
التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم الى ميل الطبع الى زوال
النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك
النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلاً بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد
الدنيا لكن يعفى ذلك عنه ما لم يعمل به ان شاء الله وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة

ا يجره

له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه اربعة الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان
لا ينتقل اليه وهذا غاية الحسد الثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة
مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان
يكون يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما
والرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها لم يحب زوالها منه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في
الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية
اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه
مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة ان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله وحب
طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد
المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن تحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والعجب والخوف
من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه
اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه
يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم
انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز
واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما
ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب
واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل الى مزاحمته في اغراضه واما ان
تكون الرياسة التي تبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها واما ان لا يكون لسبب
من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب
السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من اذى انسانا
بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ
في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام وان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه
احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله
فمهما اصاب عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه لاجله

تغير

اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يظهر له ان لا منزلة له عند الله
حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض
والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان
يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله
الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض
وربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية
وهتك الستر وما يجري مجراه **السبب الثاني** التعزز وهو ان يثقل عليه
ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو
لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل
غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكنه لا يرضى بالترفع عليه **السبب
الثالث** ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الا
نقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعة
او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه
ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم
علينا غلام يتيم وكيف نطاطي له رؤسنا فقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله يصف قول قريش
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب
كما اخبر الله عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن
وقومهما لنا عابدون
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب
من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو
مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الا
سباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك
يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا
له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية
وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين لتتوصل به الى مقاصد
الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه للتوصل

به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضها
نيل المال من القبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين
اذ يطلب كل واحد منهم منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض لهم السبب
السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي
يريد ان يكون عديم النظر في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثنا واستفزه الفرح بما يمدح
به من انه واحد الدهر وفريد العصر في وقته وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى
العالم سآءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم
او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس
السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوت مقصود سوى محض
الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان يبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ
عليهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا
يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي
يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا
رابطة وليس لهذا سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع وعليه وقعت الجبلة
ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابها عارضة يتصور زوالها
فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته او يستحيل في العادة
ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها
في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معه على الاخفاء والمجاملة
وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب واقلها ما يتجرد من سبب واحد

في الدنيا

انما اضيف به شيء عليه ذلك وزاد وصف
لا تضطرب امور الناس وزاد [illegible]
[illegible] وبعض عليهم [illegible]
الا [illegible] على ما في الدنيا [illegible]

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران كالاخوة وبني العم

والاقارب

والاقارب وتاكدها وقلتها

في غيرهم وضعفها اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم يكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها
وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان منهم
يحسد لانه يمتنع عن قبوله وانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب التكبر
انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه
وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه
ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين
شخصين في بلدتين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في مجلس
نعم لو تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض
فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد فلذلك
ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد
التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة
ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها
اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لانه مقصد البزاز الثروة ولا تحصل له الا بكثرة الزبون
وانما ينازعه فيه بزاز اخر وحريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز
المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار
اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة
ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض ولذلك يحسد العالم
العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده الفقيه والطبيب
لان التزاحم بينهما على مقصود اخص واصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة
التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر
الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في اطراف العالم بما هو فيه فانه
يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك
حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين واما الاخرة فلا ضيق فيها وانما
مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه

وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين
بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد
بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك
لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق
فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من
النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض
بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال
هي اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما
امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك
سببا للمحاسدة واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به
وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى
والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه وان المال
اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال
يتملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله
وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه
ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته
لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هولاء في مطالعة عجائب
الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة
فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجتني ثمارها
فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها
دانية فهو وان اغمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض
زاهرة وان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال
فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم
وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى
واذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة
لان الجنة لا مزاحمة فيها ولا مضايقة فيها ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها
في الدنيا ايضا فاهل الجنة براء عن الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد
من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان
اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم على ما خص به من الاجتبا ولما دعي الى السجود

بالضرورة

استكبر

استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت ان الحسد لا لتوارد على مقصود يضيق عن الوفا
بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على
البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السما
ولكن السماء لسعتها الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا
فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا
تكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله
وعجائب ملكوت السموات والارض ولا تنال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا
فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولا تجد لذته وفتر عنه رايك وضعفت فيه
رغبتك وانت فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق
الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان
والمخنثين وكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله فلا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق
ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن
لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم
والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا
والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين
ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد
لا محالة واما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته
التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته
وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين
وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء
الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين
البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار
الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم

بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها الله
عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما
متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعاديك وكما يشتهي اعداوك لك فقد
كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة
عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تومن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة
ان كنت عاقلا ان تحترز من الحسد لما فيه من الم القلب ومساته مع عدم النفع فكيف
وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله
من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فايدة
واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره
الله من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شي عنده
بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى
الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فا
صبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد
لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا كان عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت
النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلا تشتهيه اولا لنفسك فانك
لا تخلو ايضا عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة
الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان قال تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم
هو يضل بارادة الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن
المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا ساير النعم
وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية
الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقا الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية
ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعم بالحسد مما يجب عليك شكرها
وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في
الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة
والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه اعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك
حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك
اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها
اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته

بالحسد

في الدنيا

115

في الدنيا فما من أعراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين
ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في
غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك
بل يشتهي ان يطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك
حسدا ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد لا زلت محسودا على
نعمة فانما الكامل من يحسد فيفرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته
ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت
فيما يلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا انت تاملت هذا عرفت انك
عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة و
انتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في
الحال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك
حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعاديك لانه لما راك
محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب
ذلك فتشارك في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته
اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس
ان تحب ما انعم الله على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى
لا تلحقه بحبك كما لا تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل
يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي
والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت
لها كثرة صلاة وصيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من
احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحتهم يومئذ اشارة بقيتهم الى
ان اكثر ثقتهم بحب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجوا ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله
الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى
الله عليه وسلم مع احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت
ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان
تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله
مخرجا فانظر كيف الان حسدك ابليس فوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك
وحملك على الكراهة وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله

حتى انت

وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم
واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم
وعذاب الاخرة **وقد جاء** في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف
عنه اي عن يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس
وما نفع حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام
لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرة الى عدوه ليصيب بها مقتله
فلا تصيبه بل ترجع على حدقته اليمنى فتقلعها فيزيد على غيظه ثانيا فيعود
ثالثة فيتعمد الى راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو راجع اليه مرة بعد
اخرى واعداوه حواليه يفرحون ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية
الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان هذه الحجرة الغائبة لم تفوت
الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت
بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف
انتقم الله من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها منه ثم ازالها
من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا
منه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين
ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى **وقالت**
عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم
الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق
اللسان واليد بالفواحش والتشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم
فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر
انطفى في قلبه نار الحسد وعلم انه يهلك نفسه ويفرح عدوه ويسخط ربه وينغص
عيشه **واما** العلم النافع فيه فهو ان يحكم الحسد بما يتقاضاه الحسد من قول
وفعل ينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له
والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان حمله
على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك على تكلف وعرفه
المحسود طاب قلبه واحبه وعرفه المحسود طاب ومهما ظهر حبه عاد الحاسد
واحبه وتولد منهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء
والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه
ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول

فيطب

المراد الثلاثة حتى يعود ... فتنبه عليك حسد ابليس

116

فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان
انه لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك
ذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت او طبعا تكسر
سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها ويعود القلب الى التالف والتحابب وبه
تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا
الا انها مرة جدا ولكن المنافع في المر فمن لم يصبر على مرارة الدوا لم ينل حلاوة
الشفا وانما تهون مرارة هذا الدا اعني التواضع للاعدا والتقرب اليهم بالمدح
والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله
واحباب ما احبه الله وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف
مراده وغبة في ذلك يريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة
ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان
تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني
فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي
واما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص
على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض
ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع لم يحصل مما ذكرناه الا تسكين وتغطيه
ولا تزال تعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام
محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه
ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده واما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

الدواء المر

وتطفية

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

عن الحسد اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك الا تبغضه غالبا فاذا تيسرت
له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حال الصديق
بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك في الحسد له
ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف
ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت
ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة
لهذه الحالة فانت ايضا حسود لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى

تقلب

ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا **وقال** تعالى ودوا لو تكفرون **وقال** تعالى إن تمسسكم
حسنة تسؤهم أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين
الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال
منها بل هو معصية بينك وبين الله وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح
فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب
زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من
جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك
في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه
أو غمه بما يتيسر لهما من نعمة أو ينصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه
ما دام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله مثل السكران الواله
فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة
وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالا لله ويراهم مسخرين وذلك
إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو
إلى منازعة أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية وألزم
قلبه فقد أدى ما كلفه فقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه
لما **روي** عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده **و**
روي عنه موقوفا ومرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج **فمخرجه** من الحسد أن لا
يبغي والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل
في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الإيذاء
فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهرها على أن كل حاسد آثم والحسد
عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فإذا
كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر
ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى إذ يبعد أن يعفى عن
العبد في إرادته مساءة مسلم واشتمل عليها من غير كراهة وقد عرفت من
هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال **أحدها** أن تحب مساءتهم بطبعك
وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت
لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر
منه **الثانية** أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك فهذا

واشتمال قلبه عليه

هو الحسد

هو الحسد المحظور قطعًا **الثالثة** وهو بين الطرفين ان تحسد بالحسد بقلبك
من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكارمنك على قلبك ولكن
تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل
الخلاف والظاهر انه لا يخلوا عن اثم بقدر قوة ذلك
الحب وضعفه اخر كتاب ذم الغضب والحقد
والحسد وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم
وقد فرغ منه كاتبه العبد الضعيف المعترف بالذنب
والتقصير مصطفا ابن عبد الله الشافعي مذهبًا
الشيخ عبد القادر شيخ غفر الله له ولمعلمه ولمن
نظر فيه ودعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
برحمتك يا ارحم
الراحمين
م م م
م م

قد فرغ في يوم الثلاثاء تسع وعشرون في الشهر المحرم عاشورا في سنة الف ومائة بعد الهجرة النبوية
صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه الابرار الكرام اجمعين

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب
السادس من ربع المهلكات
من كتب احيا علوم الدين رحمه الله مصنفه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوايل الدنيا وافاتها ۞ وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها ۞ حتى نظروا في شواهدها واياتها ۞ ووزنوا بحسناتها سيئاتها ۞ فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ۞ ولا يفي مرجوها بمخوفها ۞ ولا يسلم طلوعها من كسوفها ۞ ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها ۞ ولها اسرار سوء قبايح تهلك الراغبين في وصالها ۞ ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها ۞ واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ۞ وان احسنت ساعة اساءت سنة ولك اساءت مرة جعلتها سنة فدواير اقبالها على التقارب دايرة ۞ وتجارة بنيها خاسرة ۞ وافاتها على التوال الصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل متعزز بها الى الذل مصيره ۞ وكل متكبر بها الى التحسر مسيره ۞ شانها الهرب عن طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ۞ ومن اعرض عنها اتته والله لا يخلو صفوها عن شوايب الكدورات ۞ ولا ينفك سرورها عن المنغصات ۞ سلامتها تعقب السقم ۞ وشبابها يسوق الى الهرم ۞ ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم ۞ فهي خداعة مكارة طيارة فرارة ۞ لا تزال تتزين لطالبها ۞ حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها ۞ وشوشت عليهم مناظم اسبابها ۞ وكشفت لهم عن مكنون عجايبها ۞ فاذاقتهم قواتل سمامها ۞ ورشقتهم بصوايب سهامها ۞ بينما اصحابها منها في سرور وانعام ۞ اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ۞ ثم عكرت عليهم بدواهيها ۞ فطحنتهم طحن الحصيد ۞ ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ۞ ان ملكت واحدا جميع ما طلعت

عليه

عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم تغن بالامس، تمنى اصحابها سرورا، وتعدهم
غرورا، حتى يأملوا كثيرا، ويبنوا قصورا، فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا
وسعيهم هباء منثورا، وكان امر الله قدرا مقدورا، والصلوة على محمد عبده ورسوله
المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا، وعلى من كان من اله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى
الظالمين نصيرا وسلم كثيرا **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله ولاولياء الله وعدوة
لاعداء الله **واما** عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله فلذلك لم ينظر الله
اليها منذ خلقها **واما** عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها
ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها **واما** عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم
بمكرها ومكيدتها، واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها، فخذلتهم احوج ما كانوا
اليها، فاحتسوا منها مرارة تتقطع منها الاكباد، ثم حرمتهم السعادة ابد الاباد فهم
على فراقها يتحسرون، ومن مكايدها يستغيثون، ولا يغاثون، بل يقال لهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون، اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون — الاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها
فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها، وما
مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه، ويوشك ان يقع فيه
ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها، واصناف الاشغال المتعلقة
بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها
ان شاء الله تعالى **بيان ذم الدنيا** الايات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها
كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة
بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات
القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها **فقد روي** ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها
قالوا من هوانها القوها قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذه الشاة
على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة — ماء
وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال عليه السلام الدنيا ملعونة — ملعونة
ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال عليه السلام من احب دنياه اضر
باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه السلام حب الدنيا
راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر فدعا بشراب فاتي بماء
وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى

ظنوا انهم لا يقدرون على مسلة قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه
احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت
لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك
وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور
وروى ان النبي عليه السلام وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا
قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها
ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية **وقال**
عليه السلام ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون
ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب
والثياب **وقال** عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا
اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافة وصاحب
كنز الدنيا يخاف عليه الافة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الافة **وقال** ايضا يا معشر
الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث
الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها الا فا
عبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت
اهلها حزنا طويلا **وقال** ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تنازعنكم فيها
الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما
تركتم دنياهم **واما** النساء ~~فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا~~
فاتقوهن بالصوم والصلوة **وقال** ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة
تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه بعنقه **وقال** موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها
وروى ان سليمان ابن داود مر في موكبه والطير تظلله والجن والانس عن يمينه
وشماله قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اعطاك الله
ملكا عظيما قال فسمع سليمان عليه السلام كلامه فقال لتسبيحة في صحيفة مومن
خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى **وقال**
عليه السلام الهاكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت
فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فامضيت وقال عليه السلام الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها

وطالب الدنيا لا تطلبه الاخرة حتى يجي الموت فيأخذ بعنقه

يحسد

يحسن من لا نفقه له وبها يسعى من لا يقين له **وقال** عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر
همه فليس من الله في شي والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع ابدًا وفقرا لا يبلغ غناه
ابدًا واملا لا يبلغ منتهاه ابدًا وشغلا لا يتفرغ منه ابدًا وقال لي ابو هريرة قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعًا بما فيها قلت بلى
يا رسول الله فاخذ بيدي واتاني واديًا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها جماجم
روس الناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الروس كانت تحرص
كحرصكم وتامل اما لكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادًا وهذه العذرات
الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس
يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح
تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانت ينتجعون عليها اطراف البلاد
فمن كان باكيًا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاونا وروى
ان الله عز وجل لما اهبط ادم الى الارض قال ابن للخراب ولد للفنا وقال
داود ابن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار
الذين تصنعت لهم وتزينت لهم اني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك
وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفنا تصيرين قضيت عليك اليوم يوما
خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى
للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا من ضميرهم على الصدق والاستقامة
طوبى لهم ما لهم عندي من الجزا اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم
والملايكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال عليه السلام الدنيا
موقوفة بين السما والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة
يا رب اجعلني ادنى اوليائك فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا مضيئا اليوم
ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار ادم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت
معدته بخروج الثقل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه
الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا
يخاطبه فقال قل له اي شي تريد قال اريد ان اضع ما في بطني من الاذي فقيل للملك قال
قل له في اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على تحت ظلال الاشجار هل ترى
هنا موضعًا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال عليه السلام ليجئن اقوام
يوم القيمة واعمال كجبال تهامه فيومر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين
قالوا نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض

خطبه

لهم من الدنيا شيء وثبوا اليه وقال عليه السلام في بعض المواعظ بين مخافتين
بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي ما يدري ما الله قاضٍ
فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن
شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي
بيده لا بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال
عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مومن كما لا يستقيم الماء والنار
في اناء واحد ويروى ان جبرئيل عليه السلام قال لنوح يا اطول الانبياء عمرا كيف
وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى
صلى الله عليه وسلم لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت
وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال
هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا
وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم
لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع
الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم وصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر
للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك
الا وجه الله تعالى اعطاه ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام
اشتد عليه المطر والريح والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجا اليه فرفعت
له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل واتاه
فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى
فاوحى الله تعالى اليه ماواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء
خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن
مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم وقال
عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره
ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ازفهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم
ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل
اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست
لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل

فيها

فيها فقمت الداهي يا موسى اني قرضى للظالم حتى اخذ منه للمظلوم **وروي** ان النبي عليه السلام بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان يبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم **وقال** ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا وقال عليه السلام لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها **وقال** عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هولاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه تعالى فاوحى الله تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبونك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيبا لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرح بها واذا ادبرت حزن عليها وبكى قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير خير مع عافية الدنيا والاخرة **وقال** انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه **وقال** عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا **وقيل** لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله

انس

وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الاخرة ثم قال ابو الدرداء
من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم
اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر
الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك لاعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون
فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها لمخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون
ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم
على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه
ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون
بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الاخرة لانها املك بأموركم
فان قلتم ان حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها
تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركوه فبئس القوم انتم
ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه
قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتتبينون صواب
الراي في دنياكم وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا
تصيبونه وتحزنون على يسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر
على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا
من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حال بكم اني لأرى الله قد تبرأ
منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة
ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم
رفض الاجل ولوددت لو ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان
حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه
يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم **وقال** عيسى عليه
السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل
الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه **قيل**

ارى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر

ولا تناصحون في امر الدين

127

نبينا عليه السلام ليأتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام ان يا موسى لا تركنن الى الدنيا فلن تاتي بكبيرة هي اشد
عليك منها ومر موسى عليه السلام برجل يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب
عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه من دموع عينيه ورفع
يديه حتى يسقط لما غفرت له وهو يحب الدنيا **الاثار** قال علي كرم الله
وجهه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها
من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف
الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وعرف الاخرة
وقال الحسن رحمه الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها
الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا اخفافا **وقال** ايضا من نافسك في دينك فنافسه
ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره **وقال** لقمان يا بني الدنيا بحر عميق
وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن فيها سفينتك تقوى الله تعالى وحشوها الايمان بالله
وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي
في هذه الاية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا **وقال** بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا
الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء
ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكله وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا
الهوى وربحها النار **وقيل** لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق
الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال
من ظفر به تعب ومن فاته نصب **وقد قيل** ومن يحمد الدنيا لعيش
يسره ∴ فسوف لعمري عن قليل يلومها ∴ اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ∴ ولئن
وان اقبلت كانت كثيرا همومها **وقال** بعض الحكماء
∴ كانت الدنيا ولم اكن فيها ∴ وتذهب الدنيا ولم اكن فيها ∴
فلا اسكن اليها وان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما نعمة زائلة
او بلية نازلة او منية قاضية **وقال** بعضهم ان من
عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص **وقال**
سفيان اما ترى النعم كانها مغضوب عليها وقد وضعت في غير اهلها **وقال**
ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه
ومن طلب الاخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لها غاية ولا لهذا غاية

قال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما اتاك الله تعالى فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها واقول يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجي في طلبه فياخذ **وقال** الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى **وقال** ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله **وقال** ابن مسعود ما اصبح لاحد من الناس الا وهو ضيف وماله عنده عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة **وقد قيل** وما المال والاهلون

وما المال والاهلون الا وديعة ∴ ولا بد يوما ان ترد الودايع ∴

وذكرت رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها في قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت **فقال** ∴ نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ∴ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ∴

∴ فطوبى لعبد اثر الله ربه ∴ وجاد بدنياه لما يتوقع ∴

وقيل ايضا ارى طالب الدنيا وان طال عمره ∴ ونال من الدنيا سرورا وانعما ∴

∴ كبان بنى بنيانه فاقامه ∴ فلما استوى ما قد بناه تهدما ∴

وقيل ايضا هب الدنيا تساق اليك عفوا ∴ اليس مصير ذاك الى انتقال

وما دنياك الا مثل فيء اظلك ∴ ثم اذن بالزوال زال

وقال لقمان يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا **وقال** مطرف ابن الشخير لا تنظروا الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم **وقال** ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمومنين وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم **وقد قيل**

∴ يا خاطب الدنيا الى نفسها ∴ تنح عن خطبتها تسلم ∴

∴ ان التي تخطب غدارة ∴ قريبة العرس من الماتم ∴

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال

عنه

عنه الا تركها وقال ابو امامة الباهلي لما بعث الي الدنيا
محمد صلى الله عليه وسلم اتا ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت
امة يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها لا ابالي ان لا يعبدوا
الاوثان وانا اغدوا عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حله وانفاقه في
غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي رضي الله
عنه صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها
ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها
العقاب وقيل له ذلك مرة اخرى فقال اطول ام اقصر فقيل قصر
فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة
اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان
الداراني اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا
في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة واللئيم يزاحم الكريم وهذا
تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والاخرة يجتمعان
في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار
بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للاخرة يخرج
هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي رضي الله عنه كرم الله وجهه
حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احدهما تسخط الاخرى
وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم
مثل التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا ام
ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
ويحسن فيه اله ان يتعيش فيه يعني التنعم فقال لا لو كانت له الدنيا
كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال
الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها يوم القيمة لكنت
اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل
قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل
فسلم عليه وسائله فاتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال
له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين هذا يبلغنا المقيل
وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة لقلبك وقال
الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا

وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة
الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال
لقمن لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت
الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعدت عنها وقال
سعد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص اخرته وهو به
راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال
عمرو ابن العاص ثلاثا على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ثلاث والذي عليه اكثر من الذي له وقال
الحسن بعد ان تلى قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا خلقها ومن
خلقها وهو اعلم بها اياكم وما شغل عن الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشتغال
لا يفتح الرجل على نفسه باب شغل منها الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة
ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب
وحرامها عقاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به
ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه و في دينه
يجزع من مصيبة في دنياه وكتب الحسن الى عمر ابن عبد العزيز سلام عليك
اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا
لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل وقال الفضيل ابن عياض الدخول
في الدنيا هين لكن التخلص منها شيء وقال بعضهم عجبا
لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك
وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان
القدر حق كيف ينصب وقدم على عمر رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن
الدنيا وجدتها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء ويوم فيوم وليلة
فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت
الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر
فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود
الطاي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم ما سوفت بعملك
كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما
يسال طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك

الا وفيها الرزق اليك شي يسوءك **وقال** الحسن لا تخرج نفس ابن ادم
من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن
الزاد لما قدم عليه **وقيل** لبعض العباد قد نلت الغنا فقال انما
نال الغنا من عتق من رق الدنيا **وقال** ابو سليمان لا يصبر عن شهوات
الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة **وقال** مالك بن دينار اصطلحنا
على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا
فليت شعري اي عذاب الله ينزل علينا **وقال** ابو حازم يسير الدنيا
يشغل عن كثير الاخرة **وقال** الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا
منها لمن اهانها **وقال** ايضا اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا اعطاه
من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد عاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له
الدنيا بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا
عني **وقال** محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا
يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم
الله غير انه اذا اوتي به يوم القيمة فيقال هذا انا هذا عظم في عينيه ما صغر
الله وصغر في عينيه ما عظم الله كيف ترى يكون حاله فمن ما ليس هكذا
الدنيا عنده عظيمة مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا **وقال**
ابو حازم اشتدت مونة الدنيا والاخرة فاما مونة الدنيا فانها لا تضرب
بيدك الى شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه واما مونة الاخرة فانك
لا تجد عليها اعوانا **وقال** ابو هريرة الدنيا موقوفة بين
السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى اليوم يغنيها يا رب
يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شي اسكتي يا لا شي وقال عبد الله بن
المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال
وهب بن منبه من فرح قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته
تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل
لبشر مات فلان وقال جمع الدنيا وذهب الى الاخرة ضيع نفسه قيل له انه كان
يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا **وقال**
بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا **وقيل**
لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم
الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمار واعمر منها

يحب الدنيا يوتي

قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين الناطقين
بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال
يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها
الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف
والاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله ولا تستسلف
من دار بقايك الى دار فنايك فان عيشك في‍ها زايل وجدار مايل اكثر من عملك وقصر من املك
وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار
في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا
كانك تحبه في المنام والذي تحبه من الاخرة كانك لا تحبه في اليقظة
وعن اسماعيل ابن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون
اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها وقال كعب
لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ
العقلا ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه
قبل ان يلقاه وقال ايضا بلغ من شوم الدنيا ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة
الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني
عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا رايت
ابنا الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال
ايضا من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن
اقبل على الاخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله
تعالى احرقته نار التوحيد فصار جوهر الاجد لا قيمته وقال علي كرم
الله وجهه انما الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب
ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات
الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج
دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال واشرف المنكوحات
المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها
واشرف المشمومات المسك وهو دم بهيمة

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا
بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت
لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخاطبها فاصبحت كالعروس
المتجليه العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم
من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلته فانظروا اليها بعين الحقيقة
فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزها
يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا
من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل
الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم يقال فلان اوصى
وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك
جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك
وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابيك فلان وهذا اخيك فلان
ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضا وانتزعت
نفسك من الاعضا ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضر
اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف
اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض
الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته
منها انه يتوقع افة تغدوا على ماله او على جمعه فتفرقه او ياتي سلطانه
فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشي هو ظنين به
من احبابه فان الدنيا احق بالذم وهي الاخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب
بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه
وبينا تبسط كفه بالعطا اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها
اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب وبقى ما بقي تجد في
الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل ادم
عليه السلام عقوبة فاحذرها يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنى من الجنة
منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفرق من جمعها هي كالسم
ياكله من لا يعرفه وهو حتفه وكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة
مما يكره طويلا ويصبر على شدة الدوا مخافة طول البلا واحذر هذه الغرار

الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت
بامالها وتشوقت لخاطبها فاضحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب
عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي
معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله تعالى حين اخبر عنها مذكر فعاشق
لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زالت
عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات
الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب
ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير
المومنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا
كلما اطمان منها الى سرور اشخصه الى مكروه السار فيها لاهلها غار و
النافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى
فنا فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدري
ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وامالها باطلة وصفوها كدر وعيشها
نكد وابن ادم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعما على خطر ومن البلا
على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا
قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عنها زاجر
وفيها واعظ فما لها عند الله تعالى قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد
عرضت على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك
عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره
او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين
اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه
اكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد
جاءت الرواية عن ربه تبارك وتعالى انه قال لموسى عليه السلام اذا رايت
الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين فان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن
مريم كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في
الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت
الارض ابيت وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس على الارض احد اغنا
مني وقال ابن امية لما خلق بعث الله موسى وهارون عليهما السلام

الى فرعون قال لابروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي
ليس ينطق ولا يطرق ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما تمتع به منها فانما
هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شيت ان ازينكما بزينة الدنيا يعرف
فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها وانتما لفعلت ولكني ارغب بكما
عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي
الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي
سالما موفرا انما تتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم
فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم التي يظهرون وضميرهم التي يستشعرون
ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به
يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم
قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثاير له يوم
القيمة وخطب علي كرم الله وجهه يوما فقال اعلموا انكم ميتون
ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفنا معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال
وهي بين اهلها دول وسجال لا يدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا
اهلها منها في رخا وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات
متصرفة العيش فيها مذموم والرخا فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض
مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور
وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل
من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد
اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية
وديارهم خالية واثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرور والنمارق
الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب
وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون
بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان
والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا
واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا
كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما

[illegible] هيهات هيهات

صاروا اليه من البلا والوحدة في دار الثرى وارهنتهم في ذالك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله تعالى يقول ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك وكم بقا سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقوص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا جمعها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر فعالها وما ياتي به من العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فات ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه يتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنتقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم صايرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكا ونزل وقال علي رضي الله عنه في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل نفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوا او افضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا يطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبوسها وضرائها

فانه لى

فانه الى الانقطاع ولا تفرحوا بنعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت
يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد ابن الحسين لما علم اهل العقل
والعلم والمعرفة والادب ان الله تعالى قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليايه
وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها و
حذر اصحابه فتنتها اكلوا منها قصداً وقدموا فضلاً اخذوا منها ما يكفي وتركوا
ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعه
نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا
كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا
انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرحلون
اليها بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة

اعلم ان الدنيا سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا ثم تخلف بالوفا تنظر
اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سايرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن
الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها
الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر
الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري انشد وقال

احلام نوم او كظل زايل ∴ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ∴

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ∴
ان اغترارا بظل زايل حمق ∴ وكان يري انه قد نزل وقيل نزل اعرابي بقوم فقدموا
اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة ورحلوا فاصابته
الشمس فانتبه وقام وهو يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ∴ ولا بد يوما ان ظلك زايل ∴
ولذلك قيل وان امرا دنياه اكبر همه ∴ لمستمسك منها بحبل غرور ∴
مثال اخر الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه
خيالات المنام واضغاث الاحلام فقال عليه السلام الدنيا حلم واهلها عليها
مجازون ومعاقبون وقال ابو عبيدة ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل
نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس

نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به **وقيل**
لبعض الحكماء اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم **مثال اخر**
للدنيا وعداوتها لاهلها واهلاكها لابنيها اعلم ان طبع من بعض الدنيا التلطف
في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب
حتى اذا نكحتهم ذبحتهم **فقد روي** ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا
فراها في صورة عجوز هتما عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم
قال فكلهم مات عنك او طلقوك قالت بل كلهم قتلت **فقال** عيسى عليه السلام
بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكيهم واحدا
بعد واحد ولا يكونون منك على حذر **مثال** اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها
اعلم ان الدنيا مزينة الظاهر قبيحة الباطن وهي تشبه عجوزا مزينة تخدع
الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم
قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها
قال العلا ابن زياد رايت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها
من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها فجئت فنظرت
وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفني
قلت لا ادري من انت قالت اني انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت
فان احببت ان تعوذ من شري فابغض الدراهم **وقال** ابو بكر ابن
عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطا تصفق بيديها وخلفها
خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت
لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهولاء ثم بكى ابو بكر **وقال**
رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد **وقال** الفضيل بن عياض
قال ابن عباس يوتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطا زرقا
انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال هذه الدنيا
التي تراجعتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم
واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي
فيقول الله الحقوا بها اتباعها واشياعها **وقال** الفضيل
بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة
الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت
احسن شيء يراه الناس فاذا اقبلت كانت اقبح شيء يراه الناس عجوز شمطا

زرقا عمشا قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني
حتى تبغض الدراهم قال قلت فمن انت قالت انا الدنيا **مثال اخر** للدنيا
وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلاثة **حالة** لم يكن فيها شيئا وهي ما قبل
وجودك الى الازل **وحالة** لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك
الى الابد **وحالة** متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فا
نظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الابد والازل حتى تعلم انها اقل من منزل
قصير في سفر طويل ولذلك **قال** عليه السلام ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل
الدنيا كمثل راكب سار في يوم صيف فرفعت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم
راح وتركها ومن راي الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف نقضت
ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا بجص فقال ارى الامر اعجل من هذا
وانكر ذلك والى هذا ال[illegible] عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة (اشار عيسى)
فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الاخرة
والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة **واللحد** هو الميل الاخر
وبينهما مسافة محدودة **فمن** الناس من قطع نصف القنطرة **ومنهم**
من قطع ثلثها **ومنهم** من لم يبق له الا خطوة واحدة
وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد له من العبور والبنا على القنطرة و
تزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان **مثال**
اخر للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل
امور الدنيا تبدوا هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة
الخوض فيها وهيهات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها
مع السلامة شديد وكتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي مثالها
فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك
منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن
اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور
اشخصه فيه مكروه والسلام **مثال اخر** في تعذر الخلاص من
تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي
في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة

قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها
عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه
لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق
بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة
الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة وقال عيسى عليه السلام بحق
اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك
صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا
بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها
كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب من العبادة تقسوا
وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يتقحل يوشك ان يكون وعاء
للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم
فسوف تكون اوعية للحكمة وقال نبينا عليه السلام انما بقي من الدنيا بلا وقفة
وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعا اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه طاب
اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق
قال انس قال عليه السلام مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من اوله
الى اخره فبقي متعلقا بخيط واحد يوشك ذلك ان ينقطع لتادية علايق الدنيا
بعضها الى بعض حتى الهلاك فقال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب
ماء البحر كلما ازداد شربه ازداد عطشه حتى يقتله مثال اخر لمخالفة
اخر الدنيا اولها ولنضارة اوايلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات
الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند
الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجد للاطعمة
اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما
واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا وكذلك
كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها
عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ
اهله وولده وماله فتكون مصيبته والمه وتوجعه في كل ما فقده بقدر لذته
به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى والذ فهو عند
الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى
عليه وسلم قال للضحاك بن سفين الكلابي الست تؤتى بطعامك قد ملح وقزح ثم

ثم تشوب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول
الله قال فان الله تعالى ضرب مثلا للدنيا لما يصير اليه طعام ابن ادم وقال
ابي ابن كعب قال عليه السلام ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم بما يخرج
منه فانظر ماذا يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال
عليه السلام ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا
مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن رحمه الله رايتهم يطيبونه بالافاويه والطيب
ثم يرمون به حيث رايتم وقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال
ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحي قال لا تستحي وسل
قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك
يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب يقول
انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم و
دجاجهم وسمنهم وعسلهم مثال اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة (وسمنهم)
قال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع اليه مثال اخر للدنيا واهلها في اشتغالهم
بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وحسراتهم العظيمة بسببها اعلم ان اهل
الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم
الملاح بالخروج منها لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة
واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وعاد الى السفينة
فصادف مكانا خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم
توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة و
نغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها
احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة والمنظر
العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها
ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا
فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه
حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا
ضيقا وزاده ما حمله ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر
على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله على عنقه وهو متاسف على اخذه وليس
ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه

وتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح باشتغاله باكل تلك الثمار واستشمام تلك
الازهار والانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من
السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه
وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج
يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه في الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة
انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى
مات جوعا وعطشا وبعضهم لم يبلغه الدعا وسارت السفينة فمنهم
من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم
من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة
واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والاحجار المزبرجة
فقد استغرقته واشغلته واشغله الحزن لحفظها والخوف من فوتها
وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الالوان
والاحجار فظهر نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه موذيا له بنتنه
الى الوطن ووحشة فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد
اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام
بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى
بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن اتى اولا وجد المكان
الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم
بحظوظهم ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح
من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم
النبت وهو زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا
ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف وهذه حال الخلق
كلهم الا من عصمه الله مثال اخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم
يقول الله تعالى في تحذيره اياهم غوائل الدنيا قال الحسن بلغني
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل
قوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفذوا الزاد
وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة
فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا هذا قريب
عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء فقالوا

يا هذا

يا هؤلاء على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين قتيل واسير مثال اخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن [انه قد] وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وافاتها وغوائلها

انه قد

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها ولا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارة عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يصحبك في الاخرة

وما الذي لا يجتنب

وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله
وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم
بشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله
وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح
والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا في الدنيا
ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من
الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع منها لكان
ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من
حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان اخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة
والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حيث حظوظه العاجلة
وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا
لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب
الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من
جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من
عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع
انما يكون في الدنيا فلذلك اضافه الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا
نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا **القسم الثاني**
هو المقابل على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كا — للقسم الاول
لتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات
والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري
والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ
العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او ما في محل الحاجة
نظر طويل **اذ روي** عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على
حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير
المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمر
ان الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت
واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل
القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على
لعا

اعمال

اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد
منه ليتاتي للانسان البقاء الصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا
ليس من الدنيا **كالقسم الاول** لانه معين على القسم الاول ووسيلة
اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن
متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه حظ العاجل دون
الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا
ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته
عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته
لا يكون الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا يحصل معرفة
الله الا بدوام الفكر **وهذه** الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات
بعد الموت اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهو من المنجيات اذ تكون
جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه
فاذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة
يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من
المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة
تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة
من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت
العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت
من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع امنا
من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا في
الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبين حبيبه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه

ما حال من كان له واحد ... غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله فاذا سالك طريق
الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهو الذكر والفكر
والعمل الذي يفطم عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه
عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس
ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه
الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت
الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم

بين العبد وبين

صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الآن الرغبة في حظوظ الدنيا
تنقسم الى ما يعرض صاحبه الى عذاب في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول
بينه وبين الدرجات العلى وتعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير
يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش
في الحساب اذ قال عليه السلام حلالها حساب وحرامها عذاب وقد فتعذب
قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن
الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من
التحسر على ما يفوتها الحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس
به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية
كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات متصرمة لا بقاء لها
ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف
بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع
صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه
في الاخرة اضعافه وهو المعنى بقوله عليه السلام لعمر رضي الله عنه هذا
من النعيم الذي تسال عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل
وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال
عمر اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره
بكفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا
ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته
اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام
وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال قد رغبت
في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام كان في ملكه يطعم الناس لذائذ
الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق
امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها
اشد ولهذا زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي
اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء
والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظر لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة
حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة
شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو النبي

وما هو لله فذلك ليس من الدنيا **فان قلت** فما الذي هو لله فاقول
الاشياء ثلاثة اقسام **منها** ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر
عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض
المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى **ومنها** ما صورتها لله ويمكن ان يجعله
لغير الله وهو ثلاثة الذكر والفكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاث
اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الآخر فهي
لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشوف به وطلب (للتناظر)
القبول في الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال
او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا
بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله **ومنها** ما صورته لحظ النفس
ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل من المباح والنكاح وما يرتبط به
بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد الحظ للنفس فهو من الدنيا وان كان (قصد)
القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته
صورة الدنيا قال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن
المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر
فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي
لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى **خمسة**
امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب وزينة (ولهو)
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي يحصل منها هذه
الخمسة **سبعة** يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس
من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد
به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم و
الضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب
من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف
يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط

متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والجزم في الحزم والتقوى والترك
من حد الضرورة ما امكن الاقتداء بالاقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون
انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة
تضيقه على نفسه فبنوا له بيتاً على باب دارهم فكان ياتي عليهم السنة
والسنتين والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي
الى منزله بعد عشاء الاخرة وكان طعامه ان يلقط النوى فكلما اصاب
حشفة خبأها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى
وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى به ما يقوته وكان
لباسه ما يلتقط من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها
الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه
ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار
صغار فاني اخاف ان تدموني فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا
كان سيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني
لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمة الله عليه ولما ولي عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال يا ايها الناس من كان منكم من العراق
فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا
الا من كان من مراد فجلسوا فقال لا اجلسوا الا من كان من قرن فجلس كلهم الا
رجل واحد فقال له عمر اقرني انت قال نعم فقال اتعرف
اويس ابن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك
يا امير المومنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى
منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا
القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا
القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطي الفرات نصف النهار
يتوضا ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحم شديد
الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر
قال فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي وقلت حياك الله من رجل ومددت
يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت يرحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت
رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت

132

حتى بكيت وبكى فقال وانت حياك الله يا هرم ابن حيان كيف انت يا اخي ومن
دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا
لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته الا ذلك اليوم فقلت له — ولا رآني
من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير
وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كما
نفس الاجساد وان المومنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون
بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار
وتغربت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رايت رجالا صحبوه
وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي
ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان
فقلت يا اخي اقرا علي اية من القران اسمعها منك وادع الله لي بدعوات واوصني
بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ
بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
ثم بكى ثم قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام
كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله تعالى انه هو العزيز الرحيم
فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه قال يا ابن حيان مات ابوك حيان
ويوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات ابوك ادم وماتت امك
حوى ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى عليهم السلام يا ابن
حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد عليه السلام ومات عمر بن الخطاب
اخي وصفيي ثم قال وا عمراه وا عمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت فقال فقد نعاه
الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموت كانه قد كان ثم صلى الله — صلى على النبي
عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم
بن حيان في كتاب الله ونعي الصالحين المومنين فقد نعيت الي نفسي
ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك
اذا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق
دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم

قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في
الجنة وادخله في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان
وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له
تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزا ثم
قال استودعك الله يا هرم ابن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك
بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير
الهم شديد الغم مع هولاء الناس حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني
على بال وان لم ارك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك
ان شاء الله تعالى انطلق انت ها هنا حتى انطلق انا ها هنا فحرصت ان
امشي معه ساعة فابى علي ففارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه
حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني
عنه بشي رحمه الله وغفر له وهكذا كانت سيرة ابناء الاخرة المعرضين
عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا ومن سير الانبياء والاولياء
ان حد الدنيا كلما اظلته الخضرا واقلته الغبرا الا ما كان لله تعالى من ذلك
وضد الدنيا الاخرة وهو كلما اريد به الله تعالى مما يوخذ بقدر الضرورة
من الدنيا لاجل طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال
وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم
اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث
في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به
مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق
بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد
تلذذ البدن وتنعيمه بشي من هذه الاسباب كان منحرفا عن الاخرة و
يخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة
في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا بين النايم
واليقظان الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها

الَّتِي اسْتَغْرَقَتْ هَمَّهُمْ الْخُلُوُّ مِنْ خَشْيَتِهِمْ

أَنْفُسَهُمْ وَخَالِقَهُمْ وَمَصْدَرَهُمْ وَمَوْرِدَهُمْ اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان
موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا
عبارة عن احدها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي هي عبارة عنها
فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملاً فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها
لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن
والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات والتداوي
واما المعادن فيطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص
وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان
فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للماكل وظهورها
للمركب وللزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان
الناس ليستخدمهم ويستخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان
ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي
يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه هي الاعيان
التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة وهذه من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه
على غيرها من اللالي واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي
البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا
الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل
في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد
والريا والشماتة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر
وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها
العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان

لتصلح حظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها
والخلق انما نسوا انفسهم ومابهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب
بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها الدنيا لم تخلق الا لعلف الدابة
التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم و
ملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد
في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق فلا يزال
يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع
الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن
مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة السباع هو وناقته والحاج البصير
لا يهمه من الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة
والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الاخرة لا يشغل
بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين
ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة
البدن ومن كان همه ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر
ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضرورة وامر المسكن
والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه
لم تستغرقهم اشغال الدنيا فانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها و
حظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم و
اتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال
ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث
الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال
الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول
الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق منكبين
عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى القوت والمسكن والملبس الى ثلاثة
فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد و
لدفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن
والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق
ذلك للبهايم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنها

فيستغني

فيستغني عن البناء وتقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني
عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات
واوائل الاشتغال الدنيويه وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة و
البناء **اما البناء** فللسكن **والحياكة** وما يكتنفها من الغزل والخياطة
للملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص
نعني به تحصيل ما خلق الله من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح
يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل
ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع ادمي وكذلك باخذ معادن الارض مما
خلق الله فيها من غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والآت كالحياكة
والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما توخذ من النبات وهو الاخشاب
او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت
الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز
وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيف ما كان
وبالحداد كل عامل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا
ذكر الاجناس فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل
على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان
خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك
لشيئين **احدهما** حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا با
جتماع الذكر والانثى وعشرتهما **والثاني** التعاون على تهيئة اسباب
المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع قد يفضي الى الولد لا محالة
والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه
الاجتماع مع الاهل والولد في منزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع
طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف
يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الآتها وتحتاج الآلة الى حداد
ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد
بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن والالات الحياكة والخياطة
واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الى الاجتماع
ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتباذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقر

الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات والاثاث
والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران من اللصوصية وغيرها
ولكن المنازل قد تقصد بها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل
المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت
البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا
تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة
وولاية الابوين على الولد لانه ضعيف محتاج الى قوام ومهما حصلت الولاية
على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهايم اذ ليس لها قوة
المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا
في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون
فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة
يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون
لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض
وهرم وتعرض عوارض مختلفة لو ترك ضايعا لهلك ولو وكل
تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان
لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات
اخر فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم
بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص
عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومات ومنها الحاجة
الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا
الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في
المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها
الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا
بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اذ
لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا لتعطلت الصناعات
ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت لتعطلت البلاد
عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم
الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او يصرف اليهم الغنايم ان
كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من

اموال المصالحة وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة للحالة الى ان عدهم
اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج با
لعدل ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج
الى غير يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى
من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده
ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو
العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم
النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل
عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج
واعطايه واستعمال في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب
ونصب الكبير والقايد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك
فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي
يراقبهم بالعين المكالية ويدبرهم الكتاب والخزن والحساب والجباة
والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال
بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج
وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوايف الفلاح و
الرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالثة
المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة ولنظائرهم
فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا
امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب وهكذا يتناهى
الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها ومن وقع في مهواة منها
سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه الحرف والصناعات الا انها
لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع
به واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور
ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة
ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان
كالكلب الة الصيد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك
حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة والحداد والنجار
يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان

الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل الى ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه
وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذا بالته ربما
لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة
من النجار بالطعام ربما كان عنده في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيتعوق
الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة يترصد بها صاحبها
ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليه ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم
صاحب الانبار ويترصد ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن
فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة
فيخزنونها في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الا
متعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى ترددون الناس
يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ذلك ويتعيشون
به لتنتظم به امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيه كل الة وكل
قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل
فيحوج التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال
فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها
جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان
ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد
بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت
هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذالك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا
ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها
فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه
وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكرا نوعا من الاكتساب
ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان
يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من
الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة ثم يباع ثوب بطعام و
حيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين
المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج
الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت
النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى دار الضرب والى

136

والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة

الصيارفة وهكذا يتداعي الاشتغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهى
الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشي من هذه الحرف لا يمكن
مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عنه في الصبي
فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن
الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما سعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان
اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم الناس
يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا
الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من
يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويكابرون
ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفة منهم فيفزعون
الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما ان يكون
طرارا وسلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه
الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه
غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا
الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فا
حتالوا للتعلل اما بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم
بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن و
التمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت
من غير استحقاق ليكون سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا
~~~~ تتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسمحوا برفع
اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب
ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والا
فعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع
حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان
فيه تعصب يتعلق فيه بالمذهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل
البيت او ترى يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في
الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش
الذي يتخيل بايعه بانها ادوية فيخدع الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة
والفالين من المنجمين ويدخل في هذه الجنس الوعاظ المكدون على رؤس
~~~~

المنابر اذا لم يكن وراهم طايل علمي وكان غرضهم استمالت قلوب العوام واخذ
اموالهم وانواع الكدية ترتبو على الفنوع والتفيق وذلك استنبط بدقيق الفكر
لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى
ذلك كلهم الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثنى ذلك انفسهم ومقصودهم
ومنقلبهم ومالهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان
كدرها زحمة اشتغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت
اراوهم على عدة اوجه فطائفة غلبتهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم
للنظر الى عاقبة امرهم فقالو المقصود ان نعيش ايام في الدنيا فنجتهد
حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون
ليكسبون ويكسبون لياكلون وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن
ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهاراً لياكل ليلاً
وياكل ليلاً ليتعب نهاراً وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع
الا بالموت **وطائفة** اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس
المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان
يقضي وطره من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم
وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما
تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادة ٥
فيشغلهم كل ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الاخر **وطائفة**
ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغنا بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم
ونهارهم في الجمع فهم يتبعون في الاسفار طول الليل والنهار و
يترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون
الا قدر الضرورة شحاً وبخلاً عليها ان تنقص وهذه لذتهم في ذلك
دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض لو يظفر به
من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تبعها ووبالها وللاكل
لذتها ثم الذين يجمعون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطائفة ظنوا
ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثنا والمدح بالتجمل
والمروة فلا يتبعون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم
والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب
النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع على ابصار الناس

حتى تقول

حتى تقول الناس انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة
فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد توقع نظر الناس وطايفة
اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق
بالتواضع والتوقير فصرفوا همهم الى استجرار الناس الى الطاعة
بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طايفة
من الناس ويرون انه اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم
فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب
الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهو شغلهم حب
تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في اخرتهم
ومعادهم ووراء هؤلاء طوايف يطول حصرها على نيف وسبعين فرقة كلهم
ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك
المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما يراد له هذه الامور الثلاثة والقدر
الذي يكفي منها وانجرت بهم اوايل اسبابها الى اواخرها وتداعى
بهم ذلك الى مهاوي لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى
هذه الاسباب والاشغال وعرف غايتها المقصود منها فلا يخوض في شغل
ولا حرفة ولا عمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه
وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك
ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر
الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة
كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتشعبت
به الهموم ومن تشعب به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله تعالى في اي
وادٍ يهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فا
عرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا
الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والاخرة دار سعادة
لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان
يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من الهند فهم يتهجمون
على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة
اخرى ان القتل لا يخلص بل لابد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن
النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على

انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن
وبعضهم مرض واشتبه عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن
قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان
الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد فظهر لبعضهم ان هذا
التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه
عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا
مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك
من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة
العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة
حتى يصل العبد الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل
وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة
وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكاليف
وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات
هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة
وانما الناجي منهم فرقة واحدة وهي السالكة ما كان
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك
الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيؤخذ
منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع
والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع
العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا
ويحفظ على حد مقصوده فيوخذ من القوت ما يقوى به البدن
على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد
ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل الدنيا
اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر
وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز
حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء
بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه
عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول
الله ومنهم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة

وضلالات فاسدة

[illegible]

فاذا

قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى
السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون
الدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا
بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان
امرهم بين ذلك قواما ذلك هو العدل والتوسط بين الطرفين
وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع اخر
كتاب ذم الدنيا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فرغ منه كاتبه العبد الضعيف المعترف
بالذنب والتقصير الراجي عفو الله العفو
الاحسان عبده مصطفا ابن عبد الله
كرجي الاصل الشافعي مذهبا وشيخي وتربيتي
عبد القادر غفر له ولحسن اليهما واليه
ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة ولجميع
المسلمين والمسلمات
آمين م



تم فرغ منسخي يوم الجمعة في شهر جمادي يوم سبع تعشر في الشهر
سنة الف ومائة على مهاجرها افضل الصلوة والسلام

كتاب ذم البخل وذم حب المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي
خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف اموال وابتلاهم
فيها بتقليب الاحوال ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر
والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص
والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود
والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير
والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا
وينظر ايهم آثر الدنيا عن الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا وحولا
واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللا
وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى اله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا
وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة
الارجاء والاكناف لكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه
لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي
يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون
عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوايد والافات وفوايدها من
المنجيات وافاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا
يقوى عليها الا ذو البصاير في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين
المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا
لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال

ببعض اجزاء الدنيا والجاه ببعضها واتباع شهوة البطن والفرج ببعضها
وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد ببعضها والكبر وطلب العلو ببعضها ولها
ابعاض كثيرة ويجمعها كلها ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الان في هذا الكتاب
في المال وحده اذ فيه افات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن
وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفا
قد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص
حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس
عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح
وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد
والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض
فيها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة عشر فصلا ان شاء الله وهو بيان
ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وافاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج
الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء
ثم الايثار وفضيلته ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم
الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهية حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر
الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الاية وقال
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال تعالى الهاكم التكاثر
وقال عليه السلام حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان
ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين
الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك الاكثرون الا من قال به
في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك
اشر فقال الاغنياء وقال عليه السلام سياتي بعدكم
قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون

الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد عان على هدم الاسلام وقال عليه السلام دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال عليه السلام يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال عليه السلام اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره هو اهله والذي يتبعه الى محشره هو عمله وقال الحواريون لعيسى ابن مريم مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدنيا والدراهم عندكم قالوا حسنة قال لكنها عندي والمدر سوا وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي شكره فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما نزال كذلك حتى يدعوا بالويل والثبور وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكلما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال عليه السلام اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال عليه السلام لا تتخذوا الضيعة

يجيء

اعطى امضى فقد

فتحبوا الدنيا

فحبوا الدنيا **الاثار** روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءً
فقال اللهم من فعل بي سوءً فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف
راي كثرة المال غاية البلا مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان
يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال
اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني **وروي** ان عمر رضي الله عنه ارسل
الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر
بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته
صررا وقسمتها في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم
لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحوقا به **وقال** الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا
اذله الله **وقيل** اول ما ضرب الدينار والدراهم رفعهما ابليس
ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي
حقا **وقال** سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين
يقادون بها الى النار **وقال** يحيى بن معاذ الدرهم
عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه
قيل فما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه **وقال**
العلا بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله
من شرك قالت فابغض الدرهم والدنانير وذلك لان الدرهم والدينار
هي الدنيا كلها اذ يتوصلوا بها الى جميع اصنافها فمن صبر عنها صبر عن الدنيا
ولذلك قيل ارائي وجدت فلا تظنوا غيرها ان التورع عند هذا
الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقواك تقوى المسلم
وقيل ايضا لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق عظم الساق رفعه
ويروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته
فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك
ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاث عشر من الولد فقال عمر اقعدوني
ادع فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما وولدي فاني لم امنعهم
حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله
فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع
وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته

لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي
لولدي وروي ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب
بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم
وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون
بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسال عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم ان الله تعالى سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية وقال
عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في الصدقة والحج فهو
ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال
عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف
على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده
وافاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه
محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض
ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح
لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه
غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان
الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد
الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك
المقيم والقصد الى هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت
ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسائل
في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية
كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب
واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة

الخارجات

لخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما
ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هو الجوهر الشريف المطلوب
سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصل صفة
في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس
تخدم البدن وقد سبق ان المقصود ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء
النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها بالعلم والخلق ومن عرف
هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة
المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس
خير ومن عرف فائدته وغايته ومقصوده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها
غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال
آلة ووسيلة الى المقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة
وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة ويسد سبيل العلم والعمل فهو
اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة
الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه
وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات
القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما
يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله
عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض
خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ
ابراهيم عليه السلام اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى به هذين
الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان
يعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار
بهما والركون اليهما قال نبينا عليه الصلوة والسلام تعس عبد
الدنيا تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش بين
ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد
صنم بل كل من كان عبدا لغير الله
فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك
شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك
عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شره ويستدر منه خيره اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعا في ثلاث انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهي كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة واخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم اما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني

بها بذل

به بذل المال ليدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع
شرهم وهو ايضا تنجز فايدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا
قال ـــــ عليه السلام ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة
وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه
من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة
واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه
كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاقت اوقاته وتعذر عليه سبيل سلوك الاخرة
بالفكر والذكر الذي هو اعلا مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر
الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شرا الطعام وطحنه وكنس البيت
حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما تصور ان يقوم به غيرك ويحصل
غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر
والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران
النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير
عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضا ونصب الحباب
في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات
المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى
اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين
سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة
الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان
والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال
من الحظوظ الدنيوية **واما** الافات فدينية ودنيوية **اما** الدينية
فثلاثة **الاولى** ان يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز
قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يجد ومهما كان
الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر [اليها]
القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية
المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع
في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة
الضراء **الثانية** ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول
الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير و [يلبس]

الثوب الخشن ويترك الاطعمة كما كان يقدر عليه السليمان عليه
السلام فاحسن احوالهما ان تينعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم
مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه
به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايا
والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديه لينتظم له اوديناه
ويتيسر له نعمة فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى
الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم انسان من الافة
الاولى وهو مباشرت المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى
الخلق تثور العداوة والصداقة وينبني عليه الحسد والحقد والريا و
الكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب
واللسان ولا يخلوا عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك
يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالثة** وهي التي لا ينفك
عنها احد وهو ان يلهيه اصلاحه ماله عن ذكر الله تعالى وكلما شغل العبد
عن الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في
المال ثلاث افات ان ياخذه من غير حله فقيل ان يضعه
في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن
الله تعالى وهذا هو الدآء العضال فان اصل العبادات ومخها
وسرها ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وذلك يستدعي
قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة
الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود و
خصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجرا على التقصير
في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة
كونه متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في
العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف
الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال
الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن
يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل
الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك
فهذه جمل الافات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال

في ملكه

اذ اذن من خطه فقال

[illegible]

في الدنيا

في الدنيا من الخوف والحزن والهم والغم والتعب في دفع الحساد وتجشم المتاعب
في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود
كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع
عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان
ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والمشرب والملبس
ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا
يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير او طول الامل فاته عز القناعة
وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي
الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص
والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن
ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم
فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة
ولو ان لابن ادم واديا من ذهب لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان له الثاني
لاحب ان يكون اليه الثالث ~~ولو كان الثاني لاحب ان يكون اليه الثالث~~
ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى
الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله سبحانه
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن ادم واديين من مال لتمنى
واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان
منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال صلى الله عليه وسلم يهرم
ابن ادم ويشب منه اثنتان الحرص والامل ولما كانت هذه جبلة للادمي
مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال

عليه السلام طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به وقال
عليه السلام ما من احد غني ولا فقير الا ودّ يوم القيمة انه كان اوتي قوتاً في الدنيا
قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس
اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا
حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة **وروي** ان موسى
عليه السلام سال ربه اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته
قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن
مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث
في روعي ان نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في
الطلب وقال ابو هريرة قال عليه السلام يا ابا هريرة اذا اشتد بك
الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة
قال عليه السلام كن ورعاً تكن اعبد الناس وكن قنعاً تكن اشكر الناس
واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ونهى عليه السلام عن الطمع فيما رواه
ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه ان اعرابياً اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا
تحدثن بحديث تعتذر منه غداً واجمع الياس مما في ايدي الناس وقال
عوف ابن مالك الاشجعي كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية
او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول
الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال
قائل منا قد بايعناك فعلى ما ذا نبايعك فقال ان تعبدوا الله لا تشركوا
به شيئاً وتقيموا الصلوة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفيفة
ولا تسالوا الناس شيئاً قال فلقد كان بعض اوليك النفر يسقط
سوطه فلا يسال احداً ان يناوله اياه **الاثار** قال عمر رضي
الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييس عما عند الناس
استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك
قيل ::: العيش ساعات تمر ::: وخطوب ايام تكر :::
::: اقنع بعيشك ترضه ::: واترك هواك وانت حر :::
::: فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر ::: **وكان**

محمد

وكان محمد ابن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله وقال
من قنع بهذا لم يحتج لاحد وقال سفيان خير دنياكم مالم تبتلوا
به وخيرها ما ابتليتم به ما اخرج من ايديكم وقال بن مسعود مامن
يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
شميط بن عجلان انما بطنك يا ابن ادم شبر في شبر او فتر في فتر فلم تدخلك
النار وقيل لحكيم ما المال قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن
والياس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال
يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا
اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال
ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول
انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية
الى ابي حازم يعزم عليه ان يرفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت
حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل
لبعض الحكماء اي شي اسر للعاقل وايما اعون على دفع الحزن قال اسرها
اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضا
وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنع
واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واحفظهم عيشا
ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد قيل

ارفه بالي فتى يمشي على ثقة ∴ ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ∴ والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ∴ لا يلق في دهره شيء يورقه

وقد قيل

حتى متى انا في حط وترحالي ∴ وطول سعي وادبار واقبالي
ونازح الدار لا انفك مغتربا ∴ عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا ثم مغربها ∴ لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ∴ ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله حلتان
لشتائي وقيظي وما يسعني وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم من الطويح
ولا باوضعهم ووالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في هذا القدر هل هو زيادة

على الكفاية التي تجب والقناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال
يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته
وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك
يا اخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً وقد قيل اراك يزيدك
الاثر حرصاً على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوماً اليها
قلت حسبي قد رضيت وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة
فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واشويك واكلك قالت
والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هن خير
لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية اذا صرت على الشجرة
واما الثالثة اذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن
على ما فاتك قال حسن فخلاها فلما صارت على الشجرة قال
هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت
على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل
واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف
وقال هات الثالثة قالت انت نسيت الثنتين فكيف
اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون
انه يكون انا ولحمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي
درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وهذا
مثال لفرط طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون و
وقال ابن السماك ان الرجا حبل في قلبك قيد في رجلك فاخرج
الرجا من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد الزبيري
دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني
تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت
هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتها وقد اضفت
اليهما ثالثا وانشدني اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوات الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عتابها
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء
بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوايج

وقال

145

وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه
فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب
ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا اقتضاها لك
حزمتك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك انفك
للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض ولم تسلم عليه لله ولم تعده
لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من
مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر
الانسان انه لو نودي بدوام البقا في ايام الدنيا لم يكن في قوى
خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع
وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت
له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا هو
هو ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحا اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة
اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول
وهو العمل الاقتصار في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز
القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه
الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعة
بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام
كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال
فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد
ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصار في المعيشة هو الاصل في القناعة
ونعني به الرفق بالانفاق وترك الخرق فيه قال
عليه السلام ما عال من اقتصد وقال عليه السلام ثلاث
منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا راى ابا الدرداء

يلتقط حبًّا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى
الصالح جزء من بضع وعشرين جزوا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف العيش
وقال عليه السلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن
ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام اذا اردت امرًا فعليك بالتؤدة
حتى يجعل الله فرجًا ومخرجًا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور الثاني فالحال
اذا تيسر له ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل
ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد
وان ياتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول
الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله اذ قال وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما
تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه
في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتمال التعب نقدًا مع
الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال ربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا
من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس
عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق
ياتيك وقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه
ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد عن الدنيا حتى ياتيه ما كتب
له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته
بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع
الاجمال في الطلب بل ينبغي ان تعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب
فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب
قلبه لاجله وقال عليه السلام ابى الله ان يرزق عبده المؤمن
الا من حيث لا يحتسب وقال سفين اتق الله فما رايت تقيًا
محتاجًا اي لا يترك التقي فاقد الضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان

بل محتاجًا

قوله تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب

يوصلوا اليه

146

يوصلوا اليه رزقه وقال الفضيل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك
قال بر الحاج قلت فاذا صدروا قال فبكى وقال لولم نعش الا من
حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا
منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا
منها هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوا فيما بقي يمنع الذي
هو لغيري مني فني اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة
لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره الفقر الثالث
ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغنا وما في الطمع والحرص من الذل
فاذا تحقق عنده ذلك انبعث رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلوا
من تعب وفي الطمع لا يخلوا من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر
عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة
وذلك مما ينضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والماثم ثم يفوته
عز النفس على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته
الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك
دينه ومن لا يوثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص
الايمان قال عليه السلام عز المومن استغناوه عن الناس
ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت
نظيره واحتج الى من شئت فانت نظيره اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره
الرابع ان يكثر امله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس
والحمقا من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال
الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وساير الصحابة والتابعين
ويسمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على
مشابهة اراذل الخلق او على الاقتدا بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى
يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة على اليسير فانه ان تنعم
في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقار فالخنزير اعلا
رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلا رتبة
منه وان قنع بالقليل ورضي الله به لم يساهمه في رتبته الا الاولياء
والانبيا الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما
ذكرناه من افات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في

خلو اليد من الامن والفراغ وبتاتل ما ذكرناه من افات المال والحسرات
مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع
بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك
بان ينظر ابدا الى من هو دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان
ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب
الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه
فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف
الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال
ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان انظر الى من هو دوني
لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه من المال والخلق
فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور تقدر على اكتساب
خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا
قليلة للتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء
وشدة طمعه في انتظار الشفا **بيان فضيلة السخاء** اعلم
ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص
وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع المعروف
والتباعد عن الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول
النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخا شجرة من
اشجار الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده
ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
جبرئيل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته
لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي
رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة رضي الله عنها قالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على السخا
وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الايمان
افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمرو قال النبي
صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله
فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخا واما اللذان يبغضهما الله

لخوفك

في ذلك

ايام

١٤٦

فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرًا استعمله على قضاء حوائج
الناس وروى المقدم ابن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول
الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان موجبات المغفرة بذل
الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وفي ك ابو هريرة قال
عليه السلام السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيًا اخذ بغصن منها
فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان
شحيحًا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار
وفي ك ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى اطلبوا الفضل والرحماء من عبادي تعيشون في اكنافهم فاني
جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم
سخطي وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر وقال
ابن مسعود قال عليه السلام الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين
الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال
عليه السلام ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها
وفي ك انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ما سئل على الاسلام
شيئًا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثير بين جبلين من شاء
الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدًا ليعطي عطاء من لا
يخشى الفاقة وفي ك ابن عمر قال عليه السلام ان لله عبادًا يختصهم
بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى
عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلًا فقال
علي ابن ابي طالب يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب
واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليهم السلام نزل علي جبرئيل فقال
اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وفي ك
عليه السلام ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع ابن عمر
قال عليه السلام طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال
عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحمل
تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عليه وسلم استكثروا

استغن عمن شئت تكن نظيره
واحتج الى من شئت فانت اسيره
واحسن الى من شئت فانت اميره

من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال
ابو هريرة قال عليه السلام ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار ولا وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى
الداء البخل وقال عليه السلام اصنع المعروف الى من هو اهله
والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله
فانت اهله وقال عليه السلام ان بدلا امتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا صلوة
ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين
وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم
المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر
عليهم اعطاوهم كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها
ويحيي بها اهلها وقال عليه السلام كل معروف صدقة
وكلما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقي به الرجل
عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال
عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب
اغاثة اللهفان وقال عليه السلام فعلته الى غني او فقير صدقة
وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل
السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثا عليهم قيس بن سعيد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس
تسع ركايب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه السلام
ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الاثار** قال علي
كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى
واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ❊ فليس ينقصها التبذير والرزق ❊
وان تولت فاحرى ان تجود بها ❊ فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف ❊

وقال معاوية للحسن ابن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال **اما**
المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بصنيعه وحسن
المنازعة والاقدام في الكراهية **واما** النجدة فالذب عن الجار والصبر في الموطن

وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار

كل معروف صدقة

اليك

والنجدة

واما

واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النايل ورفع رجل الى الحسين بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بالدر ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء قال ان تجود بمالك في الله تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة قال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وراى الاحنف بن قيس رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل

انت للمال الذي امسكته ۞ فاذا انفقته فالمال لك ۞

وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين ابن علي رضوان الله تعالى عليهم يعتب عليه في اعطا الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفين بن عيينه ما السخا فقال السخا البر بالاخوان والجود بالمال وورث عبد الرحمن الحارث خمسين الف درهم فبعث بها صرر الى اخوانه وقال قد كنت اسال الله تعالى الاخوان في الجنة في صلاتي افابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكما من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده قيل فان لم يكن لبعض الحكما
واحب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن

قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد الرحمن العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي

وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ان الرجل ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها ... لله او لذوي القرابة او دع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المكندر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنتي ذكرتني لفعلت

وعن ابان ابن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عنده اليوم فاتوه حتى ملاوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبد الله بشرا فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلائه اموجود كلما اردت قالوا نعم قال فليتغدى عندنا هولاء كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسن بن علي لاخيه لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمر عليه بنجيتي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع رقعة الى المامون ويذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون

على انك رجل اجتمع فيك خصلتان حيا وسخا فاما السخا فهو الذي اطلق
ما في يدك واما الحيا فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت
لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد لي في بسط يدك وان
لم اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حري على قضاء الرشيد عن
محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال للزبير ابن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش
يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له
وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث
احب الي من الجائزة وهي مائة الف وسال رجل الحسن بن علي حاجته فقال
له يا هذا حق سوالك اياي لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز يعظم صح
عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفا
لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مونة الاحتيال والاهتمام لما
اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله
اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله
وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل
من الثلاث مائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة
دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم
والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع
اليهم الحسن رداه لكرا الحمل فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال
ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن
عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنا كل واحد منا ان
يكون مثله وقد زوج بنتا له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما
يجهزها به فقام عبد الله ابن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح
صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما
انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه
على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما نشغل بها مومنا عن عبادة الله
وما بنا من التكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وحكي انه
لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان بن سعد صح
اني عدوه فعال محاويجهم الى رخصة الاسعار ثم عزل عنهم ورحل والتجار

عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمته خمسماية الف
الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها
عن حقوقهم اليهم لم تنله صلاته وكان ابو طالب بن كثير شيعيًا
فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي بغلتك بموضع كذا
فقال الذي نعلت وخفه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب
الرجل وكان ابو مرثد احد الكرما فمدحه بعض الشعراء فقال
للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي
وادع علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي
لا يتركوني محبوسًا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف
درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زايدة عاملًا
على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول
على الامير فلم يتهيا له فقال يومًا لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان
عرفني فلما دخل علمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في
الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما ابصر
بالخشبة اخذها وقراها فاذا عليها مكتوب

ايا جود معن ناج معن بحاجتي ❊ فما لي الى معن سواك شفيع

قال فقال من صاحب هذه فدعا بالرجل فقال له كيف قلت فقاله
فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما
كان في اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها وفيها ودعا
بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف
ان ياخذ ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها
ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه
حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار روى ابو الحسن
المداني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجًا ففاتهم اثقالهم
فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب
فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة
فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام
قالت لا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيي لكم ما تاكلون
فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا

فاقاموا حتى

واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه
فاذا رجعنا سالمين فالمّي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل
زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل فقال ويحك تذبحين
شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد
مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر
اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة
فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة
فبعث الحسن غلامه فدعا بالعجوز فقال لها امة الله اتعرفيني قالت
لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز
بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشترى لها من
شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه
الى الحسين فقال بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار
فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر
فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي
دينار والفي شاة فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال
لها لو ابتدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الف
شاة واربعة الف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز
من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف
فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك
وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله
ان طار بجناحك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله
ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه
فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاءوا الى قبر
بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وكانوا جاءوا
من سفر بعيد فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول
له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبتي وقد كان خلف السخي نجيبا
معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم نعم وباع
في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى
بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فراى الدم يثجب

فامر لها الحسين

قع

من بعيره فقال لهم الرجل من النوم فنحروه وقسم لحمه فطبخوا وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان ابن فلان معكم باسمه ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال بعت منه بعيري بنجيبة في النوم فقال خذ هذه بنجيبة ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبتي الى فلان وسماه وقيل قدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكا فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكني ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهولاء يبكون قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هارون الرشيد الى مالك بن انس رحمهما الله خمسماية دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هارون وقال اعطيه خمسماية دينار وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي من غلتي كل يوم الف دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم يجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فناولها زق من عسل فقيل له انها كانت تقنع منك بدون هذا فقال انها سالت على قدرها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثماية وستين مسكين وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني عنها هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر

من ثلثماية

151

من ثلثماية دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال عبد الملك
ابن مروان لاسما بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري
احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال فقلت يا امير
المومنين مامددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت
عليه قوما الا كانوا امن علي منتي عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني شيئا فا
ستكثرت اشيا اعطيته اياه قط ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد
الملك وكان سعيد جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن ساله صكا
على نفسه حتى يخرج عطاوه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت

اني سمعت مع الصباح مناديا ٭ يا من يعين على الفتى المعوان ٭

ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلاثون الف دينار
قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس ابن سعد بن عبادة
فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال
اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان
عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة
من عاده وعن ابي اسحاق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث
بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت
لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث ابن قيس الكندي قدم البارحة
من مكة فامر لكل واحد ممن صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال
الشيخ ابو سعد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ
يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان
يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد
لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح له بشي فجاء
الى قبر رجل فجلس عنده وقال يرحمك الله كنت تفعل وتصنع واني
درت اليوم على جماعة كلفتهم دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي قال
ثم قام واخرج دينارا فكسره وناولني نصفه لا ما يتفق لي به قال فراى
ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت
جميع ما قلت وليس لي اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا
مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسماية دينار واحملها الى هذا الرجل
قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة

صح
الا كانوا امن علي منتي عليهم

وقال اذا اهديت لك ... علىك الا ان يفتح الله عليك
شيئا فاهد ... فانصرف

فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها
بين يديه فقال هذا مال لكم وليس لي بها حكم فقالوا نتسامح منك ولا نتسامح
نحن احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر
له القصة قال فاخذ منها دينارًا فكسره نصفين فاعطاه النصف
الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا انصدق
به على الفقراء وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال
امروا فلانًا يغسلني فلما توفي بلغه خبر موته وفاته فحضر وقال
ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون
الف درهم دينًا فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال
غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعد الواعظ الخركوشي
لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده
وزرتهم فرايت فيهم من الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره
في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان
ابوهما صالحا وقال الشافعي لا ازال احب حماد ابن سليمان
لشيء بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبًا حماره فحركه فانقطع زره
فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه يسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت
فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج صرة فيها عشرة دنانير فسلمها
للخياط واعتذر اليه من قلتها وانشد الشافعي لنفسه

يا لهف نفسي على مال افرقه ؛ على المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الى من جاء يسالني ؛ ما ليس عندي لاحدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه
اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي
يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباه
في موضع خارجًا من مكة فنشرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض
قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي
ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قل ما يمسك
شيئًا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال صيعة تكون لك ولولدك
قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة
يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكن بنيت بمنا مضربًا

يكون

152

يكون لاصحابنا اذا احتجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي

اري نفسي تتوق الي امور ... يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي علي المامون فوصله بمائة الف
درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المامون فلما عاد
اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود
سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى سعيد ابن
العاص فساله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد
ما يبكيك فقال ابكى على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة
اخرى ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكله بابيات امتدحه فوجه
عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عيسى ان
اقوم فرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه

انحرانا قبول مدحتنا ... وترك ما يرتجي من الصفد
كما الدنانير والدراهم في البيع ... حرام الا يدا بيد

فلما مثل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم قام بالباب قال شهرين
قال اعطه ثلاثين الفا وجيئني بدواة فكتب اليه

اعجلتنا واتاك عاجل برنا ... قلا ولو امهلتنا لم تقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تقل ... ونكون نحن كاننا لم نفعل

وروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم
فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال
هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك وقالت سعدي بنت
عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي
مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك ففرقه فيهم فقال يا غلام
علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربعمائة الف
وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه لرحم
ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان ثلثمائة الف
درهم فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال
الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي رضي الله عنه
يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون

الله فقد اهانني واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جا ربك
قال اربعة قال اربعماية درهم دين قال فوزن اربعماية واخرجها اليه
وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي
لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به **بيان ذم البخيل**
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيمة وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله وقال عليه السلام
اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا
دماهم ويستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال
عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا سيء الملكة وفي
رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال عليه السلام
ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزان والبخيل المنان والمعيل المختال
وقال عليه السلام مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين
عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيا
الا اسبغت او وفرت على جلده حتى يخفي ثيابه واما البخيل فلا
يريد ان ينفق شيا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت
بتراقيه فهو يوسعها ولا يتسع وقال عليه السلام خصلتان
لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام
اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان
ارد الى ارذل العمر اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم وقال عليه السلام
والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح
فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم
بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال عليه السلام
شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد ولعله
قد كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا ينقصه وقال جبير ابن مطعم

بينا نحن

بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس
مقفله من حنين علقت بالاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه
حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه
نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال
عمر قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هولاء
كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان
يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه دخل رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر
بن الخطاب رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع
بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلان
اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني
فينطلق في مسالته متابطا وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو
نار قال يابون الا ان يسالون ويابى لي البخل وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله فجودوا يجد الله
لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل راسه راسخا في شجرة
طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها
الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخا من الايمان والايمان
في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم
ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا
ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال عليه السلام
السخا شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت
في النار ولا يلج النار الا بخيل وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سيدكم يا بني كيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه
رجل فيه بخل فقال عليه السلام واي داء ادوى من البخل
ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا
جد بن قيس فقال وبما تسودونه فقالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك

لنواه على البخل فقال عليه السلام واي داء ادوي من البخل ليس
ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم
بشر بن البراء وقال علي كرم الله وجهه قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال
ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في
قلب مومن وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل
وسوء الخلق وقال عليه السلام لا ينبغي لمومن ان يكون
بخيلا ولا جبانا وقال عليه السلام يقول قايلكم الشحيح
اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته
وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي عن النبي صلى الله
عليه انه كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو
يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال
عليه السلام وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك
فقال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله
فقال ذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى
قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله
اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسالني فكانما يستقبلني
بشعلة من نار فقال عليه السلام اليك عني لا تحرقني
بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام
ثم صليت الفي الف عام حتى تجري من دموعك الانهار ويسقى بها
الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر
وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول فانما يبخل على نفسه
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون **الاثار**
قال ابن عباس رضي الله عنه لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني
فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل
واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك
وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن

دخلني فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا وقلت اخت
عمر بن عبد العزيز ان البخل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا
ما سلكته وقال طلحة بن عبيد انا لنجد باموالنا ما تجد البخلا
ولكنا نتصبر وقال محمد ابن المنكدر كان يقال اذا اراد الله
بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم
وقال علي رضي الله عنه في خطبته انه سياتي على الناس زمان
عضوض يعض المومن على ما في يده ولم يومر بذلك قال تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد
من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح على
ما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال
الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل
ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال
للهندي تكلم فقال خير الناس من الفى عند الرضا سخيا وعند
الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي
رحم مشفقا وقال الرومي من كان بخيلا ورث عدوه ماله
ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون
فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله
تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله ايديهم عن
النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب
ما من صباح الا وقد وكل به ملكان ينادبان اللهم عجل لممسك تلفا
وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف
رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينيه وكانما
يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصا فياخذ فوق
حقه خيفة ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي
رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى
عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات
الا ثلاث ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن
الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم اياك

لبخيل ومن حثا امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة
قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل
يقسي القلب وبقاء البخلاء كرب على قلوب المومنين وقال يحيى ابن
معاذ يأبى القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا
ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم
بعرضه ولقي يحيى ابن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال
له يا ابليس اخبرني باحب الناس الى المومن اليك وابغض الناس
اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق
السخي قال لم قال لان البخيل كفاني بخله والفاسق
السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول
لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان
في البصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة
ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه فنزل به الكرب
والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال
لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت
ولا اتقيا طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين
يديه تين فغطى التين بكساء فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن
شيئا من القران فقال نعم والزيتون وطور سينين فقال الرجل
واين التين فقال تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه شيئا
الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود
وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت
المقلى ويحكى ان محمد ابن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل
فسال نسيب له كان يالفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال
هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها
قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى
الذباب فقال سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال والله
اني لا اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا مملوا ابرا ثم جاءه قال الا استرح منه
جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي صلى الله عليه السلام يضمنون
عنه ابرة ويسالونه اعرنا اياها لنخيط بها قميص يوسف النبي الذي قد

155

دبر ما فعل وقيل كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلاً
حتى يقدم اليه فاذا قدم ارسل غلامه فاشترى له راساً فاكله فقيل
له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم
الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس
بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت
على ذلك واكل منه الوانا اكل عينه لونا واذنيه لونا ولسانه لونا وغلصمته
لونا ودماغه لونا واكفى مؤونة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج
يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عندك ان
رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما واعطي
ستين الفا فاعطاها اربعة دوانيق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه
صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره
الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت
فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش
فبينما هو ياكل فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له رب
المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسئلة فقال بورك فيك فلما سال
الثالثة فقال اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه
الاعمش اذهب ويلك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه منذ مدة
يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زاد عليهما

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخا والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات
السخا الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل
ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة
قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي ان يبخل
على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى
ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها
فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع
ان به حاجة الى ذلك فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا
يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد
اثنى الله تعالى على الصحابة فقال تعالى ويوثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم

ايما امرئ اشتهى فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عائشة
رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متوالية حتى
فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل برسول
الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل
من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء
السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف
الطعام فلما اصبح قال له صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنعكم
الى ضيفكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فا
لسخا خلق من اخلاق الله تعالى والايثار على درجات السخا وكان
ذلك من داب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله عظيما فقال
تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى
عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد عليه الصلاة والسلام
قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله
جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له من ملكوت
السموات فنظر الى منزل كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله
تعالى فقال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال
بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد
عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء
وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم
وفيه غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب
ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني
والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم
قال ما رايت قال فلم اثرت به هذا الكلب قال ما هي
بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال
فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله
بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما
فيه من الالات فاعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر اهدي
الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله وسلم راس شاة فقال ان اخي كان
احوج مني اليه فبعث به فلم يزل يبعث كل واحد منهم الى اخر حتى

ثم اوله سبعة ابيات ورجع الى الاول وبات علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبريل
وميكائيل عليهما السلام اني قد اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول
من الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله تعالى
اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله
عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحياة اهبطا
الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند
رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب والله تعالى يباهي
بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشتري نفسه
ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب
الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان
واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد
منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة
جاءه سائل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر
اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب
ابن عم لي ومعي شي من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت
بوجهه فاذا انا به فقلت له اسقيك فاشار ان نعم فاذا رجل يقول اه
فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك
فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد
مات فرجعت الى هشام فاذا به قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا به
قد مات وقال عباس بن دهقان ~~فاذا به قد مات فرجعت~~
~~الى ابن عمي فاذا به~~ ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث
فانه اتاه رجل في مرضه فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار
ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس ~~فاعطاه واستعار~~
فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد واذا نحن بدابة ميتة فصعدنا
الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد
ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجا الى تلك الميتة وقعد ناحية
ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها

حتى اكلت الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام
ذلك الكلب وجاء تلك العظام واكل مما بقي على العظم قليلاً ثم انصرف وقد
ذكرنا جملة من اخبار الانبيا واحوال الاولياء فيه في كتاب الفقر
والزهد فلا نعيده **بيان حد السخا والبخل** وحقيقتهما لعلك تقول
عرفت بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا
يصير الانسان بخيلاً وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخياً وربما
يراه غيره بخيلاً وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول
قوم هذا بخل وما من انسان الا وجد في نفسه حباً للمال ولاجله يحفظ
المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلاً فاذا لا ينفك احد من البخل
واذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك
فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة
السخاوة وثوابها **فنقول** قد قال قائلون حد البخل منع الواجب
فكان من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد
اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة فانه يعد بخيلاً بالاتفاق
وكذلك من سلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم
في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلاً ومن كان بين
يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عد بخيلاً **وقال**
قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان
اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب ما فوقه
وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا
فهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك
تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل عطاء
من غير مسالة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء
لما امكن **وقيل** الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد
لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر **وقيل** من اعطى
البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن اعطى الاكثر وابقى شيئاً لنفسه
فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل
شيئاً فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل و
الجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات

ويتوقف الامر ونص حد البخل

العطية القليلة والحبة وما يجري مجراها ويستصعب

بالبلغة

الخلق

الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا
يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ
ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب
الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود
عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء
وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط
بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه
بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً
به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه
وهو يصابرها فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون
لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب
صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفاً على
معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب
قسمان واجب بالشرع وواجب بالعادة والمروة والسخي هو الذي
لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحداً منهما فهو
بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع
عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما
يتسخى بالتكلف والذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من
اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو
ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح
ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح
من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه
ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح
في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة فيختلف
ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام
او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شرا الكفن
مثلا او شرا الاضحية او شرا خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من
المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق او اخ وقريب

وزوجة وولد واجنبي وعن منه المضايقة من صبي او امراة وشيخ وشاب وعالم
وجاهل وموسر وفقير فالبخل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع
واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل
هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة
الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم
من حفظ المال فالمضايق في الدقايق مع من لا يحسن المضايقة معه هتك
ستر المروة بحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل
ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه
الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون
له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة
فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق
وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع
نوايب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه
ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة
وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف
شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب
الشرع وواجب المروة اللايقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا
يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب
الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه
الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع
له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض
الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة
والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا
يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثنا فان من
طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري
المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل
الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من
الله فاما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض
ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة واكتساب فضيلة

الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من
الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك
ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اغراض معجلة له عليه فهو معتاض
لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو
جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسئلة فقالوا لها
سلي ما شئت فاشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا
العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين
قالوا نعبد الله سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على
ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عليه
قالوا لها عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي
شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي
ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على
ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله
ان يطلع على قلوبكم فيعلم انما انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا
لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسب ان السخاء في الدرهم والدينار
فقط قيل ففيم فقالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي رحمه
الله السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك
ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى سماحة غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا
عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن
كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يكون مولاك هو الذي يفعل
بك ما لا تحسن ان تختار لنفسك **بيان علاج البخل** اعلم ان البخل سببه
حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها
الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل
بماله لقدر الذي يحتاج اليه في يوم او شهر او في سنة قريب وان كان نقصر
الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا
نفسه فيمسك لاجلهم ولهذا قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا
انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بقلة الرزق قوي البخل لا محالة السبب
الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت
به العادة بنفقته ويفضل الالف وهو شيخ لا ولد له ومعه اموال كثيرة

ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير
عاشقا لها يتلذذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض
وهو يعلم انه يموت فتضيع او يأخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه
بان يأكل منها او يتصدق بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا
سيما في كبر السن وهو مرض من لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا
فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول
يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم
قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية
الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته
به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال
وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير
وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول
تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان
الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله
احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يتركه بخير
وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان
فاسقا فيستعين بالمال على المعصية وترجع مظلمته عليه ويعالج قلبه ايضا بكثرة
التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد
الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل
في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل
الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل و
مستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا
قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلقت فلا يحفظ من المال
الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه
ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل
خير من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا
يمنعه الفقر وتخوفه ويصده عنه يحكى ان ابا الحسن ابن البوشنجي كان
ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له فقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان
فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج فقال خطر لي بذله ولم آمن على نفسي ان يتغير

ولا يزول

ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق
بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه
فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا ببذله
له بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له على ومن
لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء والاشتهار
فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون
قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف
بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون الاسم كالتسلية للنفس
عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي با
للعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي
اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي
ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورتها
به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل
الاقوى بالاضعف فان كان الجاه عنده محبوبا كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع
علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل
لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء عليه اغلب فان كان البذل يشق
عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل
اغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال
ان الميت تستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا
حتى يقل عددها وتكبر ثم ياكل بعضها بعضا حتى يرجع الى اثنتين
قويتين عظيمتين ثم لا يزالان تتقاتلان الى ان تغلب احداهما الاخرى
فتاكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى وحدها جايعة الى ان تموت فكذلك
هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فتجعل
للاضعف قوتا للاقوى الى ان يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها
واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا المذمومة
يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات
وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال
مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب
فيه فلذا علاج البخل بعلم وعمل العمل يرجع الى معرفة افة البخل وفائدة

الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث
يعمي ويصم فيمتنع تحقيق المعرفة بآفته واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة
فلم يتبين العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء و
امكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض
شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص
بزواياهم وكان اذا توسم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية
غيره ونقل غيره الى زاويته واخرجه عن جميع ما ملكه واذا آراه يلتفت الى ثوب
جديد يلبسه او سجادة يفرح بها امره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خليعا
لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا
السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب
ولذلك اذا سرق كل واحد من ذلك الم به مصيبة بقدر حبه فاذا
مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب
عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض
الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح
الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف
تراه هذا فقال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر
كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله
وقد كنت قبل ان حمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق
ان انكسر يوما وعظمت مصيبة عند الملك فقال صدق الحكيم ليته
لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لا
عداء الله تعالى اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ
تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة
نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والحراس لا يمكن تحصيلها
الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد
ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر
حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته
فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو
كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بمقدار
الحاجة **بيان مجموع الوظايف** التي على العبد على العبد في ماله

يتيسر

اعلم

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال
حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فتقتله
بسمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس
وظائف الاولى يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه
حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه
الثانية يراعي جهة دخل المال فيتجنب الحرام المحض وما الغالب
عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة
في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي
فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار
الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره
الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى
واوسط واعلا وما دام مائلا الى جانب القلة ومقتربا من حد الضرورة كان
محقا ويجامع جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر
لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد
الرابعة يراعي جهة الخروج ويقتصد في الانفاق غير ولا مقترا مبذراً
كما ذكرناه فيضع ما اكتسب من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه
فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة
ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما
يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه وا
ستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال
علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به
وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه
الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة
او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات الاكل وقضاء الحاجة وهما عن العبادة
معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة
في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما تحفظه من
قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما قد تحتاج اليه في الدين
وما فضل عن الحاجة ينبغي ان تقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله
فلا يمنعه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها

وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا ياتي ذلك الا لمن رسخ في الدين
قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم
انه يشبه اغنياء الصحابة شبه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ
الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها
مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فياخذها اقتداء به فتقتله
في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبه
الدنيا بالحية وقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت الحية لانت كما
تستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة
ومحال ان يتشبه العامي بالعالم العامل الكامل في تناول الدنيا

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر
وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق
الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نبين ان الفقر افضل واعلى من الغنى
على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على فصل ذكره
الحارث المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من
الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف
وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة وله
السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال واغوار
العبادات فكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقال بعد كلام
له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء
تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون
ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون
بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة
بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى النخالة
فيه وكذلك تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم
يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا

وقتيل

قد

تنقطع

بصلاح الدنيا

تنقطع عنها رغبة حتى اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم
والعمل تحت اقدامكم حتى اقول افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم
من صلاح الاخرة فاي الناس احسن منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون
الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عنكم البيت عنكم البيت المظلم ان يوضع
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم
بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا
كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم
ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم
من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم
ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فتم ق الحارث اخواني فهولاء علماء
السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها
~~السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا واثروها على الاخرة واذلوا~~
الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون
او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا
سرورا ممزوجا بالتنغيص فتنفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي
والى التلف والبوار مصيره وفرح الهالك فرحا فلم يبق له دنياه ولم يسلم
له دينه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبته
ما افظعها ورزيته ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني لا يغرنكم الشياطين واوليا
من الانس والجن بالحجج الداحضة عند الله فانهم تكالبوا على الدنيا ثم يطلبون
لانفسهم المعاذير والحجج وزعموا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال
ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك
بالعبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك
لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة
فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى
وافضل من تركه فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم
الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع
المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت انت ومتى زعمت ان جمع

المال الحلال اعلا من تركه فقد زعمت ان رسول الله لم ينصح الامة اذ نهاهم عن
جمع المال [illegible] وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم
عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله وسلم لقد كان
للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا نعم ومتى زعمت ان جمع المال
افضل فقد زعمت ان الله تعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال
وقد علم ان جمع المال خير لهم وزعمت ان الله لم يعلم ان الفضل في الجمع
فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت
في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك
ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة
ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن ابن عوف وابن عوف في القيمة انه
لم يوت من الدنيا الا قوتا وقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال
اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن
فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا
وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر
بلحي بعير فاخذه بيده ثم انطلق فطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك
فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره
الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان
فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان رضي الله عنه هاربا من ابي ذر
فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن
ابن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه
فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم
القيمة الا من هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم قال
ثم قال يا ابا ذر قلت لبيك يا رسول الله بابي انت وامي قال
ما يسرني ان يكون لي مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت
واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر وانت تريد الاكثر وانا اريد
الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية
لا باس بما ترك عبد الرحمن ابن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا
حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن ابن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت
المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد

الرحمن

الرحمن بن عوف قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد
الرحمن ابن عوف فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني
رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين يدخلون الجنة سعيا ولم ار احدا من الاغنياء
يدخلها معهم الا عبد الرحمن رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن
ان العير وما عليها في سبيل الله وارقاتها احرارا لعلي ادخل سعيا وبلغنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول
من يدخل من اغنيا امتي وما كدت ان تدخلها حبوا ويحك ايها المفتون فما
احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن ابن عوف في فضله وتقويه وصنايعه المعروفة
وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشره بالجنة توقف في عرصة القيمة واهوالها بسبب مال كسب من حلال للتعفف
ولصنايع المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي
الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما
ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لمفتون
تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على اوساخ الناس وهو
يتقلب في الشهوات والزينة والمباهات ويتقلب في فتن الدنيا ثم
يحتج بعبد الرحمن ابن عوف وتزعم بانك ان جمعت المال فقد جمعه
الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس
ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف
فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها
للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا
وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله تعالى
باكثرهم وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا
فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار
الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم
واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء
صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر
ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا
وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبا
لله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم

حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا
بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شي اصبح
كئيبا حزينا واذا لم يصبح عندهم شي اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان
الناس اذا لم يكن عندهم شي حزنوا واذا كان عندهم شي فرحوا و
انت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شي فرحت اذ
كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شي
اغتممت اذ لم يكن لي بال محمد اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك
بهم الرخا حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم
على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلا فرحوا واستبشروا طير
وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم
من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله كذلك انت الا انك لبعيد الشبه
بالقوم وساصف لك احوالك انما المفتون ضدا لاحوالهم وذلك
انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخا وتمرح عند السرا وتغفل
عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضرا وتسخط عند البلا
ولا ترضى بالقضا نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك
فخر المرسلين وانت تانف فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من
الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين لضمانه و
كفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهوتها و
لذاتها وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي
الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض
اهل العلم قال يجي اقوام يوم القيمة يطلبون حسنات لهم
فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة
ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة
في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله
وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله حين بما
اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب
اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقا الله والله للقايك
اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا

ان النبي

183

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار
مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله
نعم والهلاك تخرج من دينك احيانا لتوقير دنياك وتفرح
باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب
خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك
تحاسب على التحزن ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت
عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك
تعني بامور الدنيا اضعاف ما تعني بامور اخرتك وعساك ترى
ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم
وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس
ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في دنياك وعساك ترضي المخلوقين
بساخط الله كيما تكرم وتعظم ويحك وكان احتقار الله لك في القيمة اهون
عليك من احتقار الناس اياك عساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث
باطلاع الله عليك فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من
الفضيحة في الناس وكان العبيد عندك اعلا قدرا من الله عز جهلك
فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث
في الاقذار تحتج بالابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف
والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم
عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم
وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب
مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا
على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة
على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم
وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين
ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك
فليس معهم في الدنيا وليس معهم في الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين
من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم
في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله **وبعد** فان زعمت

انك تتاسى بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى فتدبر
امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك
محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال
كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع
من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك
كن على يقين ان جمع المال مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في لاعمال البر
اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام
ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم
لقدرك عند الله من اكتسابك للشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل
البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا
مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من
شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان
تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل
الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب
فان خيار الصحابة خافوا المسئلة بلغنا ان بعض الصحابة قال
ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله تعالى
ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال
لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شي
انفقت فهولاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم فتركوا
المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن
والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال
من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك
اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة
كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه فتطمع ان يكون
قلبك اتقى من قلب الصحابي فلا تزول عن شي من الخوف في امرك واحوالك
لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك
ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب
فانه قد بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش

الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام
وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حرام وانفقه
في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في
حلال فيقال له قف لعلك ضيعت في طلب هذا بشي مما فرضت عليك من صلاة
ولم تصلها لوقتها وفرطت في شي من ركوعها وسجودها ووضوءها فيقول
لا يا رب كسبت في حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا مما فرضت فيقال
لعلك اختلت في هذا المال في شي من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب
لم اختل ولم اباهي في شي فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من
ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت
من حلال وانفقت من حلال ولم اضيع شيا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباهي
ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجي اوليك فيخاصمونه
فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا
فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيا من الفرايض ولم يختل في
شي فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة
او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسال ويحك فمن ذي الذي تتعرض لهذه
المسايلة التي كانت لهذا الرجل الذي كان يتقلب في الحلال وقام بالحقوق
كلها وادى الفرايض كلها بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى
يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها
وزينتها ويحك لاجل هذه المسايلة يخاف المتقون ان يلتبسوا بالدنيا
فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهولاء
الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى
ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم
تنفق شيا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله
ولم يسخط الله في شي من سرايرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك
ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا
وقفوا للسوال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا احتبس عليك
للمسايلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيايهم الجنة بخمسماية عام
وقال عليه السلام يدخل الفقراء المومنين الجنة قبل اغنيايهم

فيتمتعون ويأكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي وانتم
حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم في ما اعطيتكم وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعيم ولا اكون في الرعيل
الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين
في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة
عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة
ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكا
فلما اكثر البكا قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا
انا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه احد في البيت
غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك
ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا الى
ادلت بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت
ان تنج مني يا محمد فانه خذني لا ينجوا مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه
هذه قد لحقتني يقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهولاء
الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة
من حلال ويحك انت في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات
لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت
منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن
اردت الكثرة تصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن
الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المخلفين لتنقطعن
عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطين عن نعيم المتقين
ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين
تدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت فانك في مثال خيار السلف
اقنع بالقليل زاهدا في الحلال باذل لما لك موثر على نفسك لا تخشى الفقر
ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر وبالبلا فرح
بالقلة والمسكنة مسرورا بالذل والضيعة كاره للعلو والرفعة قوي
في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت

امورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المحايلة ولايحاب
مثلك من المتقين وانما تجتمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها
المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ
القلب بالذكر والتكا والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب
واخف للمسائلة وآمن من روعات القيمة واجزل للثواب واعلى القدرك
عند الله اضعافاً بلغنا ان بعض الصحابة قال لو ان رجلان في حجره
دنانير يعطيها والاخر يذكر الله الذكر افضل وسئل بعض العلماء عن الرجل كان
يجمع المال لاعمال البر قال تركها ابر به وبلغنا ان بعض خيار
التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها
فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فجانبها ولم يطلبها ولم
يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ما بينهما الذي
جانبها افضل كما بين مشارقها ومغاربها ويحك فهذا افضل انك
بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال
ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارضى لبالك واقل
لهمك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل من طلب المال
الاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل
الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل وبعد
فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك
صلى الله عليه وسلم اذ هداك الله به وترضى بما اختار لنفسه من
مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز
في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة الماوى
فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات
المومنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاً واذا استقرض لم يجد
قرضاً وليس له كسوة الا ما يواريه ولا يقدر ان يكتسب ما يغنيه
يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه فاولئك الذين انعم الله من عليهم
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا الا يا اخي فمتى جمعت المال بعد هذا البيان فانك مبطل
فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه
وللتنعم وللزينة والتكاثر والفخر والعلو والريا والسمعة والتعظم

والمكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي
من دعواك ايها المغرور وان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا
ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن
عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باسائتك وجلا من الحساب فذلك
انجى واقرب الى الفضل من طلب الجمع المال اخواني اعلموا ان دهر
الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك اورع الناس
وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا
من الحلال بمبلغ القوت والمسكن وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا
فاعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد فاين لنا مثل تقوى
الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمايرهم
وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب
يكون للورود فيا السعادة للمخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر
والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله
واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر
على الغنى ولا مزيد عليه وتشهد لجميع ذلك الاخبار التي اوردناها
في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا
ما روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه ان ثعلبة بن حاطب
قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة
اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير
الجبال معي ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا
لان دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن
ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى
عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة
ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى عن ترك الصلوات في الجماعة
الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى
الركبان يوم الجمعة فسألهم عن الاخبار وسأل عليه السلام غدا ما فعل

ثعلبة

ثعلبة ابن حاطب فقال يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت به المدينة
واخرج باهله كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال
وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلاتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرايض الصدقة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة
وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من
المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني
سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه
الا جزية ما هذه ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا
الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها
للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا له لا يجب عليك هذا وما
نريد ان ناخذ هذا منك قال بلى خذاها نفسي بها طيبة انما هي
لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة
فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا حتى ارى
رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال
يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي
صنع السلمي وانزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما
اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتا
ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج
ثعلبة حتى اتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته
فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي
التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك
فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شي رجع الى منزله فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم جا بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه
فابى ان يقبلها منه وجا بها الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فابى ان يقبلها

وتوفي ثعلبة بعد خلافة عمر فهذا طغيان المال وشومه وقد
عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى اثر رسول الله صلى
عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران ابن الحصين انه كانت
له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران
ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم بابي انت وامي يا رسول الله
فقام وقمت معه حتى وقف بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال
السلام عليكم اادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فوالذي
بعثك بالحق ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده
فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت
عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام
عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني و
جعًا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اجهدني الجوع فبكى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما
منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت الله ربي لاطعمني ولكن
اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها فقال ابشري فوالله
انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت اين اسية امراة فرعون ومريم ابنة
عمران فقال اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء
عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن
في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن
عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة فانظر
الآن الى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف اثرت الفقر وترك المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء
واقوالهم وما ورد من اخبارهم واثارهم لم يشك في ان فقد المال
افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي
من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن
ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روى
عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فقال اكون معك فاصحبك

فانطلقا

167

فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا
رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد
الرغيف فقال للرجل من اخذ قال لا ادري فانطلق ومعه صاحبه فراى
ظبية ومعها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه
فاكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب
فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال
لا ادري ثم انتهيا الى واد فيه ماء فاخذ عيسى
بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي
اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال
فانتهيا الى مغارة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام فجمع ترابا او كثيبا ثم
قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث
فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال
فانا اخذت الرغيف قال فكله اذا لك مال وفارقه عيسى عليه
السلام فانتهى اليه رجلان في المغارة ومعه المال فارادان ياخذاه منه
ويقتلاه فقال لا تقتلاني فهو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم
الى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي
بعث لاي شي اقاسم هولاء هذا المال لكن اصنع في هذا الطعام
سما فاقتلهما قال فنفعل وقال ذانك لاي نجعل لهذا ثلث المال
ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه
واكلا الطعام فماتا فبقي المال في المغارة واولئك الثلاثة قتلى
فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه
هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من
الامم ليس في ايديهم مما يستمتع الناس من دنياهم قد
احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور فكنسوها فصلوا
عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش
من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب
الملك ذي القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين
وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد
جئت اليك فقال له لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له

ذو القرنين ما لي اراكم على الحال التي لم ارا احد من الامم عليها قالوا
وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شي افلا اتخذتم الذهب والفضة
فاستمتعتم بها قالوا انما كرهنا هالان احدًا لم يعط منها شيئًا
الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم
احتفرتم قبورًا فاذا اصبحتم تعهدتموها وكنستموها وصليتم عندها
قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا قبورنا من الامل قال
واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض اولا اتخذتم البهايم من
الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان
ان نجعل بطوننا قبورًا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن
ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد
له طعما كاينا ما كان من الطعام ثم بسط ملك الارض يده خلف
ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري
من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله
سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله تعالى ذلك منه
حسمه الموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه
به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا قال
هذا ملك ملكه الله بعده فكان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من
الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله تعالى وامر بالعدل في اهل مملكته
فصار كما ترى قد احصى الله تعالى عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته
ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد صارت كهاتين فانظر يا ذا
القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرًا وشريكا
فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قالوا
ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك
لما في يديك من الاموال والملك والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي
من الحاجة والقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه
الحكايات تدل على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله والله الموفق اخر كتاب ذم المال والبخل

وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم وقد وقع الفراغ في يوم الاربعا بعد من شهر رجب المحرم في يوم سابع
من الشهر والله اعلم سنة الف وماية بعد الف على صاحبها
افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب ۝ المطلع على سرائر القلوب ۝ المتجاوز عن كبائر
الذنوب العالم بما تجنبه الضمائر من خفايا الغيوب ۝ البصير بسرائر النيات
وخفايا الطويات ۝ الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى ۝ وخلص
عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو
اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة والسلام على محمد صلى و آله واصحابه
المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما اما بعد فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف
على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية هي اخفى من دبيب
النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف
على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر
غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون
عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها
وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على
اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة
الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل
والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق
ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فنازعت الى اظهار الطاعة و
توصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع
بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيه الشبهات
وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ

والاطار نظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا
في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في
المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس واثروه
بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين
فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فا
ستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على
العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان
حياته بالله وبعباداته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي يعمى
عن دركها الا العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله
ومجتنب لمحارم والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعبادة وتصنعا
للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات
واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله
من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة
لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من روس الصديقين
حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة
للشيطان وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه
وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين
الشطر الاول في حب الجاه والشهوة وفيه بيان ذم الشهوة وبيان
فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب
في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي
وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح
والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب
المدح وبيان علاج كراهة المدح فهي اثنا عشر فصلا منها تنشى معاني الريا فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود
الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف لطلب الشهرة قال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرء من الشر الا من عصمه الله

تعالى من الشر ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه و دنياه ان الله لا ينظر الى
صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث
تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك
اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع
في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل لا تشتهر
ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار
وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة
وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه
وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي
العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وراى طلحة قوما يمشون
معه نحوا من عشرين فقال ذباب طمع وفراش نار وقال
سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه
بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذا ذلة للتابع
وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه
الناس فالتفت اليهم فقال على ما تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق
عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان
خفق النعال حول الرجال قلما يلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن
ذات يوم فاتبعه قوم فقال لهم هل لكم من حاجة والا فما عسى
ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز
في سفره فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف
وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال عنك فافعل وخرج ايوب في سفر
فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا
كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول
قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره
وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه
اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال
الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة
اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني
فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي وقال بلغ اسمي مسجد

الجامع فقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح
وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البرا
ابن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي
طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اسالك الجنة لاعطاه
الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره
واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا
على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج
احدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيمة لوسعهم
وقال عليه السلام ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه
اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال
الله تبارك وتعالى الجنة اعطاها اياها ولو ساله الدنيا لم
يعطه اياها وما منعه اياها لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله
لابره وروي عن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي
عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله
يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا
قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن
سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبينما هم في دعاهم اذ جاء رجل عليه طمران خلقان
فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك
الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت
السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال
يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل
صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال
اني اتيتك في حاجة فقال سبحان الله انت تسالني ان اخصك بدعوة

لم ينكحوا اذا

واوجز

وقال ما الذي بلغك ما رايت

قال ما الذي

قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت
الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى
احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون
في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مومن خفيف الحاذ
ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم
نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه
وقلت بواكيه وقال عبد الله ابن عمر واحب عباد الله الى
الله الغربا قيل ومن الغربا قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة
الى عيسى ابن مريم عليه السلام وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى
يقول في بعض يمتن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل
ذكرك وكان الخليل ابن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك
واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك
وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غربا
اصحاب قوت وعبا وقال ابراهيم ابن ادهم ما قرت عيني في
الدنيا يوما قط الا مرة بت ليلة في بعض قرى الشام وكان بي بطن فجرني
المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل ان
قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما
عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه
الاثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب
بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا
كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين
وايمة العلما وكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما
وجودها من جهة الله سبحانه وتعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم
نعم فيه فتنة على الضعفا دون الاقويا وهو كالغريق الضعيف
اذا كان معه جماعة من الغرقا فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون
به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى
ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك بيان ذم حب الجاه قال

ما يمن

في مسجد

الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين
جميعا وقال تعالى من كان يريد زينة الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اوليك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب
الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في
القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذيبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل
المسلم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثنا

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع
بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني الذي
يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد
وقضا الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه الذي يملك
قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في
اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات
فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة
الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف
الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال
عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا
عنده وفي اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة
لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقا
والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك
رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان
المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورايه

وقد يعتقد بالكمال ما ليس بكمال ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده

انسل

انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعًا وينبغي ان يكون له الاحرار
عبيدًا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فيما يطلبه فوق ما يطلبه
مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اى اعتقاد القلوب
لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم
وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على
القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح
والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكا
لخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون
سخرًا له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير
بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه
اثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب
على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب
او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالًا
فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببًا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه

محبوبًا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة اعلم ان السبب الذي
يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع المال محبوبًا هو بعينه يقتضي
كون الجاه محبوبًا بل يقتضي ان يكون الجاه احب من المال كما يقتضي ان الذهب
احب من الفضة مهما تساويا في المقادير وهو انك تعلم ان الدراهم و
الدنانير لا غرض في اعيانها اذ لا تصلح لمطعم ولا لمشرب ولا لمنكح ولا لملبس وانما
هي والحصباء بمثابة ولكنها محبوبة لانها وسيلة الى جميع المحاب
وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب
وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة على التوصل الى جميع
الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه
على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال وللملك القلوب
ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه **الاول** ان التوصل بالجاه الى

فكذلك مالك القلوب يقدر على استسخارها [illegible] الاغراض

المال ايسر من التوصل الى المال بالجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب
لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال الارباب للقلوب مسخرة للقلوب ومبذولة
لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد
كنزا ولم تكن له جاه يحفظ ماله والمراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له
فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال
لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثاني** هو ان المال معرض للتوال
والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ
والحراس ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه
الافات فهي على التحقيق خزائن عتيدة ولا يقدر عليها السراق ولا
تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب
والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة
بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما
يغصب القلوب بالتصرف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيمن صدق
به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله
الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة
الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم
او عمل او غيره افصحت الالسن لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره و
يقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار
الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان
والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما
المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة
فالجاه ابدا في النما بنفسه ولا مرد لموقفه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه
وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلة
فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال فاذا فصلت كثرت وجوه الترجيح
فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان
المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار
معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او عقوبة اذا كان
لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للجاه والمال معلوم
اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا

وهو حب جميع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء
جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب
الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاها
ولا يشاهد اصحابها ليعظموه وليبروه بمال او ليعينوا على غرض من اغراضه ومع اليأس
من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان يظن
ان ذلك جهل فانه حب لما لا فايدة فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم
هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والاخر
خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكيا فضلا
عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع
لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف
لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل
ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا
خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل
بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جايحة فهو ابدا لجمع المال
لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات
ويقدر امكان تطرق الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما
يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطايفة من ماله استغنى بالاخر وهذا
خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف
الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال عليه السلام منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام
المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير
سبب يزعجه عن الوطن او يزعج ذلك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج
الى الاستعانة بهم ومهما كان ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا
احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن
من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به
وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه وتعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من
امر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره
اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم
ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية

كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى
صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب
من اصول مختلفة يطول شرح تفصيله فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية
بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال
فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد
بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها
موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصا في حقها اذ
لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله اذ ليس
معه موجود سواه فانما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل
هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة
والمساواة في الرتبة نقص في الكمال بل الكامل لا نظير له في رتبته وكما
ان اشراق الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة
كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة
مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق
انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا فاذا معنى الربوبية التفرد
بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو
المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان
الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه
ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية
محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربوبية التي اوما اليها قوله
تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى
الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به
لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته
ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته
وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات
فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك
فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه
نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال
ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه

وعلى تغيرها بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف شا فاحب الانسان
ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات
منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغير
ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس
الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل
التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات
والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثر والتغير مثل اجسادهم
واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف
فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان
ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع
استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك
احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب
السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلا عليها والا
ستيلا نوع كمال وهذا يضا اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة
الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه
قد يشتهي ان يعرف اللعبة وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة
في الهندسة او الشعبذة او جر الثقل او غيره وهو مستشعر في نفسه
نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص
العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو
الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي
عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح
الاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها
يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة
كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك
احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه
ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة
حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم
فانها ربما لا تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها وتقوم منزلته فيها فان
الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثالث

نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون
له الاستيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة متصرفة تحت اشارته وارادته
لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تسخر
بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات
الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني
الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله
فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه
فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلا
فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة عليها
واستيلا عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية
فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من
اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى
معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال
عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال
بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته
بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال
والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات
فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلم
ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات
ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم
استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم
والقدرة اغاليط لا بد من بيانها ان شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود
الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه
ان كمال العلم لله وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات

وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كما كانت علوم العبد اكثر كان
اقرب الى الله **والثاني** من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو عليه وكونه
المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله باتم انواع الكشف
على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق
للمعلومات في تفاصيل صفة المعلوم كان اقرب الى الله **الثالث**
من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله باق
لا يتصور ان يتغير فلذلك مهما كان علم العبد يتعلق بمعلومات لا تقبل
التغير والانقلاب كان اقرب الى الله والمعلومات قسمان **متغيرات**
وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له
معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه
في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدته
اعتقادا موافقا له ويتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت
بصدد ان ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا
المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعد
البلاد وتباعد ما بينهما من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك
والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير الاعصار بتغير
والامم والعادات فهذه علوم معلومها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال
فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب **والقسم الثاني**
هو المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات
واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل
الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة ذاته
الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته
وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق
به هذا هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كمالا
للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت
يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون
هذه المعرفة راس مال يوصل به الى كشف ما لا ينكشف في الدنيا كما
ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج
اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه

اصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله لم يكن له مطمع
في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر
لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
فاذا لا سعادة الا في معرفة الله واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له
اصلاً كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهما ومنها ما له منفعة في اعانة على
معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان
معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة التفسير
تعين على معرفة ما في القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية
النفس لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تعالى قد افلح من زكيها
وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه
المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله
ومعرفة صفاته وافعاله وتنطوي فيه جميع المعارف المحيطة بجميع الموجودات
اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها
بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله هذا حكم كمال
العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والريا ولكن اوردناه لاستيفا
اقسام الكمال في الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي وليس
له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشيا
عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قررناه
في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات
كمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة
فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال
العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك
فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج
في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم و
المشرب والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة
الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن
ذلك كمالا جهل والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون فقد
ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى
وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك كمالا احبوه ولما

اجنوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليها فنسوا الكمال الحقيقي الذي
يوجب القرب من الله تعالى وملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما
ذكرناه من معرفة الله واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم
الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة
ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال
الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال الذي لله تعالى
استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض
ابعد كان الى الله اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم
وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام
الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو
عبارة عن عدم صفة ذاتية وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي
صفات الكمال للذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات
ثلاثة اذ عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال
كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات
الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال [margin: وكمال القدرة]
الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته
على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته
وحريته لا تنعدم بالموت بل يبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله
تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب
العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال
الذي لا يسلم وان يسلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم
الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفقهوا قوله تعالى المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى
كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما
مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وقال تعالى واضرب [margin: فاصبح هشيما تذروها رياح الموت]

لهم مثل الحيوة الدنيا الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما يذروه
رياح الموت هو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات
الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان
من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر ما يبلغه منهما الى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم الاموال
فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة
الاخرة [illegible] كلما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه
لا بد من ادنى [illegible] ل لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة
مع [illegible] الانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه
ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون
له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون
في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به موافقته ومعاونته ليس بمذموم
وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه
والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان
ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض
كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان يكون المال
والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون
في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى
عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب
لبيت الماء فكل ما يراد للتوسل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود
المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته
مع انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى
مونة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة لكان
لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق

ولو كفى

ولو كفى الشهوة لبقى مستصحباً النكاح بها فهذا هو الحب دون الاول
فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما
لاجل التوصل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما
يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه
بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل
الى اكتساب بكذب وخداع وارتكاب محذور وما لم يتوصل الى اكتسابه
بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو
حرام واليه يرجع معنى الرياء المحذور كما سيأتي فان قلت فطلبه
للجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن
يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص
وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه [illegible]
مباح ووجه منها محذور اما الوجه المحذور فهو ان يطلب [illegible]
في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع
والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا
حرام فانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة واما المباح فهو ان
يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام فيما
اخبر عنه الرب سبحانه وتعالى اجعلني على خزائن الارض حفيظ
عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا
اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيبه من
عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا
ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار
القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة
في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي
اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحذورات ان يحسن
الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو
ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما
يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل
معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز

له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز
له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه

اعلم ان لحب المدح والتلذذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور
النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ
فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح
يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به لايخلو اما ان يكون
جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا
كانت اللذة فيه اقل ولكنه لايخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة
ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو
عن لذته فاذا استشعر به لم يخل حدوث الشعور من حدوث لذة وان
كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء
عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون
شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك وكمال
بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه
فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينته وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم
لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير
بهذه الصفات خبير بها لايخترق في القول الا عن تحقيق وذلك
كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاة وان صدر
ممن يخترق في الكلام او لايكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت
اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره
بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به
مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه
في المدح السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك
للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب

محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر
الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف
مهما كان المثني ممن لا قيمة له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك
قلبه قدرته على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة
ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم
لان الفايت به اعظم **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح
سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه ولا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله
ويعتقد ثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كل ما كان الجمع
اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح والذم اشد على
النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار
المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع او عن قهر [و]
ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل و[ان كان]
المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع
قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته
فيكون لذته ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثنا اشد فهذه الاسباب
الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق
فتنقص اللذة بها **واما** العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان
يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح انه نسيب او سخي
او عالم بعلم ومتورع عن المحذورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول
اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى
لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله
ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة **الثانية** وهو استيلاء
على قلبه ويبقى الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء
فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن
فيه لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف عن علة التذاذ
النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق العلاج
لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا
يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض **بيان علاج
حب الجاه** اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور

الذ على النفس صح

يكن صح

اصل

الهم على مراعات الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياه لاجلهم ولايزال
في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر
النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات
والمراياه بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك
ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال
وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق
كما ينبت الماء البقل والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول
او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم
والى التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق
فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع
جبل [illegible] عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل
اما [illegible] فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة
على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا
وسلم فاخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل
من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى
الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي
الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي
هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي
كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر
الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل
عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الى عمر ابن عبد العزيز
اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف
مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر ابن العزيز
حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن
وكانك بالاخرة لم تزل فهولاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم
لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا
وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا تمتد نورها الى مشاهدة
العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير
وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة

هذا الحد

هذا حذو فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالافات العاجلة وهو
ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي
جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز
من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في
غليانها وهي مرددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب
الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له فان الاشتغال
بمراعات القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل
ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها
فضلا عما يفوت في الاخرة فبهذه ينبغي ان يعالج البصيرة
الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا
فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه
عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من عين الخلق وتفارقه
لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا
هو مذهب الملامية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من
اعين الناس فيسلموا من افة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه
يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له
ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط
قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد
فلما علم بقربه منه استدعا طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم
اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله
الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر
حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط عن اعين الناس وهذا في
جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم
بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون
ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف
بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج
ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب
وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن
الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي

وهو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي تترسخ في القلوب بسبب عفته
فربما يظن انه ليس محبا للجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه
لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه و
نسبوه الى امر غير لايق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار
عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك
عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب
للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه
فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما
دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى
وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا
يبالي كان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم
منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن
الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل
قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك
الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة
في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المومن لا يخلو من ذلة او قلة او علة
وينظر في احوال السلف وايثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة

الذم اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم
فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافقه رضا الناس رجاء المدح وخوفا
من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي
لاجلها يحب المدح ويكره الذم وهو ثلاثة اسباب اما السبب
الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح وطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي
اما صفة تستحق بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق الفرح كالثروة والجاه
والاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير هشيما تذروه
الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول

اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح
بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة
تستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة
شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور
ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحه بفضل الله
عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من
فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان يفرح بالمدح والمدح لا يزيد في
فضله وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح
غاية الجنون ومثالك مثال من يهزئ به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر
العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى
حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح
بذلك فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع فرحت به والله مطلع
على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك
من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من
فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به **واما
السبب الثاني** وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير
قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة
في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة
عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط
منزلتك عند الله فكيف تفرح به **واما السبب الثالث**
وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة
عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح
المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة
المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض
السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال
بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من
ان يقال لك بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي
في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور وهو ان رجلا اثنى على رجل

غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه مقرب عند الله ولكن خطر الخاتمة باق فهي المخوفة عن الخاتمة صح

اضطرت

خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي
الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال عليه السلام مرة للمادح
ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال عليه السلام
الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا
كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور
حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير
المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لا احسبك عراقيا
وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك
فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق
وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله
يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم على الحقيقة
بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح
ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذ فرح بمدح غيره وان
كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا
ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق
ومهما علم ان الاجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم
وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه
ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال
اما ان يكون قد صدق فيما يقول وقصد النصح والشفقة واما ان يكون
صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا
فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلده
منة فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى الخير واخبرك
المهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح وتشتغل بازالة الصفة المذمومة
عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك

اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله
اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلاً به وذكرك عيبك ان كنت غافلاً
عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل
ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة
فقد اتيحت لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول
على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك
لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة وقال
لك قايل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح
به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة
والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه فاما
قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك
فلم تغضب عليه انتفعت به انت وتضرر هو به **الحالة الثانية**
ان يفتري عليك بما انت بري منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك
ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور **احدها** انك ان خلوت
عن ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر
فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بري
منه **الثاني** ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه
رماك بعيب انت بري منه وطهرك من ذنوب انت متلوث
بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد
قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع وتحزن بهدايا الحسنات التي
تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله **واما الثالث**
فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه
بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب
الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي
ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال
عليه السلام اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ضربوه ودعا
ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال [illegible] اعلم اني ماجور
بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة
المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك

في قلبك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال
ومادام الطمع قايمًا كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبًا
وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم
الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه وحب
المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدًا

بيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى** ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حالة اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب **الثانية** ان يبغض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال **الحالة الثالثة** وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورًا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالًا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضى حوايج المادح فوق ما يجده في قضاء حوايج الذام وان لا يكون انقطاع الذام من مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما ينا له من اعدايه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينيه منزلة من الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له

ذلك فيقول الذام قد عصى الله تعالى بمذمتك والممدوح قد اطاع الله تعالى
بمدحك فكيف يسوى بينهما فاما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا
محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر
المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم
ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلوا من مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة
عنه لمذمته غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية
لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب
ولهواه ينتفض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على
الله بهواه فيزيد بذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد
الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت
عليه الدنيا ويخسر في الاخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهي الصدق
في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه
قاصمة الظهر ومضرة في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهدي
اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهدي اليه حسناته وقد قال
عليه السلام راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد
روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي
انه عليه السلام قال ويل للصايم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا فقيل يا رسول الله الا
من قال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة
وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان نضمر
الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل
واما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع
فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية فانها لا تفي بها لانها
لا بد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضا حاجته وتتثاقل عن اكرام الذام
والثناء عليه وقضا حوايجه ولا يقدر على ان يستوي بينهما في الفعل
الظاهر كما لا يقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين
الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان
ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من

وللقارئ وويل لصاحب الصوف الا

المرتبتين وكل واحدة من هذه المراتب ايضا فيها درجات اما الدرجات
في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت
فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة
المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا
من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات
ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف
هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه
ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين
جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح
سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية
فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد
نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور عليه بالتفكر
في افات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له و
تارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به
ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية
من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به
الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب
ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له
فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق
وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام
واول درجاته اظهار الغضب واخره اظهار الفرح ولا يكون الفرح
واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة
عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو ولا
يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها
ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون
ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذا صار بالمذمة
اوضع في اعين الناس لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات
لم ينصب فيها فعساه يكون خيرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو
جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده

ذاته وبلادته لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين
السعادة عقبات كثيرة وهذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه

والمنزلة في العبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان
حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء الخفي وبيان ما يحبط
العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة
في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك
الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة
بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة
وبعدها وهي عشر فصول **بيان ذم الرياء** اعلم ان الرياء حرام و
المرائي عند الله ممقوت وقد شهد بذلك الآيات والاخبار والآثار
اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب
شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال
تعالى في مدح المخلصين انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال
تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله واما
الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله
رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله
يريد بها الناس وروى ابو هريرة حديث في الثلاثة المقتول
في سبيل الله والمتصدق والقارئ لكتاب الله تعالى كما اوردناه بماله
في كتاب الاخلاص وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم يقول كذبت
بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقول فلان شجاع كذبت
بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر عليه السلام انهم لم يثابوا وان
رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم

من رايا رايا الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث اخر ان الله تعالى يقول للملائكة
ان هذا لم يرد بي بعمله فاجعلوه في سجين وقال عليه السلام ان
اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا يقول
الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن
في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال استعيذوا بالله من
جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال
عليه السلام يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا بري
منه وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلام
اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا
يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ
ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال
عليه السلام لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء وقال
عمر لمعاذ بن جبل حيث راه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من
صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الريا شرك
وقال عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية
هي ترجع ايضا الى خفايا الريا ودقايقه وقال عليه السلام ان في
ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله
ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر
يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال
شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت ما يبكيك قال
تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا
ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال عليه السلام لما
خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت
الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الحديد فقطع الجبال
ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء باطفاء النار وامر الريح فكدرت
الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله تعالى يا رب ما اشد ما خلقت
من خلقك قال الله تعالى لم اخلق خلقا اشد من بني ادم حين
يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروي

عبدالله

عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى
ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال لي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال
لي يا معاذ قلت له لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا
ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله
يوم القيمة يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان تخلق السموات
والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا
عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان
امسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت الى السماء الدنيا ذكرته
فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا
صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني
الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر
فتزكيه وتكثره حتى يبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك
الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل
العبد يتبهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون
به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله ان لا
يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل
العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج
وعمرة حتى يجاوزا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا ظهره وبطنه انا صاحب
العجب امرني ربي ان لا ادع عملا يجاوزني الى غيري انه كان
اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه
على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله
وكل من كان ياخذ فضلة من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا

ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من الصلاة
وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول
لهم الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم
انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك
الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة
ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس
معه ثلاثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به
جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي
انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء
وصيتا في المداين امرني ربي لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل
لم يكن لله خالصا فهو ريا ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن
وصمت وذكر الله وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب
كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح
المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا
الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وانما اراد به غيري فعليه
لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات
كلها عليه لعنة الله ولعنتنا ولعنة السموات السبع ومن فيهن قال
معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في
عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من
حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك
بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر
في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك
اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس
فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات
نشطا اتدري ما هن يا معاذ قلت ما هن بابي انت وامي قال كلاب في
النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال

ومن ينجوا منها وقال معاذ انه ليسبي على من يستر الله عليه قال
فما رايت اكثر تلاوة للقران من معاذ للحذر مما في الحديث **واما الاثار**
فيروي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا يطاطي رقبته فقال
يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في
القلوب وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان
هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات
يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني
عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل
بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شي لك فساله
ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شي لك ثم قال في الثالثة انا اغنى الاغنياء ان الله يقول
عن الشرك الحديث وسال رجل سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع
المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت
لله فيه عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم
هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك
له وضرب عمر رجلا بالدرة قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك نعم
فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها
لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم اذا وقال
الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها
لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان
احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة
ويقال ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسما يا مرائي يا غادر يا خاسر
يا فاجر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال
الفضيل كانوا يراون بما يعملون فصاروا اليوم يراون بما لا يعملون وقال
عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا
ريا فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله هو رجل سوء يريد
ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء
فلا بد لقلوب المومنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راى العبد
يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك ابن
دينار القراء ثلاثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن

واسع من قرا الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مرائي فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الريا وما يراءى به

اعلم ان الريا مشتق من الرؤية والسمعة مشتق من السماع وانما اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الريا مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الريا هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمراءى له هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والريا هو قصده اظهار ذلك والمرائى به كثير يجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الريا باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الريا بالطاعات القسم الاول الريا في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن في الدين وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوا النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين

هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمرائى

يستدل

ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض
من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام
اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك
روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان
بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه
مراياة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراوون باظهار السمن وصفا
اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء
وتناسبها **الثاني** الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر
الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء
اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب
الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك
يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين
ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق
تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع
بالازار فوق العمامة ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق
ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان
يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي على
طبقات **فمنهم** من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد
فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها و
قصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا
مما كان السلف يلبسونه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه
ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب
في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا
من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب
المخرقة النازلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون
الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف
الرقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة
فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب الاغنياء ولونه وهيئته
لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا

لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين
الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان الرقيق الابيض او
القصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم
خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة
منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه
او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم
بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس
والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وثياب المصبغة والطيالسة
النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب
الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الحالة ما لم يبالغوا
في الزينة **الثالث** الريا بالقول وريا اهل الدين بالوعظ و
التذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال
في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باقوال
السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر من الناس والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد من الخلق واظهار الغضب للمنكرات
واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام
وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف
وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث
ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان
الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام
الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه
لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال
والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل
واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الريا بالعمل
كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق
الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين
واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام
وبالاخبات في المشي عند اللقا كارخا الجفون وتنكيس الراس والوقار
في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه احد

اي كطيلسون

التردد

من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا ان ينسبه الى العجلة وقلة
الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره عن
ذكر الله حتى يكون تجديد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد
فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من ان يخالف
مشيته في الخلوة مشيته بمراى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة
في الخلوة اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء
وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته
في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمر
اآتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ
باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس
المراآة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما
من العلماء ليقول الناس ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال
ان اهل الدين يتبركون بزيارته يترددون اليه او ملكا من الملوك
او عاملا من اعمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في
الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد
منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته
فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت
البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذا مجامع ما
يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب
العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى
الى ديره سنين كثيرة وكم عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما
خباته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه
الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته
بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع
طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في
اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به
الا الجاهل ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته
بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالحمد والثناء ومنهم من
يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد

ان يزور

انتشار عند الملوك ليقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقول له بذلك جاه
عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب
مال من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو اشر طبقات
المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء
وما يقع الرياء به فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل
فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات
او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث
انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يكون كسب المال بتلبيسات
واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو
ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن
الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني
حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك
الجاه وكما ان كثير المال يلهي وينسي ذكر الله والدار الاخرة فكذلك
كثير الجاه بل اشد فتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول
تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا
حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز انصراف الهم الى سعة الجاه
مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال فلا يقدر محب الجاه والمال
على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك
او من غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين
ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم
فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى
الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس
على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى
الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت
او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب
من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم

اجعلني على خزائن الارض

في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان
يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكي لا تزدريه اعينهم فان اعين عوام
الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن لو قصد به قاصد ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم
واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قصدا مباحا اذ للانسان قاصد
ان يحترز من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه
واستقذروه لم يانس بهم فاذا المرايات بما ليس من العبادات قد يكون
مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بسبب الغرض
المطلوب به ولذلك يقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء
لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا
رياء وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصلوة والصدقة
والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احدهما ان لا يكون له قصد
الا الرياء المحض دون الاجر فهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات
وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول
صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار
والايات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعبادة وهو التلبيس
والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس
كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس
انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك
القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو انه
مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك
قال قتادة اذا رايا العبد قال الله انظروا اليه كيف يستهزئ بي
ومثاله ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت
عادة الخدم وانما جلوسه او وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك
او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب
الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار
يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له
ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله مقصود عبادته واي
استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات

درجات

ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض الريا
اشد من بعض كما سياتي بيانه ولا يخلو شي منه عن اثم غليظ او خفيف
بحسب ما به المراياة ولو لم يكن في الريا الا انه يركع ويسجد لغير الله لكان
فيه كفاية فانه اذ لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري
لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الريا الكفر الخفي لان المرائي عظم
في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم
المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق
كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده
نفسه باظهار من نفسه صورة التعظيم فعن هذا كان شركا خفيا لا
شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان
واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح
حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم واقبل
بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا
والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون
عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا
فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا
بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة
ونيل القرب الى الله بما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا
ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل
والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا
في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه
في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه في الاثار من قول سعيد ابن المسيب
وعبادة ابن الصامت انه لا اجر له فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الريا اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف
اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المراياه به والمرايا
لاجله ونفس قصد الريا

الركن الاول نفس قصد الريا

وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب واما
ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون
ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا لارادة العباد فتكون

بين اظهر الناس ولو انفرد
لكان لا يصلي بل ربما يصلي

الدرجات اربعا الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون واده الثواب
اصلا كالذي يصلي من غير طهارة مع الناس فهـــذا جرد قصده الى الريا
فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس
وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه في الدرجة العليا من
الرياء الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا قصدا ضعيفا بحيث لو كان
في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب
لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذه قريب مما قبله وما فيه من
شايبة قصد ثوابا لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الثالثة
ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد
خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعث الرغبة او كان
كل واحد لو انفرد لا يستقل بحمله على العمل فهـــذا قد افسد مثل ما اصلح فيرجوا
ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من
العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب
الاخلاص الرابع ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم
يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي
نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه
او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما
قوله تعالى انا اغنى الاغنياء من الشرك فهو محمول على ما اذا تساوي
القصدان او كان قصد الريا ارجح الركن الثاني المرايا به وهو للطاعات
وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الريا باوصافها القسم
الاول وهو الاغلب الريا بالاصول وهو على ثلث درجات
الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الريا
وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه
مشحون بالتكذيب ولكنه يرى بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره
الله في كتابه في مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمايرهم وقال
تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على
ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض الاية وقال تعالى

واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ و
قال تعالى يراون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيهم كثيرة
وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء
لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا
فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدين او يعتقد طي
بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة
وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار
وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد حالا من الكفار المجاهرين لانهم
جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر **الثانية** الرياء باصول العبادات
مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون
الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة
خوفا من الله يعلم انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة مذمته
وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو
يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة
لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة لكن للثواب
خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان
بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله تعالى او يسجد
لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع
الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه
من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدة
الناس اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه
بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد **الثالثة**
لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها ان
لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة
الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة
وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام
عرفة وعاشورا او صوم الاثنين والخميس وقد يفعل المرائي جملة
ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله منه انه لو خلا بنفسه
لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي

قبل اثر حمد

قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون
الخالق فكان ذم الخلق عنده اعظم من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك
لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه
نصف عقابه فهذا هو الريآء باصول العبادات **القسم الثاني**
الريا باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلاث درجات
الدرجة اولى ان يرائي يفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه
ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراة فاذا راه الناس احسن الركوع
والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال
ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع
الله عليه في الخلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي
انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما
للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة
في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية
او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته و
كذلك الصائم يصون عن الغيبة والرفث اجلالا لا لعبادة الصوم خوفا
من المذمة فهذا ايضا من الريا المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق
ولكنه دون الريآء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة
لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات
اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فلما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية
فيقال له هذه مكيدة الشيطان عندك وتلبيس وليس كذلك فان ضررك
من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك
فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في
هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها اليه عوراء
قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان وحده وكان عنده بعض
غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من راعي جانب غلام
الملك يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان
احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام
قطعا **والثانية** ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود
ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم

فاستفيد بتحسين الهياة دفع منتهم ولا ارجوا عليه ثوابا فهو خير من
ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى
نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية فينبغي
ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله
تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق **الدرجة الثانية** ان يرى
بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن حكمه في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل
في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهياة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة
الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك
كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة
واعتاق الرقبة العالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا ونفسه لكان لا يقدم
عليه **الثالثة** يراي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره
الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما
يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي
اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما
يراي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم **الركن الثالث**
المرايا لاجله فان للمرائي مقصودًا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه
او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات **الدرجة الاولى**
وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي
بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات
وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضا والاوقاف والوصايا او مال
الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما
يقدر عليه منها ويودع الودايع فياخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال
تنفق في طريق الحج فيختزن بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج
ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم
زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير
وانما قصده التحبب الى امرة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس
العلم والتذكير وحلق القران ويظهرون الرغبة في سماع العلم والقران
وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان ويخرج الى الحج ومقصوده الظفر
بمن في الرفقة من امراة او غلام وهولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم

جعلوا

جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم
ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر
عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوي لنفي التهمة كالذي جحد
وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه متصدق بمال نفسه فكيف
يستحل مال غيره وكذلك ينسب الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه
بالخشوع واظهار التقوي **الرتبة الثانية** ان يكون غرضه نيل حظ مباح
من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن
والبكا ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء
فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب
في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه
ابنته فهذا ريا محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة الدنيا
ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الرتبة الثالثة**
ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من
ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد
انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي
ويترك العجلة كي لا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك
يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار
فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعدا واظهار الحزن ويقول ما اعظم
غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان
يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير
وكالذي يري جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون
الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل
ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا من ذلك وكالذي يعطش
في يوم عرفة او عاشورا او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس
انه غير صايم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجلهم او يدعا الى طعام فيمتنع
ليظن انه صايم وقد لا يصرح باني صايم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين
خبثين فانه يرى انه صايم ثم يري انه مخلص ليس بمرائي وانه يحترز
من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته
ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا

بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت
تطييبا لقلب فلان ثم لا يكتفي بذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به انه يعتذر
رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول
ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد
الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة
القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما لمرضت فلا تدعني ان اصوم
فهذا وما يجري مجراه علامات الريا فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق
الريا في الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم
يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد
غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله
قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتدا غيره
به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة غرور وسياتي شرح
ذلك وشروطه فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله
وغضبه وهو من اشد المهلكات فان من شدته ان فيه شوائب
هي اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر تزل فيه
فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلا بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الريا الخفي الذي هو

اخفى من دبيب النمل اعلم ان الريا جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث
على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا
هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله
كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف نشط
له وخف عليه وعلم انه لولا رجا الثواب لكان لا يصلي لمجرد ريا الضيفان
واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه
مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعا الى العمل لم يمكن ان
يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته
فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتمم العمل

ولكن اذا

ولكن اذا طلع الناس عليه سرّه ذلك وارتاح له وروح ذلك على قلبه شدة
العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات
القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس عليه فلقد كان الرياء
مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر
الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك
بكراهيته فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه
حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان تتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض
والقا الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعوا
على الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول
والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وانثار
الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي
بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس
احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه
وان ينشطوا في قضاء حوايجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له
المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا
في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه
لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير
الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق
بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الريا اخفى
من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون
وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول
للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتداون
بالسلام الم يكن تقضى لكم الحوايج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم
اجوركم وقال عبد الله ابن المبارك روي عن
وهب ابن منبه انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا
الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا
في امرنا هذا من الطغيان اكثر ما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان
احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان
تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه فبلغ ذلك

ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلاء من الناس فقال السايح
ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب
الشجر فجعل يحشوا شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا
قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا
من خير فانصرف عنه فقال السايح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم
يزل المخلصون خايفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس
على اخفا فواحشهم كل ذلك رجا ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيمة
باخلاصهم على ملاء من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا
شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون
ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد
نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة
فانه يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان
ارباب البوادي لا يروج عندهم الزايف والبهرج والحاجة تشتد في
البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص
من النقد فهكذا شاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي
يتزودونه من التقوى فاذا شوايب الريا الخفي كثيرة لا ينحصر ومهما
ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة
من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهايم لم يبال حضره البهايم والصبيان
الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا
بعلم الله لاستحقر عقلا العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم
وعلم ان العقلا لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ونقصان
عقاب كما لا يقدر عليه البهايم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك
ففيه شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل **فان قلت**
فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم
كله او بعضه محمود وبعضه مذموم **فنقول** اولا كل سرور فليس
بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام
الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن
لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل
به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة و

عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء

المعصية

والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر
القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام
المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل
باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل
في الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على
عبد في الدنيا ذنبا الا ستره الله عليه في الاخرة فيكون الاول فرح
بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل
والثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر واجر السر بما قصده
اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع
ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب
للسرور لا محالة الرابع ان يحمد المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم
الله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل
الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسدهم ويذمهم ويهزأ بهم او ينسبه
الى الريا ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة
الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم
اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس
حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده
فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الريا

الخفي والجلي وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص
ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من
العمل او قبل الفراغ او ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير
اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص
سالما عن الريا فما يطرى بعده فنرجوا ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما

مقارنا له فانه رد

اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمنّ اظهاره وذكره ولكن
اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل في السرور والارتياح
على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد ريا ولكن
ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره
فهذا مخوف وفي الاثار والاخبار ما يدل على انه محبط وقد
روي عن ابن مسعود انه سمع رجلاً يقول قرأت البارحة البقرة
فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لرجل قال صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت
فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم
الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن ابن مسعود استدلالاً على ان قلبه عند العبادة لم تخل عن عقد الريآء
وقصده له لما ان ظهر منه التحدث به بعد ان يكون ما يطرى من العمل
مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى
ومعاقب على مرآياته بطاعة الله تعالى بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير
عقده الى الريآء قبل الفراغ فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل
اما اذا ورد وارد الريا قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان
قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائه وارد الريا فلا
يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون ريا
باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره
ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك
وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان
يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس
فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد كان قال
عليه السلام العمل كالوعا اذا طاب اخره طاب اوله اي انظر الى
خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا
منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل
جزء من ذلك مفرد فما يطرى يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج
من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الريا بحيث لا يمنعه من قصد الاستمام
لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثنائه صلوته ففرح بحضورهم

يعني ليس حظه الا ما سمع فقط

ولعقد الريا

واعتقد الرّيا وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان
يتمها ايضا فهذا ريآء وقد آثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات
فان غلب حتى امتحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار
قصد العبادة مغمورًا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى
ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط
ان لا يطري ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى
حالة العقد والى بقا الاصل قصد اصل الثواب وان ضعف لهجوم قصد هو
اغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبي الى الحباط في امر هو اهون من هذا وقال
اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورًا هو حب المنزلة
والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه يحبط
لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله
بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته قال ولا اقطع عليه بالحبط
وان لم يتزيد في العمل ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس
فيه فالاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالريا ثم قال فان قيل
قد قال الحسن انما هو حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية
وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسر
العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران
اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه
اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم
يقل اذا اعتقد الريا بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم
عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها انه يحتمل انه
اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث لانه قبل الفراغ و
الثاني انما اراد يسر به للاقتداء الناس به او لسرور اخر محمود
مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل
انه جعله له به اجرًا ولا ذاهب من الامة الى ان السرور بالمحمدة اجرا
وغايته انه يعفى عنه وكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث
انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي
هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات
الواردة في الريا اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميله الى الاحباط

والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي صادرا عن
باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم
ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على
التمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا
الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا
لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا
يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة
ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلاة خالصة لوجه
الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون موديا للواجب مع هذا الشوب والعلم
عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه
الان فلنرجع اليه فهذا حكم الرياء والطاري بعد عقد العبادة
اما قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم الثالث** الذي يقارن
حال العقد ان يبتدي الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا
خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد
صلاته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال
كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريمة
عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت
فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص
والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدا بالاخلاص وختم بالرياء لكان
يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا
ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون
الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال
بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح
صلاته ومذهب الفريقين الاخرين خارج على قياس فن الفقه جدا
خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان
الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلوة
كذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف
لان الرياء يقدح في النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه

هو ان يقال ان لما كان باعثه مجرد الريا فى ابتدا العقد دون الطلب الثواب
وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه
لم يصل ولما راى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا
كان يصلى لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة
باعث الدين وها هنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس
ايضا لكان يصلى الا انه ظهر له الرغبة فى المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان
فهذا اما ان يكون فى صدقة او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او فى
عقد صلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الريا واطاع باجابة باعث الثواب فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده
الصحيح وعقاب بقصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان
فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا
فان كان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه
اذا اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتدا به باطل
حتى ان من يصلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الريا باظهار حسن
القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى البيت وحده لما صلى لم يصح
الاقتدا به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل ظن بالمسلم انه يقصد الثواب
بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتدا به فان اقترن
به قصد آخر هو به عاص فاما ان كان فى فرض واجتمع الباعثان وكل
واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب
عليه لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان
كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الريا لادى الفرائض ولو لم يكن
باعث الفرض لانشا صلاة تطوعا لاجل الريا فهذه فى محل النظر وهو
محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد
الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه و
قد وجد فاقترن غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى فى
دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاعه الصلوة فى الدار المغصوبة
فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال
فى تعارض البواعث فى اصل الصلوة اما اذا كان الريا فى المبادرة مثلا دون
اصل الصلاة مثل من بادر للصلوة فى اول الوقت لحضور جماعة ولو لاخلاه

الرياء والطاع باجابة باعث الثواب

لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلاة لاجل الرياء فهذا
مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث
انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح
في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد
السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يوثر في العمل فبعيد
ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لايقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة
من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة
وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد
العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله فيه

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط الاعمال وسبب المقت عند الله
وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمر عن ساق الجد في ازالته
ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة
وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف
العقل والعقل الصغير والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيه والهمة
فيرى الناس تتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع
بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا
بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا
بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوة فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه
المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرى وفي علاجه مقامان احدهما
قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال
المقام الاول في قلع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة
والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار
من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه
الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا

سال

سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه
انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال الرجل يقاتل
ليرى مكانه وهذا هو لذة طلب الجاه والقدر في القلوب
والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى
الصفان نزلت الملائكة فيكتبون الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر
فلان يقاتل للملك والقتال اشارة للطمع في الدنيا وقال
عمر يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي راحلته ورقا
وقال عليه السلام من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى فهذا
اشارة للطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم
كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق
بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه وكالجبان غيره
بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره
على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين
قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل
وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد
ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو
محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث
وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة التي تحرك
المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة
ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء
ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان
علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن
يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه
فكذلك قطع طريق هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد
مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق
وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت
الشديد والخزي الظاهر حيث ينادي على رؤوس العباد يا فاجر يا غادر
يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب

العباد واستنزلت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت
لهم بالتشين عند الله وتقربت اليهم بالتبعد من الله وتحمدت اليهم
بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون
عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد
والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وبما يحبط عليه من ثواب
الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص
فاذا فسد بالريا حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار
فلو لم يكن في الريا الا احباط عمل واحد لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره
فان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه علو الرتبة
عند الله تعالى في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الريا
ورد الى صف النعال من مراتب الاوليا هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت
الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل
ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضى بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب
رضاهم في سخط الله سخط الله واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له
في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا
اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع بما في ايديهم
بان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون
فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخلو من الذل والخيبة وان
وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله
برجا كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي
لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيا
ما لم يكتبه الله ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان
من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا
ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا
نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب
وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره
ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الريا واظهار
الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى
الناس ويعرفهم انه مراي ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله تعالى

196

لهم عن اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء
عليه مع انه لا كمال في حمدهم ولا نقصان في ذمهم كما قال **شاعر من بني تميم**
ان مدحي زين ۞ وان ذمي شين ۞ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبت ذاك الله لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا شين الا في ذمه
فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي
شي ضر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود وفي زمرة المتقين المقربين
فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر
ما يتعلق بالخلق ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع
وانصرف قلبه الى الله وتخلص من مذلة الريا ومقاسات قلوب الخلق وانعطف
من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات
ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقار للدنيا واستعظاما للاخرة
وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الريا وتذلل له منهج الاخلاص فهذا
وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الريا **واما**
الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفا العبادات واغلاق الابواب دونها
كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى تقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على
عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وروي ان بعض
اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان
تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا
دعوى الزهد فيها فلا دوا للريا مثل الاخفا وذلك يشق في بداية المجاهدة
واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتائيد ولكن الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية
ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين
وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما **المقام الثاني**
في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد منه لمن تعلم ايضا فان
جاهد نفسه وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط
نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا
يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى
النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الريا

له ابو حفص

الرياء

وخواطر ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تتوارد على التدريج **فالاول**
العلم باطلاع الخلق ورجا اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس
في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون
اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة
والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع
الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق
او رجا اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا
ان الله عالم بحالك فاي فايدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة
الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من افة الريا وتعرضه للمقت عند الله
في القيمة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس
تثير شهوة ورغبة في الريا فمعرفة افة الريا تثير كراهة له تقابل تلك
الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعو
الى القبول والكراهة تدعو الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما
واغلبهما فاذا لا بد من رد الريا من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء
وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الريا
فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليهما
وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص
عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فتغرب عن القلب المعرفة السابقة
بافات الريا وشوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خالي عن شهوة الحمد
او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على
الحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه
فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيضا يمنع من تذكر افة الغضب ويشتغل
عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملي القلب وتدفع ~~افة الغضب ويشتغل~~
~~عنه فكذلك~~ جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي
يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد
السابق حتى ذكرت واكثر الشهوات التي تهجم فجاة هكذا يكون اذ ينسى
معرفة مضرتها الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر
الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي

نور المعرفة مثل ما [illegible] الغضب والله المستعان

خطر له هو

خطر له هو خاطر الرياء الذي تعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة
شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل
عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضر كلاما لا يدعوه الى فعله النطق
الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه اوكد اذ
قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه ممقوتا عند الله ولا تنفعه معرفته
اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك
يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة
وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل فاذا
لا فائدة في الاجتماع الثلاث وهو المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة
الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور
العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة
التفكر فيما عند الله وقلة التامل في افات الحيوة الدنيا وعظيم نعيم
الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا
وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب
الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا التي هي تغصب القلب وتسلبه وتحول
بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة و
ابواب العلوم فان قلت فمن صرف من نفسه كراهة الرياء وحمله الكراهة على
الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته
اياه الا انه كاره لحبه ولميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين
فاعلم ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع
الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع
اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة
العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل
ذلك فهو الغاية فاذا ادى ما كلفه ويدل على ذلك من الاخبار ما روى
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا
يعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوى
بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال عليه السلام
او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا
الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة

والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله فاذا اندفع الضرر
الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد
كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته
فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك
فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك مهما
رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات
والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك
الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن اثار العقل الا ان للشيطان
ها هنا مكيدة وهي انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح
قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى
يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان
ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى فيوجب ذلك نقصانا
في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع
مراتب **الاولى** ان يرد على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل
بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق
نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده
وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان قال
في السلوك **الرتبة الثانية** ان يعرف ان القتال والجدال نقصان
ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الرتبة الثالثة الا يشتغل بتكذيبه ايضا
في السلوك فيقتصر على تكذيبه ~~ايضا لان ذلك وقفة وان قل~~ بل
يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما
كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **و**
الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان
اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما
هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا
للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب ياسه
وقنوطه حتى لا يرجع ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك بسوء
قال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له
اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه فمهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة اعتقاد

كف عن غيظه

كف عنه خيفة ان يزيد في حسنا ته وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان
ليدعو العبد الى اسباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عنه ذلك خيرا فاذا راه
كذلك تركه وقال ايضا اذا رايت الشيطان متردد الطمع فيك واذا
راك مداوما على الخير ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الا
ربعة مثلا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا لينالوا به
فايدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف
ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد لمنعه وصرفه عن ذلك ودعوته الى مجلس
ضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو
يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض عن الضلال ليفوت عليه بقدر تاخره
فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم
يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه
ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل
استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ثم مر الرابع فلم يتوقف له
واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا
ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخر فانه لا يعود
خيفة من ان يزداد فايدة باستعجاله فان قلت فان الشيطان اذا
كان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه
انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الرافع له او يجب الاشتغال
بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت
فرقة من اهل البصرة الى ان الاقويا قد استغنوا عن الحذر من الشيطان
لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم
وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصار
ملاذ الدنيا عندهم وان كان مباحا كالخمر والخنزير عندهم وادخلوا
من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل ولا حاجة لهم الى الحذر
وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه
من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره
فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا
ما اراده الله فهو الضار والنافع والضار فيستحي منه ان يحذر غيره
فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم

من العلم والحديث

لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن
الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة للشيطان والدنيا
يكاد يكون غرورًا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته
فكيف يخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا
بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو
احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله
اياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم
ولا يامر الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم ينج منهم ذلك
من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم ادم وحوى في الجنة التي هي دار الا
من والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
من الجنة فتشقى الملك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظماء فيها
ولا تضحى ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له ما وراء ذلك
ما اراد فاذا لم ينج من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة وهو
من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن
والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقوله موسى عليه السلام
فيما اخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع
الخلق فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران
من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر منه
حيث امر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الحب امتثال امره
و قد امر بالحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك
او لى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان
تظفر به فصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان
فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر الا قتلك وهو شهادة وفي اهمال
الحذر من الشيطان التعرض للنار والعذاب الاليم فليس من الاشتغال
بالله الاعراض عما حذر الله عنه وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في زعمهم
ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجميع الجنود

كما امر بالحذر من الكافر فانه في ذلك مع العدو الكافر

وهو

وحفظ الخزنة

وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح
في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر الله بالحذر منه وقد ذكرنا في
كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب
بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
لا يناقض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت
هو الله فكذلك تحذر الشيطان فكذلك ان المضل والهادي هو الله ويعتقد
ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي
وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام
عباد الذين لا يغزر علمهم فيظنون ان ما يهجم من الاحوال في بعض الاوقات
من الاستغراق بالله تعالى يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على
ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله العدو فلا ينبغي
ان يكون اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا اذا غفلنا
عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب
عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل
نشتغل بالعبادة ونذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى
الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما تعرض من حيث لا نحتسب
وان تجردنا لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله فالجميع اولى وقال
العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان
ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كي لا يصدنا
عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو
ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله فاذا قصد الشيطان مثل
هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به
ولا يقوى فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية
فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر
ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق
بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر
من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق
به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان
امر الشيطان فاذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان

له تنبه وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التنبه
عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من ان يفوته مهم عند
طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في
في الليل مرات قبل اوانه لما اسكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فا
شتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل القلب هو الذي يقوى على دفع العدو
واذا كان اشتغاله بذكر الله قد امات منه الهوى واحيا منه نور العقل
والعلم واماط ظلمة الشهوات فاهل البصيرة استشعروا قلوبهم عداوة الشيطان
وترصدوا والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر
شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فمثال
القلب مثال بئر يراد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل
بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان
وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليها من جانب
اخر فيطول تعبه ولا يجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل مجرى
الماء القذر مسدودا وملاها بالصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد
من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار
الاقتدا وترغيب الناس في الخير ولكن فيه افة الرياء قال الحسن
قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة
ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات
فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان
احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل القسم الاول
اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب غيره فيها كما روي عن الانصاري
الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه
وتجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والحج والغزو وغيره ولكن
الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج

ترغيبا للناس

فاستعد

فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له
لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس
من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل
لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة
فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوايب
الريا واما ما يمكن اسراره فالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة
يوذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالستر افضل لان الايذا
حرام وان لم يكن فيه ايذا فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم الستر
افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم الستر
افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من الستر
ويدل على ذلك ان الله تعالى امر انبياه بالاظهار للعمل بالاقتدا وخصصهم
بمنصب النبوة ويجوز ان يظن انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله
عليه السلام له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة وقد روي في بعض
الاخبار ان عمل الستر يضاعف على عمل العلانية اذا استن بعامله على — سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية
على عمل الستر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك
للقلب عن شوايب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما
يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الريا ومهما حصل شايبة
الريا لم ينفعه اقتدى غيره وهلك به فلا خلاف ان الستر افضل منه
ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما ان يظهره حيث
يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا وربما يقتدي به اهله دون جيرانه
وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته
وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا
ظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس
له الاظهار من غير فايدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في
محل القدوة على من هو في الاقتدا والثانية ان يراقب قلبه فانه
ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتدا و
انما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا
الاقويا المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك
فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة

ضعيفة فينظر الى جماعة من الغرقآء فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلك وهلكوا والغرق بالمآء في الدنيا الم ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة قدم العباد والعلمآء فانهم يتشبهون بالاقويا في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في الستر مثل اجر الاعلان فان مال القلب الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار ولو لا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد من خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفا وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر عن الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللحكم فيه انه من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو اقتداءه والرغبة في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ايتنا بالسفرة لنعبث بها حتى يدرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله في بقضاء قط

ومبالغة والمنصب في اظهار الخوف والعظمة لا لانه يقطع الرياء لعون العبادة المأخوذة بعد الفراغ منها وهو محل الخوف اهون

وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها

فسرني ان

فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله وهذا
كله في اظهار الاحوال الشريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدر ممن يرائي به
وهو غاية الترغيب اذا صدر ممن يقتدى به فكذلك على قصد الاقتداء
جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار
الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة
اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي
فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد
روي انه كان يجتاز انسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات
المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء
فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت يقولون
ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف
رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر واقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى
به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة

واطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص
استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك
بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك
لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع
الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة
لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو
يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر من الشهوات والاماني
والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد اخفاءها عن العبيد ربما يظن
انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس
انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر
المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده
فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من سبعة اوجه
هو ان يفرح بستر الله عز وجل عليه واذا افتضح اغتم بهتك ستر الله

عنه ويخاف ان يهتك ستره في القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في
الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان **والثاني**
قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال عليه السلام
من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان
عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احب الله وهذا ينشا من قوة
الايمان بكراهة ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب
من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له به من حيث
ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتاذى
بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي
ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر
وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة
من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهة لذم الناس
من حيث تاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن
وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي
اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم
وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق
في ان يزول عنه روية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه
ان الضار والنافع هو الله عز وجل وان العباد كلهم عاجزون وذلك
قليل جدا واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب
تالم بالذم اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله
وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف
لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه
يحب ان يحمد بالورع ويجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون
قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه
ان يقابله بالكراهة والرد **واما** كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع
فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد
بحيث لا يحب الحمد ولا يكره الذم وانما مراده ان يترك الناس حمدا
وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر عن الم الذم اذ الحمد
يطلب اللذة وعدم اللذة لا يولم **واما** الذم فانه مولم فحب الحمد

على طاعة

على الطاعة طلب ثواب عن الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية
فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه
عن اطلاع الله وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد
عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا
التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع الخامس
ان يستر ذلك لكي لا يقصد بالسوء اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم
فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن
يؤمن شره او قد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب
فله ان يستر ذلك حذرا منه السادس مجرد الحيا فانه نوع الم وراء
الم الذم والقصد بالشر هو خلق كريم يحدث في اول الصبى مهما اشرف
عليه نور العقل فيستحي من القبايح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود
وقال عليه السلام الحيا خير كله وقال الحيا شعبة من الايمان وقال
عليه السلام الحيا لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي
يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى الفسق التهتك و
الوقاحة وفقد الحيا فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحي لان الحيا
ممتزج بالريا ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل
مراي انه مستحي وان سبب تحسنه العبادات هو الحيا من الناس
وذلك كذب بل الحيا خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيب داعية
الريا وداعية الاخلاص ويتصور ان يراى معه وبيانه ان
الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه
يستحي من رده وعلم انه لو ارسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا
يقرض ريا ولا لطلب الثواب فله عند احوال احدها ان يشافهه
بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا من فعل الاحيا
فيه فان المستحي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة
احوال احدها ان يمزج الريا بالحيا بان يهيج الحيا فيقبح عنده
الرد فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي ان يعطي حتى يثني عليك ويحمدك
وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان يعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى
البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالريا وكان المحرك للريا هو الهيجان الحيا
الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر

انا غفل عنه و يغفر

الاعطا فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض
ثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك
محمود عند الله فتسخوا النفس بالاعطا لذلك فهذا تخلص هيج الحيا
اخلاصه **الثالث** ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمة
ولا حب لمحمدته لو طلبه واسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحيا وهو ما
يجده في قلبه من الم الحيا لو رده ولو جاءه من لا يستحيا منه من الاجانب والاراذل
لكان يرده ولو كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحيا ولا يكون هذا الا في
القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحي المباحات ايضا حتى
يرى انه مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى
الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان
بعض الحيا ضعيف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحيا من
وعظ الناس وامامة الناس في الصلوة وهو في الصبيان والنساء
محمود وفي العقلاء غير محمود وقد يشاهد معصية من شيخ فيستحي
من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم
وهذا الحيا حسن واحسن منه ان يستحي من الله فلا يضيع الامر بالمعروف
فالقوي يؤثر الحيا من الله على الحيا من الناس والضعيف قد لا يقدر
عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب
السابع ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي
به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجائزة في اظهار الطاعة وهو
القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدي به وبهذه العلة
ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون
منه ففي ستر الذنب هذه الاعذار السبعة وليس في اظهار
الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية
ان يخيل للناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار
الطاعة **فان قلت** فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح
وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا
يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب
الناس قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما

فالمحمود

ومن لا الحيا

ان يخاف من اظهار ذنبه سقوط وقعه فلما صح ... النفس ... عليها فان النفس
من النفس النظر ... الذنوب زادها وستر ... سلكت في سترها الناس من

فالمحمود ان يحب ذلك لتعرف به الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في
قلوب عباده والمذموم ان يحب حبهم ومدحهم على حجك وغزوك
وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلة
سوى ثواب الله تعالى والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات
محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك للمال
لان املاك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال ولا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء

ودخول الآفات اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا ان يكون
مرائيا وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال
وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعة تنقسم الى ما لا لذة
في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات
انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس
لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا
يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة
وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك
مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة **القسم الاول**
الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها
كالصلاة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاثة **احدها** ما يدخل
قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا
ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة
الى طلب المنزلة فان قدر الانسان ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول
لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده
حتى اندفع باعث الرياء وسخت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر
الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل **الثانية** ان ينبعث لاجل الله تعالى لكن
تعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا
دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص

عن نفسه

بالمعالجة التي ذكرناها من الزم النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة
بالمعالجة
ان يعتقد على الاخلاص ثم نظر الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع
ولا يترك العمل ولكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى
يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت بالعمل
فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص
وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى
يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال
من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب
وقال خلصها من التراب ونقها تنقية بالغة فيترك اصل العمل
ويقول اخاف ان اشتغلت به لم يخلص خلاصا صافيا نقيا فترك
العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا
القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون
الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين
وما كان من حقهم ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته
ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين
الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا
انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا
من ان يقال له انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه
غافل انه مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان
على العباد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل
له الا ان يقال
والشيطان على العباد الجهال ثم كيف لا يخليه بل يقول الناس انك تركت العمل
ليقال انه مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت
ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك
وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بالانجاة
عنه الا ان تلزم قلبك معرفة افة الرياء وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع
في الدنيا ليلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان
نزع العدو ونزغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر
الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك
العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك

204

الى ان تستعبد لجمع حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق
على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل
حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت
مراءٍ فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الريا وابائه وخوفك
منه وحيائك من الله وان تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم
يبق باعث ديني بل تجرد باعث الريا فاترك العمل عند ذلك وهو
بعيد ممن شرع في العمل فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب
فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روى
ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال
لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام
فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن كان
احدهم ليمر بالاذى في الطريق ما يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان
احدهم ياتيه البكا فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد
في ذلك اثار كثيرة قلت هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات
مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب
الى خوف الشهرة من البكا واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه
وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل انما يقدر عليه والافضل
الاقويا دون الضعفا فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص
ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة
الخوف فالاقتدا ينبغي ان يكون بالاقويا واما اطباق ابراهيم النخعي
المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله
واستينافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فراى ان لا يراه في القراءة
ابعد عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد
ذلك واما ترك رفع الاذى عن الطريق فذلك مما يخاف على نفسه آفة
الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر
من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمخافة على عبادات
هي اكثر منها لا لمجرد خوف الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام
فاسكت يجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة
في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت

المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام
الحق المندوب اليه فلم ننص عليه على ان الافة مما تعظم في الكلام فهو
واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة بين العبد
مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الافات ثم كلام الحسن في ترك البكا
واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين
لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس
من افة الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثاني مما يتعلق بالخلق
وتعظم فيه الافات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضا ثم التذكير و
التدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل
العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال عليه السلام
ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة فاعظم بعبادة
يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقد قال عليه السلام
اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام
عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامامة والخلافة من اعظم العبادات
فالامارة
ولم يزل المتقون يحذرون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك
لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس
حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت
الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه فيوشك ان يتبع هواه
فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد
في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان
جاير شر من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر
العظيم كان عمر رضي الله عنه كان يقول من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد
قال عليه السلام ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه
اطلقه عدله او اوثقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال
يا امير المومنين اشر علي قال اجلس واكتم وروى الحسن ان رجلا ولاه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي عليه السلام خر لي فقال اجلس
وكذلك حديث عبد الرحمن ابن سمرة اذ قال له النبي عليه السلام يا عبد
الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها من غير مسئلة اعنت عليها

وان اوتيتها

205

[illegible] الخلافة فما [illegible] لا تامرن على اثنين

وان اوتيتها من غير مسئلة وكلت عليها وان اوتيتها عن مسئلة وكلت
اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع ابن عمر لا تامرن على اثنين وانت هو قد
وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وانا اقول لك ذلك فمن
لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى
ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص
الاقويا في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات والضعفاء لا ينبغي
ان يدوروا حولها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه
الطمع ولا تاخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم
وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم و
ملكوها وقمعوا الشيطان فايس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم
الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة

من فضل الامارة مع ما ورد

ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن
جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية
ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ
نفاذ الامر فتكره العزل فتداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء
انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قايلون لا يجب لان هذا
خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق
وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة
مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير
عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون
من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل طلاق الرجال اهون
من العزل فاذا شرع فيها لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة
واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت
الا ان يعزل قهرا او كان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما
مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر
ولذلك قـــــال عليه السلام لا نولي امرنا من سالناه فاذا فهمت اختلاف
حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابا بكر لرافع ابن عمر رضي الله عنهم
عن الولاية ثم تقلده لها ليس متناقضا واما القضا فهو وان كان دون
الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ

والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب
فيه ايضا عظيم من العدول عن الحق وقد قال عليه السلام القضاة
ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال عليه السلام من استقضى
فقد ذبح من غير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من
للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقويا الذين لا تاخذهم في الله
لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضا
الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ
يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد
للقضا وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف
العزل عذرا او رخصا له في اهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة
عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه فهو
اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو
مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار **اما** الوعظ والفتوى
والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع
بسببه الجاه ويعظم به القدر فافته ايضا عظيمة مثل افة الولايات
وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا
اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال
حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا وكذا قمطرا من الحديث
وقال انى اشتهي ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ
يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم
واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه
الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام
حق تستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية
الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا
وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكر على راس المنبر
وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق
سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه
النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني فيها اخواني المسلمين
فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث

له الا طلب

له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه
ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتتقوى في الدين ويامن على نفسه
الفتنة فعند ذلك يعود اليه **فان قلت** مهما حكمتم بذلك على اهل
العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق **فنقول**
قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى
قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة
الا من اخذها بحقها وقد نعمت المرضعة وبيست الفاطمة ومعلوم
ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار
القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم
نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه ابي بن كعب حين راى قوما يتبعونه وهو
في ذلك يقول ابي سيد المرسلين وكان يقرا عليه القران فمنع من ان
يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان
بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر ان يعظ الناس
اذا فرغ من صلوة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح المسلمين
فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه
الوعظ وقبول الخلق والقضا والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم
كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا
فرق بينهما **فاما** قول القايل النهي عن ذلك يودي الى اندراس
العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضا لم
يود الى تعطل القضا بل الرياسة وحبها تضطر الخلق الى طلبها وكذلك
حب الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة
لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل
والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس
وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى بان يويد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم
وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون
بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم والا فاعلم ان كلهم
لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان
وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله

الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها
فلا ينفعه منه ولا نقول له اشتغل وجاهد نفسك لانا نعلم انه لو ترك ذلك
لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك
وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فيجعله
فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الوعظ هو الذي يرغب
في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه
الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة
بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية وتجرئة على
المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب
الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر
يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم
من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم
وغوائله ولقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون
وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء
ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم
ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج
منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم
من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك
الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منه رغبته بحق
اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم
والعمل تحت اقدامكم بحق اقول افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا
احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخسر منكم لو
كنتم تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة
المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم
ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش
مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه
وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك
الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم

فان قال المستفيد فرض على نفسي تعوذ لا تشتغل وجاهد ... (marginal note, partly illegible)

يقضى

على مناخركم

على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم
ثم يسلمكم الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم
بسوء اعمالكم فقد روى الحارث المحاسبي رحمه الله هذا الحديث
في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على
الناس رغبوا في الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين
للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون فان قلت
فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغايب كثيرة حتى
قال نبينا عليه السلام لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا
وما فيها وقال عليه السلام ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره
واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم
اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الريا في الصلوة لا تترك
العمل ولكن اتم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل
الامارة والخلافة ولا نقول لاحد من عباد الله تعالى اترك العلم اذ ليس
في نفس العلم افة انما الافة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول
له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاذا
لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم ولذلك نوافل الصلوات
اذا تجرد فيها باعث الريا وتركها اما اذا خطر له وسواس الرياء في اثناء
الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان افة الرياء في العبادات
ضعيفة وانما يعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم
وبالجملة فالمراتب ثلاثة الاولى الولايات والافات فيها عظيمة
وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الافة الثانية الصلاة والصوم
والحج والغزو وقد تعرض لها اقويا السلف وضعفاؤهم ولم يوثر عنهم
الترك لخوف الافة وذلك لضعف الافات الداخلة فيها والقدرة
على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الثالثة وهي متوسطة بين
المرتبتين وهي التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس
والافات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فينبغي
ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الريا والولايات
ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقويا ومناصب العلم بينهما
ومن جرب افات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر

السخا

منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وهاهنا رتبة رابعة وهو جمع
المال واخذه للتفرقة على المستحقين في الانفاق واظهار اسحقاب
للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والافات
فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت
ثم امسك واخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل ما يعرفون
من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله وقال
ابو الدرداء ما يسرني ان اقمت على درج مسجد دمشق اصبت كل يوم
خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرا ولكني اريد
ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقد اختلف العلماء
فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق فهو افضل من ان
يشتغل بالعبادات والنوافل وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا
بتعسف لتبر بها الناس تركك لها ابر وقال اقل ما فيه انه
يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وافضل وهذا فيمن سلم من الافات
فاما من يتعرض لافة الريا فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه
افضل وبالجملة يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهي مثار منشئ الافات
والاحب ان يعمل ويدفع الافة فان عجز فلينظر وليجتهد فيه ليستفت
قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم
دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما اجده اخف على قلبه فهي بالاكثر عليه
عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان
كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه الامور لا يمكن الحكم على
تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه
ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك
المال ولا ينفقه خيفة من الافة وهي عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة
المال في المباحات فضلا من الصدقات افضل من امساكه
والانفاق او التجرد والذكر وذلك لما في الكسب من الافات فاما المال
الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه **وان قلت**
فباي علامة يعرف العالم الواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد ريا
الناس فاعلم ان لذلك علامات **احداها** انه لو ظهر من هو احسن
منه وعظا او اغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم

لا باس بالغبطة وهو يتمنى لنفسه مثل علمه ان الاكابر اذا احضروا
مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى على ما كان عليه فلينظر الى الخلق بعين واحدة
ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق وكذلك
علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى سعيد بن ابي مروان
قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل عليه الحجاج من بعض ابواب
المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه
فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه
نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما
راه الحسن متوجها اليه تجافا له عن ناحية مجلسه قال
سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن
فرجة ومجلس الحجاج فجا الحجاج حتى جلس بينه وبيني وبينه
والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال
سعيد فقلت في نفسي لابكون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل
الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن
هيبة الحجاج فينقص في كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو مما
كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى اخر كلامه فلما فرغ وهو
غير مكترث بالحجاج رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال
صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فتخذوها خلقا
وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر
رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس
لمعرفتنا بفضلها قال ثم اقبل الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن من بلاغته فلما
فرغ طفق فقام فجا رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج
فقال يا عباد الله المسلمين الا تعجبوا الى رجل شيخ كبير واني اغزى
فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا واني لي ثلثمائة درهم من العطا
وعلى سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن واصحاب الحسن
مكبت فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم
الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس
الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى
البغال السباقة واذا اغزا اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن

حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن
فسعا به الى الحجاج وحكا له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا
اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي
تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا
فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال
انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم
ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن اليه ثم ينطلق
فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك وقولك
اذا غزا عدو الله غزيك الله واذا غزا اخاه غزا كذلك لا اباليك تحرض
علينا الناس اما انا على ذلك لا اتهم لنصيحتك فاقصر عليك من لسانك
قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذا
راى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسالون عن شي
والا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها
تتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتواسون
ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب روية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد ويقوم بعضهم
فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا
راهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع
انه كان لا يعتاد الصلوة اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع
فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما
يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق

بل له تفصيل

بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام
النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشغال ويغلبه التمكن
من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب
زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث
النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل
تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته والمحادثة
مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب مع عامليه فاذا
وقع في منزل غريب اندفعت هذه الشواغل التي تفتر رغبة الخير وقد
حصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله
واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه
بطاعة الله فتحركه داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لا
ستنكاره الموضع او بسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما
يغلبه النوم وينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح
بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب
هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله
ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك
الاطعمة لم يشق عليه فينبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات
الحاضرة عوائق دوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث
فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب
فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما
يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل
في بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة
لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما
اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من
اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول له الشيطان
صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي
كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا باطلاعهم
وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء
فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله

تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك
الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه
انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه من وراء الحجاب وهو في ذلك
الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلوة وهم لا يرونه فان
سمحت به نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن
اعينهم فليترك الترك وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع مع
نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن
ان يكون سببه تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب
اقبالهم على الله وقد يتحرك بذلك باعث الدين ومقارنة ترويح في النفس
الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي
ان يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه
بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره
البكا خوفا من الله لا من الريا ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن
بكا الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكا فيتباكى تارة ريا
وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه
فيتباكى تكلفا فذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه
لو سمع بكاهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى
ام لا فان لم يجد ذلك تقريبا الاختفا عن اعينهم فانما خوفه من ان
يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمن لابنه يا بني
لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك
الصيحة والتنفس والانين عند القران او الذكر او بعض مجاري الاحوال
تارة من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة تكون لمشاهدة
حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك
محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف
بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الريا وان اقترنت بداعية الحزن فان
اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن
اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون
اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك
الزيادة ريا وهو محظور لانها في حكم الابتدا بمجرد الريا فقد تهيج

عبادتهم
فان باعثه الريا
يا بني

من الخوف

من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن تشتوق خاطر الريا فيقبله فيدعوا
الى زيادة تحزين الصوت او رفع له او حفظا الدمعة على الوجه حتى ينصر
بعد ان استرسلت بخشية ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الريا
وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قوته من الخوف فيسقط فيستحي ان يقال انه
سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط
لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن ضعف وقد يزول عقله فيسقط
ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف
وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال
لم تكن غشيته صحيحة لو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين ويبكي
على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر
انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزعات النفس فاذا
خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا
على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي
عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال
يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد
جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع المنافقين وانما خشوع النفاق ان تخشع
الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه
وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون
للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها
متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك فانظر ما هو ومن اين هو فان كان
لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الريا هو كدبيب
النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيه
واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص
فان ذلك مما يكثر جدا فان خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته
لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة النفر الذين خاصموا ايوب عليه السلام
اذ قالوا يا ايوب عليه السلام اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان [...] علانيته
العبد تضل عنه
التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان
يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين عليه
السلام اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح

فيما اخلو اسر بر تي محافظا على ريا الناس من نفسي و مضيع لما انت مطلع عليه مني
ابدي للناس احسن امري واقضي اليك باسوا عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم
اليك بسياتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين
وقال احد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين
حفظوا علانيتهم واضاعوا سرايرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم
فهذه جملة افات الريا فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان للريا سبعين
بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وكيف يدرك
ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد
بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه

قبل العمل وبعده وفيه اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في ساير اوقاته القناعة
بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجوا
الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه واشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان
في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من
خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي
لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشا وتقول مثل
هذا العمل العظيم والخوف العظيم والبكا العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا
لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفايه فيجهل الناس محلك
وينكرون قدرك ويحرمون الاقتدا بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان
يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة
ودوامه ابد الاباد وعظم ~~عمله عظم ملك الاخرة~~ غضب الله ومقته على من
طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليهم وسقوط عند الله
واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف ابيع مثل هذا العمل العظيم بحمد الناس وهم عاجزون
لا يقدرون لا يقدرون على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس من الاخلاص
عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقويا فاما المخلصون فليس ذلك
من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي

تحببا اليهم

لان المتقي

لان المتقي فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه
من نقصان الحاجة الى الجبران النوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به
فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله انه قال
يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا له هل له من تطوع فان
كان له نفل اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار
فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده
في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي
فجهده في زيادة الدرجات فان حط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات
فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف الطلاع غير الله عليه لتصح نوافله
ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع
ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الريا
الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله قد
احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك
والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتدا العقد بل ينبغي ان يكون العبد
متقينا في الابتدا لانه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا
شرع في العمل ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة
خفية احبطت عمله من ريا او عجب او لحبه ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه
لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك به انه هل افسده بريا فيكون
رجا القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجات والطاعات فالاخلاص
يقين والريا شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكون خاطر الريا ان
كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة
العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجا الثواب على دخوله السرور على قلب من قضى حاجته
فقط ورجا الثواب على عمله المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد
وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم
مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه
او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع نفسه
هو لم يقصد الا الثواب على عمله ليكون له مثل اجره ولكن خدمة التلميذ بنفسه
فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط عمله اذا كان لا ينتظر ولا يريده منه ولا يستبعده
منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلما يحذرون ذلك حتى ان بعضهم

وقع في بئر فجا قوم وادلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا
عليه اية من القران او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي
اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع
الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف
ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة او بدرتين
وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله
الله في نفسك من ابي شيء فقال يرحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه
فقال يا ابا عبد الله لقد عرفت كيف صار الي هذا المال فاحب ان تاخذ هذه
تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لمملوكه يا مبارك
الحقه فرده علي فرجع قال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه
كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلم اخرج لم املك
نفسي ان جيت اليه وقلت له ويلك اي شيء قلبك هذا حجارة عد انه
ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالك فاكثرت
عليه فقال الله يا مبارك تاكلها هنيئا مريئا واسال عنها فاذا يجب على العالم
ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اقتداء الناس به فقط ويجب على العالم
ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اقتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم
ان يلزم قلبه طلب حمد الله وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند
الخلق وربما يظن ان له ان يرى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو
خطاء الا ان اراد تعالى غير الله بطاعته خسران في الحال والعلم وربما يفيد فكيف
يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وعمل وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله
ويعبد الله ويخدم المعلم الله لا ليكون له في قلبه منزلة وان اراد ان يكون
بعلمه بطاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره
وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يطلب المنزلة عندهم الا من حيث ان رضا الله
في رضى الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين
فان ذلك معصية في الحال ويستكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من
قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له ان
يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده
واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات
في خلوته وانما سلوته معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله

وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم ابن ادهم تعلمت المعرفة من راهب
يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت له سمعان منذ كم انت في صومعتك
فقال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت
احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى يكفيك هذه
الحمصة قال ترى الدير بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما
واحدا فيزورون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمون فكلما تثاقلت نفسي
عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل
يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك
فقلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة
فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى
فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى عليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن
حق به قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرون دينارا فرجعت
الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرون
دينارا فاعطوني عشرون دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت
قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الف دينارا لاعطوك
هذا عز من لا تعبده فانظر كيف عز من تعبد يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب
والمجي والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا
في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر وعلامته عنه
سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغير والدهم اعتقادهم لم يجزع واحدة
ولا يضيق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله
وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا
ولم يدخله سرورا بسبب اطلاعهم عليه وان دخل سرور يسير فهو دليل
ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل
السرور بالركون اليه فهو جائز ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد مشاهدتهم في الخشوع
والانقباض كي لا ينبسطوا اليه في ذلك لا باس ولكن فيه غرور اذ النفس
قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في
دعواها قصد الانقباض بموثوق من الله غليظ وهو انه لو علم انقباضهم عنه
انما يحصل بان يعدو ويسرع عدوا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم
تسمح نفسه به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم

ولا ينجوا من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله فليعمل
عملا من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق
الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة
الخلق ومن علامة المصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر
فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني
زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه
بمشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراءي او طماع والا فالنظر الى الفقير يزيد رغبة في
الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح
الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير **وقد حكي** انه لم يرى الاغنياء
في مجلس اذل منهم في مجلس سفيان الثوري كان يجلسهم وراء الصف
ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة
اكرام الغني اذا كان قريب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة
ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلامة في فقير لكنت لا تقدم الغني
عليه في اكرم وتوقير البته فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون
الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك تظهر الحكمة
والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك الريا الخفي وطمع خفي كما
قال السماك لجارية لها مالي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك
وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من
الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وحكاياتها في هذا الفن لا تنحصر
ولا ينجيك منها الا بان تخرج ما سوى الله من قلبك وتجرد المشفقة على نفسك بقية
عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية
ويكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات
ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتبع الشهوات
وعلم انه لو احتمى وجاهد في شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك
جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على
بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر في مفارقتها فبدنه يزداد كل يوم نحولا
لقلة اكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته
نفسه الى شهوته تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه واداء ذلك له الى الموت المفرق
بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دوا فتفكر .

فيما يبتغيه

فيما يستفيد منه من الشفا الذي هو بسبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني
وبدن صحيح وقلب رخي وامنا فلن يخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة
المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل ما يهلك
له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاحترز منها بالقليل واختار النحول
والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل
عليه غضب الله فيهلك ورجا ان ينجوا من عذابه فخف ذلك كله عليه عند
شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان
الله ابدا لا بد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل للعباد المريدين لمرضاة
الله عونا وبهم رؤفا وبهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب
ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم
اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسر وحط عنه
الاعنا وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من
لذة المناجات ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات
وتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي
ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه
ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقاهم اشد شوقا
فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوز ٥
من الله على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمة

اخر كتاب ذم الجاه والريا وقد وقع الفراغ من
هذا الكتاب على يد الفقير الى الله عبده مصطفى ابن
عبد الله غفر الله وليسائر المسلمين وقد تحرر في اول
شهر المحرم عاشوري في يوم اثنين عشر في وقت
العصر سنة الف واثنين وما...
والحمد لله رب العالمين

تمت

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترفوا بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلاة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وافته وبيان من تكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر.

الكبر وبيان

وبيان

وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وفيما يظهر الكبر وبيان
علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق
التواضع والمذموم منه **بيان ذم الكبر** قد ذم الله سبحانه وتعالى
الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سأصرف عن آياتي
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال
تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القران كثير وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من
خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وعن
ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو
على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا
ابا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
اكبه الله في النار على وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب
وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والانس
والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع
فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه
البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت
به ابعد مما رفعته وقال عليه السلام يخرج من النار عنق له
اذنان يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد
وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال عليه السلام لا يدخل
الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال عليه السلام تحاجت الجنة والنار
فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا
يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم وقال الله تعالى

للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انت انما انت عذابي
اعذب بك من اشاء ولكل واحدة ملؤها وقال عليه السلام بئس
العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر
والبلا بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت بلغنا انه
قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال
عبد الله ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام
لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني امركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما
عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو
وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى لكانت ارجح منهما
ولو ان السموات والارض وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها
وامركما بسبحان الله وبحمده فانهما صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال
عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال عليه السلام
اهل النار كل جعظري جواظ متكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون
وقال عليه السلام ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم
اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون
المتفيهقون قالوا ما المتفيهقون قال المتكبرون وقال عليه السلام يحشر المتكبرون
يوم القيمة ذرا في صورة الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى
سجن جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة
اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون
يوم القيمة في صورة الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله عز وجل وعن
محمد ابن واسع قال دخلت على بلال ابن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله ان يسكنه
كل جبار عنيد فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك
من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بري من ثلثة دخل
الجنة الكبر والدين والغلول
الاثار
قال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه لا تحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال
وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان
الاحنف ابن قيس يجلس مع مصعب ابن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب
ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه

[Margin note:] قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون [illegible]

[Margin:] نار الانيار

فقال عجبا

فقال عجبا لابن ادم كيف يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال
الحسن العجب لابن ادم يغسل الخراء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض
جبار السموات والارض وقد قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل في قوله تعـ
الغائط والبول وقال محمد بن حسين ابن علي ما دخل قلب امرئ شيء
من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سليمان
عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان
بن بشير على المنبر ان للشيطان مصاليا وفخوخا وان من مصالي الشيطان و
فخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير
ذات الله

بيان ذم الاختيال واظهار

اثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر
الله الى رجل جر ازاره بطرا وقال عليه السلام بينما رجل يتبختر في بردته قد
اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال
عليه السلام من جر ثوبه خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال
زيد ابن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله ابن واقد وعليه ثوب جديد
فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلا وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال
يقول الله تعالى ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك
مشيت بين بردين منك وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت
اتصدق واني اوان الصدقة وقال عليه السلام اذا مشت امتي المطيطا
وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية
فيها اختيال وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله
وهو عليه غضبان الاثار عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر
عليه ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على
ساقه وانفرج عنها قباءه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال
اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت

تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي
حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من
اعضائه لله عليه نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه
فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله ولا تمش في الارض مرحًا
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة
فدعاه فقال ابن ادم معجب بشبابه محب لشمائله كان القبر قد وارى بدنك
وكان قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم
وروي ان عمر ابن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس
وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من
في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني
على هذه المشية حتى تعلمتها وروي ان محمد بن واسع راى ولده يختال
فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك
فلا كثر الله في المسلمين مثله وروي ان عمر راى رجلا يجر ازاره تمشي هذه المشية
فقال ان للشياطين اخوانا كررها مرتين او ثلاثا وروي ان مطرف ابن
عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله
هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك
اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى
المهلب وترك مشيته وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى
اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلننظر فضيلة التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال عليه السلام ما
ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال عليه السلام
ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه
جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه
وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية
ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي
سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان قال كان رسول الله

صائما

صايمًا فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيًا من عسل فلما رفعه فذاقه
وجد حلاوة العسل وقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيًا من عسل
فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله ∴
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون
فقام سايل على الباب وبه زمانة تتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلًا من قريش اشماز منه
وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة منها وقال النبي صلى الله
عليه وسلم خيرني ربي بين امرين عبدًا رسولًا او ملكًا نبيًا فلم ادر ايهما اختار
وكان صفيي من الملايكة جبريل فرفعت راسي فقال تواضع لربك عبدًا رسولًا
واوحى الله الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم
على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي
وقال عليه السلام الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى
وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر
يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس
يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم
القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا هدى الله عبدًا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شاين له
ورزقه مع ذلك تواضعًا فذلك من صفوة الله وقال عليه السلام اربع
لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع
والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عليه السلام
ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر
فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه
وقال عليه السلام انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشي في يده يكون
مهناه لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال عليه لاصحابه مالي لا ارى عليكم
حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال عليه السلام
اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم

فان ذلك منزلة عليهم وصغار **الاثار** قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا
تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعد
طوره وهظه الله الارض وقال اخسا اخساك الله فهو في نفسه كبير
وفي اعين الناس حقير حتى انه عندهم لاحقر من الخنزير وقال جرير ابن
عبد الله رحمه الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع
له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو
سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من
تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة
قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي
الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو
سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك
راس التواضع ان تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس
لك بدنياك عليه فضلا وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى
تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضلا وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا
او بيانا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى
الله الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة
اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا
فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح
له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك
ابن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وترك
النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هارون فقال يا امير المؤمنين
ان تواضعك في شرفك افضل لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير
المؤمنين ان امرءا اتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط
له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان
الله من خالص عباد الله فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده
وكان سليمان ابن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء
والاشراف حتى يجي الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين
وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فلذلك
فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة ويروى انه خرج يونس وايوب

والحسن يتذاكرون

الملك

افضل العبادة التواضع وقال يوسف ابن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق ع ع ع

رفعة

والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع ان
تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلاً وقال مجاهد ان الله
تعالى لما اغرق قوم نوح تشامخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله
فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله
اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلباً اشد تواضعاً من قلب موسى عليه السلام
فخصه منه بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات
لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي وقالوا
ارفع ما يكون من المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون
عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع
كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك ابن دينار لو ان منادياً على
باب المسجد ليخرج شركم رجلاً والله ما كان يسبقني احد الى الباب
الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك
مالكاً وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابداً وقال
موسى ابن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل
فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله لنا فبكى ثم قال ليتني لم
اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال
فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال
له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال
له الشبلي ابعدك الله شاهدك او تجعل لنفسك مكاناً وقال الشبلي
في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من راى لنفسه قيمة فليس له
من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رايت علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه في النوم فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن
التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وقال
سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام
العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعاً قال
اذا لم يرى لنفسه مقاماً ولا حالاً وتواضع كل انسان على قدر
معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع
الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال
عروة ابن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها

صاحبها الا التواضع وقال يحيى ابن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع و
السفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى ابن معاد التكبر على ذي التكبر عليك
بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق قبيح
وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله
ولا امن الا لمن خاف من الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه منه وقال ابو علي الجوزجاني
النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع
والنصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر
ادركها التواضع مع نصرة الله واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة
مع توفيق الله واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله وعن
الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يكون في اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم
قال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم
يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيا حتى يضعها او يرفعها وعن عمر ابن
شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه
غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت
على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال
لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال
انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه
الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم
النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء
وكان عطا السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كانه امراة
مخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطا لاستراح الناس وكان بشر
الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله
بن المبارك وقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجا يكون
بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال سلمان
لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا
كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى
والغنى في اليقين والشرف في التواضع **بيان حقيقة الكبر وافته**
اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر

هو اعمال

218

هو اعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق فاما الاعمال فانها ثمرات
ذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال
تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس
وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر
يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتي فان
العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه صح ولكن يرى غيره اعظم من
نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى
نفسه احقر لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة
ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل
فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ
فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه
بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك
قال عليه السلام اعوذ بك من نفخة الكبريا ولذلك قال
عمر رضي الله عنه اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد
صلوة الصبح فكان للانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام
تكبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات
ويسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بالكبرياء
بتلك العظمة ثم هذه العزة العظمة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن
هي ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر
من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته
وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من
ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة
عتبته فان كان دون ذلك فيانف مساواته وتقدم عليه في مضايق
الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد تقصيره
في قضا حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظه
استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شي من قوله غضب
وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم
وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا وللاعمال الصادرة

عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا
هو الكبر وافته عظيمة وغايلته هائلة وفيه يهلك اكثر الخواص من الخلق وقلما
ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء الفضلاء عن عوام الناس وكيف لا تعظم
افته وقد قال عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من فزكاف
كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق
المومنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق
تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمومنين ما يحب لنفسه وفيه
شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز
ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق
وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب
وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح
اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازرا
بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا
وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز
عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال
حبة منكبر والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض
لا محاله فشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول
الحق والانقياد له وفيه وردت الايات التي في ذم الكبر والمتكبرين ثم
قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان
اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله ثم قال لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون وقال تعالى قال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم
لكنا مومنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف عن اياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع القران عن قلوبهم
وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج صارفهم
عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وكذلك قال عيسى ابن مريم عليه السلام ان
الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع
ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون ان من سمح براسه الى السقف شجه ومن تطاطا

اظله ولكنه فهم امثال ضربها للمتكبرين وانهم كيف محرومون الحكمة ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم مجموع الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال غمص الحق وغمص الناس

بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته

وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله ورسوله او ساير خلقه وقد خلق
الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا الكبر باعتبار
المتكبر عليه ثلاثة اقسام القسم الاول التكبر على الله وذلك هو افحش
انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه
كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة بل ما يحكى عن من الجهلة
كل من يدعي الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف
ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا الاية وقال
تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا
القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن
انقياد لبشر مثل ساير الناس وذلك تارة يصرف عن التفكر والاستبصار
فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع
مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما
حكى الله عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقوله ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون قالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد
استكبروا في انفسهم الاية وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون
فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا وقال
وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان يا فرعون
فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف
من عبودية الله تعالى ومن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما
اخبر الله عنهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قال قتادة

الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم
اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمت ربك
نحن قسمنا وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا
لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم
فتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
الى قوله ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثم اخبر الله سبحانه عن
تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم
ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه عليه السلام
محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريبا من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه
تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله القسم الثالث التكبر على العباد
وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه
الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف عن مساواتهم وهذا وان
كان دون الاول والثاني ايضا فهو عظيم من الوجهين احدهما ان الكبر والعز
والعظمة والعلا لا يليق الا بالمالك والقادر فاما العبد المملوك الضعيف
العاجز الذي لا يقدر على شي فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد
نازع الله في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك
فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم
تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى
هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني
فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه
منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر
على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ان يستاثر بهم فهو
منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره
والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن
تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه

جاءهم

وهذا كبر

ويستخف بهم ويترفع عليهم
ويستنكف عن خدمة الملك

وبين منازعة نمرود وفرعون

المنازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض
عبيده واستخدامهم وبين منازعتهم في اصل الملك الوجه الثاني
الذي يعظم به رذيلة الكبر انه يدعوا الى مخالفة الله في اوامره لان المتكبر
اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى
المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم
يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر
من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك
من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر
للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق
وكذلك يحمل ذلك على انفه من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا
قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله
عنه انه قراها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف فقتل فقام
اخر فقال اتقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه
والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك
نفسك وقال عليه السلام لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك
اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما
ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا ليعتبر به انه قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله على ان يمتنع من السجود الذي امره الله به
فكان مبداه التكبر على ادم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر
الله وكان ذلك سبب هلاكه ابدا الابد فهذه افة من افات الكبر
على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله الكبر بهاتين الافتين
اذ ساله ثابت ابن قيس ابن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي
من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال عليه السلام لا ولكن الكبر من بطر
الحق وغمض الناس وفي حديث اخر من سفه الحق وقوله غمض الناس اي
ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الافة
الاولى وسفه الحق هو رده الثانية فكل من راى انه خير من اخيه و
احتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الافة استصغارا او رد الحق وهو يعرفه

فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته و
اتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله تعالى ورسله **بيان ما به التكبر** اعلم انه لا يتكبر الا
من استعظم النفس ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات
الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم
والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه
سبعة اسباب **الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء قال عليه السلام
افة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه
جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره
الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدؤا بالسلام فان بدا واحدا منهم
بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة
عنده ويدا عليه يلزمها شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون
من مثله وانه ينبغي ان يرقون له ويخدموه شكرا له على صنيعه
بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه
فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان
قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان من تعلمه العلم صنيعة
منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا
اما في امر الاخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم
فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم
وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي
يعرف الانسان نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم
خطر العلم فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر والعلم وهذه العلوم تزيد
خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم
حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال
ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال **فان قلت**
فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين
احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم
الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب
منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر

العلم

والنحو

والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلا
منها امتلا كبرا ونفاقا وهذه العلوم بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما
بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث
التواضع غالبا **السبب الثاني** ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث
الداخلة ردي النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه
وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في مجاهدة ربه فيبقى
خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا
خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال
العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله
على قدر طعومها فيزداد المر مرا والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال
فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزداد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا
وهذا لان من كان همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به
فازداد كبرا وان كان الرجل خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة
قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر
به ولاجل ذلك قال الله لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف
اولياءه فقال اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ولذلك قال
عليه السلام فيما رواه العباس يكون قوم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم
يقولون قد قرانا القران فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال
اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار وكذلك قال عمر رضي الله عنه
لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا
استاذن تميم الداري عمر في القصص فابى ان ياذن له وقال له انه الذبح واستاذنه
رجل كان امام قومه انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني ان تنتفخ حتى
تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن
وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة رضي
الله عنه لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخري هذه الامة فما اعز
على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم
وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون
النظر اليه عبادة فضلا من الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك

اخاف ان تنتفخ

ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته
وسجيته وهيهات فانى يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب
الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم
يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما
معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي
على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجى لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ
بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا
بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسال الله تعالى ان يعاملنا
بما هو اهله وان يستر علينا قبايح اعمالنا كما تقتضيه كرمه وفضله **الثاني**
العمل والعبادة وليس يخلو رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب والناس الزهاد
~~والعبادة وليس يخلو رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد~~
والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم
اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوايجهم وتوقيرهم
والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر
الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء فكانهم يرون عبادتهم منة
على الخلق واما في الدين فهو انه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك
تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي عليه السلام اذا سمعتم الرجل يقول هلك
الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدري خلق
الله مغتر بالله امن مكره غير خايف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره
لغيره قال عليه السلام كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه
وبين من يحبه الله ويعظمه الله لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه
لنفسه فالخلق مدركون النجاة بتعظيمهم اياه الله فهم يتقربون الى الله بالدنو
منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانهم مترفع عن مجالستهم كما
اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره
اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روى
ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل
اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع
به قال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو
جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل

وهذا

222

وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله
الى نبي ذلك الزمان مرهما وليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل
العابد وفي رواية اخرى فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك
ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل
لهيبة الله خوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر
والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من
بني اسرائيل فوطى على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى
الله اليه ايها المتالي علي انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن وحتى
ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المترف والخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب
الصوف ويرى له صاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا قل
ما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه موذي استبعد
ان يغفر الله له ولا شك في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر
ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب
والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما
يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا
شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله
وعرف جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فمنهم من ضربهم ومنهم
من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا وربما اسلم بعضهم
فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم
على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله في مقت
الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الا
كياس من العباد فيقول ما كان يقول عطا السلمي حين كان تهب ريح او تقع صاعقة
ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطا لتخلصوا وما قاله الاخر
بعد انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق
بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه
وذلك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه
يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع
عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شي يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه
خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون

وكذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات
يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك اليوم فقال اني ارى
في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسالك بالله حدثتك نفسك ان
ليس في القوم افضل منك فقال اللهم نعم فراى النبي صلى الله عليه
وسلم بنور النبوة مما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد
من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات
الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه
يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره افضل من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه
شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع
في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى
ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس
وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان
عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى يقطب ولا في الوجه
حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى يطاطى ولا في الذيل حتى يضم
انما الورع في القلوب قال عليه السلام التقوى هاهنا واشار الى صدره
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم كان اوسعهم
خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولمثل ذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي
تلقاه بالبشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين
مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم
واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر
على لسانه حتى يدعو الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية
النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم
والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو
وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه
ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القرآن في كل يوم وفلان
ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي ضمنا فيقول قصدني فلان

فيهلك

فيهلك ولده واخذها له اومرضه وما يجري مجراه يبغي الكرامة لنفسه **واما** مباهاته
فانه لو وقع مع قوم يصلون الليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان يصبرون على
الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد
في القتال خوفا ان يقال غيره نجيب منه او اقوى منه في دين الله **واما** العالم فانه
يتفاخر ويقول انا متقن في العلوم ومطلع على الحقايق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن
انت وما فضلك وما لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم
نفسه **واما** مباهاته فانه يجتهد في المناظرة ليغلب ولا يُغلب ويسهر طول الليل والنهار
في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ
وحفظ العلوم الغريبة يتعاظم بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها
واسانيدها حتى يرد على من اخطاء فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا
واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه
فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع
ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر
كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم ولا تكبر و
العالم هو الذي فهم ان الله قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا
فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه
كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل
الثالث التكبر بالنسب والحسد فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له
ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس
لهم موالي وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به
فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان ابن فلان
واني لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق
دفين في النفس لا ينفك عنه بسبب وان كان صالحا او عالما او عاقلا الا انه
قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك بنور
بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال تقاولت رجلا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع
طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل

قم قطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا
لكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر
باخمص قدم من تكبر عليه فضلا اذا عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روى
ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان ابن
فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه
السلام قال احدهما انا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال عليه السلام
ليدعن قوم الفخر بابائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من
الجعلان التي يدوف بانافها القذر **الرابع** التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجري
بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي
هكذا اي انها صغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشاه خفي
الكبر لانها لو كانت ايضا صغيرة لما ذكرتها بالصغر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت
المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت **الخامس** الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك
في الخزائن وبين التجار في بضايعهم وبين اهل الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين
في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول
له لا زلت مكدي ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك
ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم
ما تاكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل
منه بافة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو
يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا
وولدا فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا
زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد
ثم بين الله تعالى عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر
قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع**
التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين ويجري
ذلك بين الملوك والمكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة
فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى

ان المخنث

ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صفة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به
وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان
ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطيا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على
بعض فيتكبر من يدلي بشي منه على من لا يدلي منه او على من يدلي على بما هو دونه في اعتقاده
وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في بيان نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهو ثمرته ونتيجته وينبغي ان
يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق
قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد هو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه و
بعلمه وعمله او بشي من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب
في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو
العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الريا فتصير
الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا
انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال
الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكنه
قد غضب عليه بسبب قد سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو
لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع وجملة ذلك
على رد الحق اذا جاءه من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه
وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه
ولا يساله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم
يكن من جهته ايذا وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى
جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم
وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه
حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل
علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق التكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه
فوقه واما الريا فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه

افضل منه وليس بينه وبين معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا
يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر
عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر
بالعجب او الحسد والحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلو به مهما ثلثا ولذلك قد ينتمي الى نسب
شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب الى ذلك النسب ويترفع عليه
في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا
بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله
الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن
صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما

يظهر فيه اثر التواضع والكبر اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا
واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في
الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي
تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من
يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان
يحب قيام الناس او بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من اراد ان ينظر
الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس
لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا
له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو
الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن ابن عوف
لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري
فمنعهم وقال ما يبقي هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم
غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد
في الصلاة وابدل به الخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان
يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري

قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم ابن ادهم ان تعال فحدثنا فجاءهم سفيان فقيل له يا ابا
اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه **ومنها** ان يستنكف
من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب
جلست الى عبد العزيز ابن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي
فجرني اليه وقال لم تفعلون بي ما يفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا
مني وقال انس كانت الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت **ومنها** ان يتوقى
مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد
تقشر ~~فجلسه~~ وعنده اصحابه ياكلون فما جلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه
النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما
ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته **ومنها** ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته
والتواضع خلافه روي ان عمر ابن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب كتابا فكاد
السراج يطفى فقال الضيف اقوم الى السراج فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم
ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملا المصباح
زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال ذهبت وانا عمر
ورجعت وانا عمر وخير الناس عند الله من كان متواضعا **ومنها** ان لا ياخذ
متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شي الى
عياله وكان ابو عبيدة الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال
ثابت ابي مالك رايت ابا هريرة قد اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يوميذ
خليفة وان في المدينة فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبع ابن
نباتة قال كاني انظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة
يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في
ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها
اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة
من الايمان قال هارون سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس
وقال زيد ابن وهب رايت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده
الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله
عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام

على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لمروان

جودة الثياب خيلا القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما دامتا نقيتين

ويروى ان عمر ابن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار

فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا

لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال لي نفس ذواقة تواقة وانها لم تذق

من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهو ارفع

الطبقات تاقت الى ما عند الله وقال سعيد ابن سويد صلى بنا ابن عبد العزيز الجمعة

ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير

المومنين ان الله قد اعطاك فلو لبست ثم نكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل

الفضل عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال عليه السلام من ترك زينة

لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله ان يدخره

عبقري الجنة **فان قلت** فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب

خيلا القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من

الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب

الجديد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار

اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى

الله عليه وسلم من حال ثابت ابن قيس اذ قال اني امرء حبب الي من الجمال ما

ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من

ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضى بالثوب الدون

قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذ راه الناس ولا يبالي

اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طلب الجمال ان يحب الجمال في كل شي ولو في

خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى

عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلا القلب يعني قد يورث خيلا

في القلب وقول نبينا عليه السلام انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه

الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب

الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد

قال عيسى عليه السلام كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة

ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر ابن عبد الله المزني

البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون

التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم

استخلف كان يشتري

ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذياب الضواري البسوا ثياب الملوك
والينوا قلوبكم بالخشية **ومنها** ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه
فذلك هو الافضل وقد اوردنا ما نقل عن السلف في احتمال الاذي في كتاب
الغضب والحسد وبالجملة فجامع حسن الاخلاق والتواضع يوخذ من سيرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه فينبغي ان يقتدي ومنه ينبغي ان يتعلم
وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس
من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس
لله وكل شي من ذلك دخله زهو او مباهاة او ريا او سمعة فهو معصية وسرف
وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في
بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف
النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا عيا ويشتري الشي
من السوق ولا يمنعه الحيا ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله
يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله من صغير
او كبير او اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلاح ليست له حلة لمدخله وحلة
لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي
اليه وان لم يجد الا الحشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين
المؤونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك
محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من
غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دايم الاطراق لم يتشم قط من
شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عايشة رضي الله عنها ام المومنين
فحدثتها بما قال ابو سعيد فقالت ما اخطا حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت
الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي ليلته
حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيوتى
بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما
بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفدا لو
تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة
اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت

في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياماً يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غداً
في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلاي قالت عايشة رضي الله
عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله فما نقل من احواله صلى
الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع
فليقتدِ به ومن رأى نفسه فوق محله عليه السلام ولم يرضَ لنفسه بما رضي هو
فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة
الا في الاقتداء ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب
العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام قال ابو الدرداء
اعلم ان الله تعالى عباداً يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم
اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوم من امة محمد
عليه السلام لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية
لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين
والنصيحة لهم ابتغاء مرضات الله بصبر بخير وتواضع في غير مذلة وهم
قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون
صديقاً ثلاثون رجلاً على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام
لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون
شيئاً ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احداً ولا يحرصون
على الدنيا هم اطيب الناس خيراً والينهم عريكة واسخاهم نفساً علامتهم السخا
وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغداً في غفلة
ولكن مداومين على حالهم الظاهرة وهم فيما بينهم وبين ربهم
لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحاً
الى الله اشتياقاً اليه وقدماً في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم
المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء اما سمعت
بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين
ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت
على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما
ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة
واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب

التواضع اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من شخنه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر بها على غيره المقام الاول في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبريا الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا تطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة في كتاب الله فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال الله قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى الاية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شي اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج كذلك خلقه اولا ثم امتن

فصار شيا مذكورا

نبتليه

عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى تيسره له في مدة حيوته الى الموت ولذلك قال
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه
بعد ان كان جمادًا ميتًا ترابًا اولًا ونطفة ثانيًا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد جمادًا
ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها
من العجايب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه
بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره
والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم يرى
الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك القلة
والذلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودًا بعد العدم
وحيًا بعد الموت وناطقًا بعد البكم وبصيرًا بعد العمى وقويًا بعد الضعف وعالمًا بعد
الجهل وهاديًا بعد الضلال وقادرًا بعد العجز وغنيًا بعد الفقر فكان في ذاته لا
شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله
شيًا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه
ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله عليه
وانه لا يليق الكبريا الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانًا
وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته اولًا فقال الم يك نطفة من مني يمني
ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدوه
وهذه احواله فمن اين له البطر والكبر والفخر والخيلا وهو على التحقيق اخس الاخسا
واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز
ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة
والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح
والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى سخط ام رضي فيجوع كرهًا
ويعطش ويمرض كرهًا ويموت كرهًا لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا خيرًا ولا شرًا
يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينسيه ويريد ان ينسى الشيء ويغفل
فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس
والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه تشتهي الشيء وربما يكون هلاكه
فيه ويكره الشيء وربما يكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه

ويستبشع

ويتبع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته
وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله وتختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو
مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من
غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه واني يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط احواله
فليتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا
شاء انشره ومعناه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته
فيعود جمادا كما كان اولا لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع
في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة قذرة ثم تبلى اعضاؤه
وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا وتاكل الدود اجزاءه فتبتدي
بحدقتيه فتقلعهما وبخديه فتقطعهما وسائر اجزائه فيصير روثا في اجواف الديدان
ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان
احسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان
ويصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان
في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد
طول البلى ليقاسي شدائد البلى فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة الى اهوال
القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم
منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر
اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرا كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل
بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان
يكتبان عليك ما تنطق به وتعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير واكل وشرب
وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق
الى دار العذاب فيتقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة و
يشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما
لمن هذا حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول
حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير
مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار
فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب
والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب

في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو
وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا
حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه مولاه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه
شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو
جناية
الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به ضرب الف سوط فحبس في
الحبس وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدري
ايعفا عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من
عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله ولا يدري كيف يكون
امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع
لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة
على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
وقد قيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار
به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين
تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلوة جميعا وقيل الصلاة عماد
ذلك
الدين وفي الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع
بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يانفون من الانحنا
فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله
فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم ابن حزام بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل
ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة المذلة
والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم
وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه
التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كلما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب
على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق
المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح
وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم
الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة
وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه

مما يفنى

مما يعني بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج
من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة **الاول** النسب فمن يغتر به الكبر
من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه
تعزز بكمال غيره ولذلك **قيل** ؎ لئن فخرت باباء ذوي شرف ؎
لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ؎ فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات
ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان
يقول الفضل لي وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي هي من بول
الانسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان
لا للدودة **الثاني** هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه
القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال
الذي احسن كل شيء خلقه وبدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من
ماء مهين فمن اصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى
صار حماء مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل
من التراب ويا انتن من الحماء ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب
من كونه من التراب فيقال افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب
اليه من الاب فليحتقر من نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعه لقربه
فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت
الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل
له وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطئ بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان
فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب فيكون مثاله بعد
هذه المعرفة وانكشاف الغطاء عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني
هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم تزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذا
خبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا
له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقى
شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعاد
الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا على حال البصير اذا تفكر في اصله
وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى
الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب
والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها

هو في نفسه **السبب الثاني** الكبر بالجمال ودواوه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر
الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه تعززه
بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط
في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته
والصنان تحت ابطه ويغسل الغائط كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلاء
كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه
او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حاله توسطه وفي اول امره خلق من
الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج في مجرى الاقذار
اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج
من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا
فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك
قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرو اذ راه يتبختر وكان
قبل خلافته هذا اوله ووسط ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف
والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة
التي لا يتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت
فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون
الازهار في البوادي بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان
جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان يتكبر على القبيح اليه فينفيه
ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاله بل هو في كل حال يتصور ان يزول
بمرض او جدري وقرحة وسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه
الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها **السبب الثالث** صح
التكبر بالقوة ولا يمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض
وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه
لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو
دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق
شوكة ولا يقاوم بقة لا يقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته
ثم ان اقوى الانسان لا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واي افتخار في
صفة تسبقك البهائم فيها **السبب الرابع** الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة
الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر

معنى

يعني خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان
المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا
والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا
من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل
فكيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل
فاف لشرف يسبقك به اليهود واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه
ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده
وفي الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك
وشي من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه وان ابقاه لك وان استرجعه زال
وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شي فمن عرف ذلك لا بد وان يزول
كبره ومثاله ان يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة
منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدا عدل عند حاكم منصف
بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم بذلك وحكم به حاكم فجا مالكه
فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لتفريطه
في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا
في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من
كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص
البتة افترى ان من هذا حاله يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل
في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته
وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين افات وشهوات وامراض واسقام
هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته
وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة
وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جدير
الا بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره
السبب الخامس التكبر بالعلم وهذه اعظم الافات واغلب الادواء
وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذاك لان قدر العلم
عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما
بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال
كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه

كثيره فيعجز

فيعجز

العالم اذا زل زلة بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل
لكثرة ما نطق الشرع بفضايل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين
احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا
يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم
يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار
بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه
وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار
والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
اسفارا اراد به علماء اليهود وقال في بلعم ابن باعورا واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس
اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي سواء اتيته الحكمة او لم اوتيه فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا
الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما
خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي
هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر
غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدايه فانه
اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون فقيرا فكم من عالم يشتهى في الاخرة سلامة
الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار
فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله كان فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر
عنده نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول ليتني لم تلدني امي ويأخذ
الاخر تبنة من الارض ويقول ليتني كنت هذه التبنة ويقول الاخر ليتني كنت
طيرا اكل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوا حالا من الطير
والتراب ومهما طال فكره في الخطر الذي هو بسببه زال بالكلية كبره وراى
نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها
وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداه على ما يرتضيه سيده
ام لا فاخبره مخبر ان سيده ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا
ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا اذا ضاق عليه الامر وبلغ
به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم اوقفه

الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل
بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري انه من اهل اي الفرق
يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه
وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجا ان يكون هو من شفعائه عند
نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات
على جوارحه وبذنوب في باطنه من الريا والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم
ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة **فامر الثاني**
ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله
بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر
لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه
ما يحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له
مثلا لو تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله
في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله بان يصغروا انفسهم حتى يعظم
عند الله فضلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة **فان قلت**
فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق والمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو
عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان
خطر بباله خطر العلم وهو ليعلم ان خطر وهو ليعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم
ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ
يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبر من
هو كبير عند الله في الاخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن عند الله من اهل النار
وهو لا يدري ذلك فكم مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره
وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع الانام الا ابا بكر وحده فالعواقب
مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد
للعاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله
بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم
اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سنا قال هذا اطاع الله قبلي
فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان
نظر الى مبتدع او كافر قال وما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه
الآن فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى فملاحظة الخاتمة

لم

عندي

يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم بان الكمال في سعادة الاخرة و
القرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين
المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق كل احد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول
القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق سوء الظن مولع وشفقة
كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في خيانة ووعدوا بان تضرب رقابهم
لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم نفسه
عن الالتفات الى غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبة وخطر **فان قلت**
فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك
اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض **فاعلم** ان هذا امر مشتبه يلتبس على
اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال
بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس
بجنبه ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد
غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر
على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه
الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر
يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز
بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند
مشاهدة المبتدع والفاسق او عند امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر
ثلثة امور **احدها** التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند
ذلك قدرك في عينك **والثاني** ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم
واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله سبحانه وتعالى عليك فله
المنة لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر **والثالث**
ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بسوء ويختم له بالحسنى حتى
يشغلك الخوف على المتكبر عليه **فان قلت** فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول
تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى
نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من
خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم
انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق
قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد

ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق ويغضب عليه فان كان الغلام
مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده اساء وانما يغضب عليه لمولاه
ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ولا يغضب من غير
تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز
لا محاله من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك
يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله في
الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضا في الازل
وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى
ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الاخرة فهكذا يكون بعض
العلماء الاكياس فيضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه
اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع
لمن عصى الله واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر **التمهيد**
السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان
يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو ان يعلم انه من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي
ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال ——— عليه السلام فضل العالم
على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العالم فان
قال العابد ذلك العالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات
يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فذلك يمكن ان يكون
وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد
لذلك واذا كان هذا امرا غايبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه ان يتواضع
له **فان قلت** فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق
العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل
من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمته لا وشكوك
فيها فيحتمل ان يموت بحيث ان يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق
لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان
هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه
وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف
وفي حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غيره

يكمل حاله

بل هو مولاه فيغضب له

العالم فهم ثم ينقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا تتكبر على المستور
فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان
لم يظهر لك من الذنوب الا ما تربي عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه
ولا يمكن ان تقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر
لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان يعلم ان ذنوبه اشد
كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا والغل واعتقاد الباطل والوسوسة
في صفات الله تعالى وتخيل الخطا في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما
يجري عليك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وفي حجر للفاسق
الظاهر الفسوق من طاعات القلوب من حب الله والاخلاص وخوف وتعظيم ما انت
خال عنه وقد كفر ذلك سيأته فينكشف الغطا يوم القيمة فتراه فوق نفسك
بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا
عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف
في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من
عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى
نفسك ذو فضل قال وهب ابن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة
حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها شاد مجده وعلا ذكره ان يرى
الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع
وفرقة هي شر منه وادنا فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه
سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا افلا
تراه خايفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه
خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه ويتوب عليه ويختم له باحسن
الاعمال وبري ظاهر فذلك شر فلا يامن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها
الافات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبا
لجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضا الازلي بشقوته فما له
سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا منه وذلك
هو الفضيلة كما روى ان عابدا اوي الى جبل فقيل له في النوم ايت فلانا الاسكافي
فساله ان يدعو لك فاتاه فسئله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق
ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لعبادة
فاتي في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك

[illegible]

فاتاه فسئله

فاتاه فسئله فقال ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد
بهذه التي يدل علي وفضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي
يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
وقد وصف الله سبحانه وتعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على
الدوام بالاشفاق فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم
مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر كما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة
الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن
مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق
والتكبر والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف
بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع
وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت
وعدها فعلى هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل المعرفة
بالعمل ويجرب نفسه بافعال المتواضعين في مواضع هيجان الكبر من النفس وبيانه
ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت
الامتحانات كثيرة الامتحان **الاول** ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه
فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به
والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا
فليتق الله وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه
وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله واما بالعمل فانه يكلف نفسه ما ثقل — من حيث العمل
عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز
ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما تفطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك
الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من
دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل
الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم فكبر فان
كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج
الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكر القلب بان منفعته في كماله في ذاته
وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا
جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني
فليعالج كلا الدائين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني** ان يجمع مع الاقران

والامثال في المحافل ويتقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل
ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وهاهنا
للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض
الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ
يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر باظهار التواضع
ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك
هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر
الى السوق في حاجة الرفقا والاقران والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه
الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها
لا يكون الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من
المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله
ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او ريا فان كان يثقل
ذلك عليه مع خلو الطرق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس
فهو ريا وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل
الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجسام مع ان الاجسام
قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب
فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب
نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى
جربها اهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر
الامتحان الخامس ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا
ريا وفي الخلوة كبر وكان عمر ابن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر
وقال عليه السلام انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق
اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ابا موسى
ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس
عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الريا والكبر فما يختص بالملا فهو ريا
وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك
المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان و واسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة
يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا
والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلي طرفي قصد الامور ذميم و
احب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تاخر عنهم
فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف
فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم فسوى نعله وعدا الى باب الدار خلفه
فقد تخاسس وتذلل وهو ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي
كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن تقرب منه درجته
فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته
والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه
اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته
فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف
عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر فان خف عليه ذلك
فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا
متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف
ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد
خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان
يعود الى الوسط الذي هو الصراط وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر
الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون الى الميل
الى الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس
من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش الاخر
وكذلك نهاية التكبر وكذلك نهاية التنقص والتذلل مذمومان واحدهما
اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب
وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر
من بيان اخلاق الكبر والتواضع **الشطر الثاني من الكتاب في العجب** وفيه

بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان
علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك في معرض الانكار
وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب
بعمل هو مصيب فيه وقال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر اخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنتين
القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر
والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه سعد وقد ظفر بمراده فلا
يسعى والموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب
حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن هاهنا جمع بينهما وقد قال تعالى
فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال
زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فاكب عليه اصيب بكفه فكانه
اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس فيه ذلك عمر فقال ما زال
يعرف في طلحة بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو
هو العجب في اللغة الا انه لم ينقل فيه انه اظهر واحتقر مسلما ولما كان وقت
الشورى قال له ابن عباس اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه
نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا
حذرهم قال مطرف لأن ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح
معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو
اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور
من الذين اذا راوا ذكر الله تعالى والدار الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال

بالعمل

وهوى متبعا

هو اعلم بن التقا

لعمر رضي الله عنه

الصلاة يوما

الصلاة يوماً ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبنك ما رايت مني
فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل
لعايشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئاً قال اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى ولا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو
العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جداً **بيان آفة العجب** اعلم ان افات العجب كثيرة
فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات
الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب
واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها
فينساها وما يتذكر منها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن
انه يغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها
وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن لم
يتفقد افات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعاً فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة
نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون
العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله
بمكان وان له عند الله منة وحقاً باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه
ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعمله
وعقله منع ذلك من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورائه
ويستنكف من سوال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه
من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ
بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رائه في امر دنيوي
فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو
اتهم نفسه ولم يثق برائه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين و
واظب على مدارسة العلم وتابع سوال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق
فهذا وامثاله من افات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم
افاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك
الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال بنفسه في علم وعمل ومال
وغيره حالتان احدهما ان يكون خائفاً على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا
ليس بمعجب والاخر ان لا يكون خائفاً من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه
نعمة من الله عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة
ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به ومطمئنا اليه ويكون
فرحه من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة
فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب
الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه
زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان
اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه
منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا
يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا دلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على
الله دالة وكذلك قد يعطي شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه لغيره
او اقترح عليه الاقتراحات فاستبعد تخلفه عن قضى حقوقه كان مدلا عليه قال
قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل
لا ترفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل
بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب
يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم
الا مع توقع جزا فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه
كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعا الفساق ويتعجب من رد دعا نفسه
لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة
المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة
والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من
العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول

الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه وهو
محله ومجراه او من حيث انه منه وشيبه وقدرته وقوته فان كان يعجب به من
حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان
المحل مسخر ومجري لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان
كان معجب به من حيث انه منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته فينبغي
ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وساير الاسباب التي بها تم عمله انما
من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله من غير حق سبق له ومن غير
وسيلة يُدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذا
فاض عليه ما لا يستحقه واثره على غيره من غير سابقةٍ ووسيلةٍ فمهما برز الملك
لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا الوسيلة
ولا الجمال ولا الخدمة فينبغي ان تعجب المملوك من فضل الملك وحكمه و المنعم اليه
ايثاره من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب
هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب المعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم
ولا يتقدم ولا يوخر الا بسبب فلولا انه تفطن في خط الصفات المحمودة الباطنة
لما اقتضى الايثار بالخلعة لما اثرني بها فيقال ولم تلك الصفة ايضا هي من خلعة
وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كان
كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك
فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فرحت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب
فرس واما غيري فلا فرس له فيقول وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق من ان
يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي
ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد
ان يعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار
القاهر ملك الملوك المتفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك
ان عجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في
قلبك فتقول هو فيقال الحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما
من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب
بجوده اذا نعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب
اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب
وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل

لغضبان فضل الله وجوده والمحل ايضا من وجوده وفضله **فان قلت** لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فاذا كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف ولا العجب بها ان جوابك من وجهين **احدهما** هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك جميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع لانه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سياتي تقديره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب **الثاني** الذي فيه مسامحة وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا تتصور العمل الا بوجودك وبوجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارايت لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قرب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح اياك او بما اليك من مد اليد واخذها فلا شك وانك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركة الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب

كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك بمن اليه الامر
كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط
دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخوان السوء ودعاة الشر
عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف
عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل
ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي
بل اثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله
فما اعجب اعجابك بنفسك اذ عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور
الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانما هو الذي اضطرك
الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد
التوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به انه لا فاعل الا الله
ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله
عليه المال من غير علم فيقول كيف يمنعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض
عليه هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري
المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر
الخيال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والمال وحرمتني
عنهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه
حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه
والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل
له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل
على ان نعمة الله اكبر فلم تتعجب من ذلك والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي
والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة
ويخصص بها مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من
رزقها وانها لو خيرت بين الجمال والقبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذا نعمة عليها
اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال
كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب
فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك لصارت
نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال
عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه

كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداه بها قبل استحقاقه وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعمله وعلمه اذ
يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود عليه السلام يا رب ما ياتي ليلة الا
وانسان من ال داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من ال داود صائم وفي رواية
ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من ال داود يعبدك اما يصلي واما يصوم
واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك
لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال
ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضاف الى ال داود
مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا
رب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا
فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما
اني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك ونبيك
هذه وفي شهرك هذا ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه
كذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم
وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا
الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك
ابتليتني بهذا وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من
غمامة بعشرة الف صوت يا ايوب انى من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا
فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه اضافة ذلك الى الله
ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس و لكن الله يزكي من يشاء
ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا
وطيرا مع صفا اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون الذي بصير تغير ان يعجب بعمله
او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من
القلب ومنها غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب
بها بل هو ينظرون الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة

بغير ذنب

بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما اوهب فكم من مؤمن قد ارتد وكم مطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئاته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه كما ذكرناه في التكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره واخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث استقذرتها الطباع الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فنقب الله تلك القطعة من الجبل حتى صارت في عنقه وقد يتكل المومن ايضا على قوته كما روي عن سليمان انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة تلد كل امراة ولدا ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما اسلبها الله بادنى افة سلطها عليها الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور ومصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغنا بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزقه الله من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب

عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا
وان اتسع علمه وانما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه
الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقا كيف يعجبون بعقولهم
ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط
لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن
اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن
بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا

الرابع العجب بالنسب الشريف

كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجوا بسبب شرفه وبجاه ابائه وانه
مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موالي وعبيد وعلاجه
ان يعلم انه مهما خالف اباءه في افعالهم واخلاقهم فظن انه يلحق بهم
فقد جهل وان اقتدى باباءه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازرا
على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم
والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب
وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس
من الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس اكيس
الناس لم يقل من ينتمي الى نسبه ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا
وانما نزلت هذه الاية حيث اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث ابن هشام
وسهل ابن عمرو وخالد ابن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن على الكعبة فقال الله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية
الجاهلية اي كبرها كلكم بنوا آدم وادم من تراب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم
تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا
لم ينفعهم نسب ولما نزلت قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم صلعم بطنا بعد
بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله

اي انا خلقناكم [illegible] الا اصل واحد [illegible] وجعلناكم شعوبا [illegible] وقبائل لتعارفوا

صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئاً فمن عرف هذه الامور
وعرف ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة ابائه التواضع اقتدى بهم في التقوى
والتواضع والا كان طاعناً في نسبه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في
التواضع والتقوى والخوف والاشفاق **فان قلت** فقد قال عليه السلام بعد
قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئاً الا ان لكما رحما سابلها
ببلالها وقال عليه السلام اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بني المطلب فذلك يدل
على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم منتظر شفاعة رسول الله
صلى الله عليه وللنسب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب
عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يوذن
في الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا
فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك
فمن الذنوب ما لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وبقوله من ذي الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن
اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب
الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل
فيه الشفاعة لما امر قريشاً بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها في
اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الاخرة لتكمل لذتها في الاخرة
فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتماداً على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك
المريض في شهواته اعتماداً على طبيب حاذق وقريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك
جهل وان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز
ترك الحمية مطلقا اعتماداً على مجرد الطب بل للطب اثره على الجملة ولكن في الامراض
الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعاء
من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعاً وذلك لا يزيل الخوف
والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله اصحابه وكانوا يتمنون ان يكونوا بهائم
من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفا قلوبهم وما سمعوه من وعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وساير المسلمين بالشفاعة
عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنسبه ويتكل
على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم **الخامس العجب بنسب السلاطين**
الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل **وعلاجه** ان يتفكر في

في مخازيهم وماجرا لهم من الظلم على عباد الله ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم
واقذارهم لاستنكف عنهم ولتبرا من الانتساب اليهم ولانكرون نتسب اليهم استقذارا
لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصما بهم والملايكة اخذون
بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرا الى الله منهم ولكان
انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان
عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لابايهم ان كانوا
مسلمين فاما العجب بسببهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان
والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال قال الكفار نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال
المومنون يوم حنين لا نغلب اليوم عن قلة ماذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه و
ضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فية قليلة غلبت
فية كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره
ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلا
والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيا وهو في احوج اوقاته اليهم
وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
الاية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا
ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك السابع العجب بالمال
كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى النبي صلى الله عليه
وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت
ان يعدوا اليك فقره وذلك العجب بالغنا وعلاجه ان يتفكر في افات المال وكثرة
حقوقه وعظم غوايله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال
غاد ورايح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه السلام
بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل
فيها الى يوم القيمة اشارته الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابوذر
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا اباذر ارفع راسك
فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي
فاذا رجل عليه خلقان فقال يا اباذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا
وجميع ماذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة
الاغنياء وشرف الفقرا عند الله فكيف يتصور من المومن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن
عن الخوف من تقصيره في القيمة بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره

وعلاجه

الى الخزي

الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله **الثاني العجب بالراي الخطا** قال الله تعالى افمن زين له سوء
عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر عليه السلام ان ذلك يغلب على
اخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم
فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم والعجب بالبدعة هو استحسان
ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب
الراي جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته
جدا الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه
وجهله فانه لا يصغى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية يهلكه وهو يظنها
نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده **وانما**
علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب
او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل
وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة
الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا
يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق
عمره في العلم الا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان
الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما
اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث
وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب
المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في
المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم
على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول ما يهمه معرفة
الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر
المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود
جدا فنسال الله العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار
بخيالات الجهال اخر كتاب ذم العجب وقد وقع فراغ من كتابته
الضعيف المعترف بالذنب والتقصير عبده الفقير مصطفى ابن
عبد الله الكرجي قد وقع فراغ منه في اواخر شهر صفر
المبارك سنة الف
وماية بعد الهجرة النبوية على افضل الصلاة

كتاب ذم الغرور وهو العاشر كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور ومفاتيح الخيرات والشرور ومخرج اوليايه من الظلمات
الى النور ومورد اعدايه ورطات الغرور والصلاة والسلام على محمد مخرج الخلايق يوم الديجور
وعلى اله واصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى
ممر الدهور وتكرر الساعات والشهور **اما بعد** فمفتاح السعادة التيقظ و
الفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان
والمعرفة ولا وسيلة اليه سوا انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر
والمعصية ولا داعية اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير
قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار نور على
نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
والاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فيشرح صدورهم للاسلام والهدى و
المغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجا كانما
يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا
وبقي في العمى فاتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلابد
من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته
فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الافات والفساد فاخذ منها حذره وبنى
على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة
والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها
ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن
التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصا وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف
الصنف الاول من العلماء **الصنف الثاني** من العباد **الصنف الثالث**
من المتصوفة **الصنف الرابع** من ارباب الاموال والمغترين من كل صنف فرق وجهات

غرورهم

ومنهم من يترك الفروض ويشتغل بالنوافل

غرورهم تختلف فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي تجف المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين مايسعى فيه لنفسه وبين مايسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدا اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقد قال عليه السلام حبذا نوم الاكياس كيف يعيبون سهر الحمقا واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي المغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرورا غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد هنا امثلة لحقيقة الغرور

الغرور الاول مثال غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسية والدنيا نقد والاخرة نسية فاذا هو خير فلا بد من ايثاره وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا يترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

وعلاجه هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد

الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما
عند الله خير وابقى وقوله والاخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر عليه السلام بذلك طوايف من الكفار
فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله
ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور
وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب
مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان هو ان يعرف وجه
فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب
وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون
اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس
الذي نظمه الشيطان فيه في قلبه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسية
وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسية وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك
بل ان كان النقد مثل النسية في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية
خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسية ولا
يقول النقد خير من النسية فلا اتركه فاذا احذره الطبيب الفواكه ولذايذ الا
طعمة تركها ذلك في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي
بالنسية والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسية
فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة
الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من الف جزء
من الاخرة فكانه ترك واحدا لياخذ الف الف بل ياخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر
من حيث النوع راي لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الاخرة
صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسية وهذا غرور
منشاه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص
معناه فان من قال النقد خير من النسية اراد به خيرا من نسية هي مثله وان لم يصرح
به وعند هذا تفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والاخرة
شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك
اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في
اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص
على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق

وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جايعا وعظم ضروري
وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه
وهو من الشفا على شك ومن مرارة الدوا على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب
بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم
الحزم ان يقول ايام الصبر قلايل وهو منتهى العمر بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت في العدم من الازل
الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار
ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان
ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت
وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه
وان لم يكن متيقنا فهو مغرور **واما الاصل الثاني** من كلامه وهو ان الاخرة شك
فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان **احدهما**
الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا مزيل للغرور
وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دوا علته
وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواه النبت الفلاني
تطمين نفس المريض الى تصديقهم ولا تطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق
بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقراين
الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب
فيعلم كذبه بقوله ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد على قوله
ولا يغتر في ترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخرة
والمخبرين عنها والقايلين بان التقوى هو الدواء والنافع في الوصول الى سعادتها وجدهم
خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبياء والاولياء
والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين
غلب عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم
عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول
الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول
هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا
القدر من الايمان كان لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور
يزيل به **واما المدرك الثاني** لمعرفة الاخرة وهو الوحي والالهام الوحي للانبياء والالهام
للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي صلعم لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع

ان نفس الانسان انما كانت في الازل
وهو شي العرض بالاضافة
الا انها الان لا وجود لها

منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط
هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى
معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما انت تشاهد المحسوسات بالبصر الظاهر
فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح
وانه من امر الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان
ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد انه
انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر
وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجساد ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ ا
لخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه
من عالم الامر وشرح ذلك يستدعي كشف سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر
الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح
فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر
رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن
بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد
على آدم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق
بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب له
طبيعي ذاتي الا ان تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى
عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين
نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم
ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن اكمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري
وهذه اشارة الى اسرار تهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع
الفاظها القاصرون وانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم
الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب
الى عالم الملكوت تسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا
وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبيا
ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما
بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم
وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات
والمعاصي فهم مشاركون الكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة

وهو بينة في صعود بالبصر الباطنة

هم

نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين
لكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها
ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح
جميعا لا بالايمان وحده فهولاء ايضا المغرورون اعني المطمئنين في الدنيا الفرحين
المرخين بها المترفهين بنعيمها جميعا وللتذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين
والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه
ان كان الله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله
عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف
دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعضه المومن
ويقول اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا
يخرب الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة
من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ما هناك شيء وما قيل
ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى
قول العاص بن وايل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وايل دين
فجيت اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اخذه في الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة
فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من
اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون
عليه نعيم الاخرة كما قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المومنين وهم فقراء
اشعث غبر فيزدرون بهم ويسخرون بهم فيقولون اهولاء من الله عليهم من
بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم

وينظرون الى ما صرف الله تعالى العذاب عنهم
ويتيقنون عليها عذاب الاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا ينصرون وعلاج هذا الغرور
اما بتصديق الايمان واما بالبراهين

انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن
فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر
لقد احسن الله فيما مضى ؛ كذلك يحسن فيما بقي ؛ وانما يقيس المستقبل
على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن
الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا
احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي
البصائر يدل على الهوان **ومثاله** ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض
احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه
ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي
تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب
وياكل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه
مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه
وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات
من الله وان الله يحمي عبده الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب
وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا
حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل
عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا
ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنهم
اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني
واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان
ذلك غرور **وقال** الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي
ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان
من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور **علاجه** معرفة
دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة او بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف
وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد
عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء
وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله **وقد قال**
تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون

وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى افتحنا عليهم ابواب
كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله
سنستدرجهم انهم كلما احدثوا ذنبًا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال
تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثمًا ولهم عذاب مهين وقال تعالى ولا تحسبن الله
غافلًا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك
مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به تخلص من هذا الغرور
فان منشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر
به بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف
احسن اليهم ابتداً ثم دمرهم تدميرًا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال
فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وقال و
مكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدًا
فمهل الكافرين امهلهم رويدًا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد
اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يجوز ان يكون ذلك مكرًا منه
مع ان السيد لم يحذره فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره استدراجه اولى
فاذًا من امن مكر الله فهو مغرور ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا
على انه كريم عند النعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك
الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما
يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور المثال
الثاني هو غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم انه كريم وانا نرجو
عفوه واتكالهم على ذلك واهمال الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم و
اغترارهم وظنهم ان الرجا مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة
ورحمته شاملة وكرمه عميم وان المعاصي في بحار رحمته وانا موحدون
ومؤمنون فرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجاهم التمسك بصلاح
الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم
في الخوف والتقوى والورع وظنوا انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم
مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق
امنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب
انسانًا احب اولاده وان الله قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة
ويُنسي المغرور ان نوحًا عليه السلام اراد ان يستصحب ولده في السفينة

وقال ان ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم
استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن في ان يزور
قرابته لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله وهذا لان الله
يحب المطيع ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد
العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب
يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر
وازرة وزر اخرى فمن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل
ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعليم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها
بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند جزا
التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم
يشتد غضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت
فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجوا مغفرته ورحمته فما
هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول
الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله
عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه
رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا يليق وهذا لانه
ذكر ثواب الاخرة اجرا وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون
وقال انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من استوجر على اصلاح
اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف
بل يزيد فجا الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم
ان المستاجر كريم افتراه العقلا في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا
وهذا للجهل بالفرق بين الرجا وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون
نرجوا الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم
يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب عنه وقال مسلم ابن يسار
لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجوا الله
فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه و
كما ان الذي يرجوا في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع

و يستغفر لها فاذن له في الزيارة ولم يأذن له في الاستغفار لها ...

ولم يزل

ولم ينزل فهو معتوه وكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او امن ولم يعمل
صالحا او علم ولم يترك المعاصي فهو مغرور كما انه اذا نكح ووطى وانزل بقي مترددا
في الولد يخاف ويرجوا فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام
الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل صالحا وترك السيئات وبقي مترددا
بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء
ويرجوا من فضل الله ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات
بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هولاء فهم المغرورون بالله
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند
ذلك يقولون ما اخبر الله عنهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون اي علمنا انه لا يولد الا بوقاع ونكاح ولا نبت الا بحراثة وبذر
فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا
فقد علمنا الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الم يسمعكم
سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس بما كسبت وان كل نفس بما كسبت
رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت
فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق
العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان واني تقبل توبتك فيقنط
من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجا ويتذكر ان الله كريما
يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا
عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال واني لغفار لمن
تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان
توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق
فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام الى الجمعة يعدوا وهو يرجوا ان يدرك الجمعة فهو
راج وان استمر على التجارة واخذ يرجوا تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط
الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور الثاني

ان تفتر نفسه عن فضايل الاعمال وتقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعيم الله وما
وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضايل
وتتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فرجا الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجا الثاني يقمع الفتور المانع
من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجا
وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر
له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذا نفسك واذى
وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن العمل والتوبة فهو
الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب
الله او عظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم
يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع
على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته
في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجا
قايدان سايقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني
وغرور ورجا كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور وقد
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر
هذه الامة وقد كان ما وعد به عليه السلام فقد كان الناس في
الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون
في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات
واما الان فترى الخلق امنين مسرورين مطمئنين غير خائفين
مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمون انا
واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون
انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف
الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء
اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف

والرجا

والرجا وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه معقل بن يسار يأتي على
الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما يخلق الثياب على
الأبدان يكون أمرهم كله طمعاً لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل
مني وان اسا قال يغفر لي فأخبر عنهم أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم
بتخويفات القرآن وما فيه وتمثله الخبر الله تعالى عن النصارى اذ قال
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى
ويقولون سيغفر لنا ومعناه أنهم ورثوا الكتاب اي هم علما ويأخذون
عرض هذا الأدنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد
قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله
الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه
ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من
مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكأنهم يقرؤون شعرا
من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم
غرور يزيد على هذا **فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق** بين
الرجا والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم
اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انهم تترجح كفة حسناتهم مع ان
ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم
معدودة من الحلال او الحرام ويكون ما تناوله من اموال المسلمين والشبهات
اضعافه ولعل ما تصدق به هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل
الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا
كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الفا واراد ان
يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من
يظن ان طاعته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه
واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح
الله في اليوم والليلة مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم
بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد تسبيحه
مائة مرة او الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد وعده الله العقاب
على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في
فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين

والكذابين والنمامين والمنافقين بذكرها لا يعنيه الى غير ذلك من افات اللسان
وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما
يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لو كان عند ذلك يكف لسانه عن
جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازيه بتسبيحاته
حتى لا يفضل عليه اجرة تسبيحه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط
يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه
ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه
كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال
من يصدق بما جاء به القران وانا نبرا الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحان
من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة
والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل
الشيطان والهوى **بيان اصناف المغترين** واقسام كل صنف وهم اربعة
اصناف **الصنف الاول** اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم
الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها
عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله
بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق
شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم
مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما
العلم بالمعاملة فكمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا
الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون
العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة
لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى
عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها
ومعادنها التي منها يجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه
وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة وعلمه الفرق حتى تشفى جميعهم
وكررها كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا انه يزن الذهب
ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه

في وقته

في وقته وبعد تقديم الاحتما وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من
شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلاً ثم ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا
الفقيه الذي علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق
المذمومة وما زكى نفسه عنها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو
مغرور اذ قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ولم يقل قد افلح من تعلم
كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان
لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله
والثواب والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان
كان المسكين معتوهاً مغروراً وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه واهمل
العمل وان كان كيساً فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني
ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وقوله مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً فاي خزي اعظم من
التمثيل بالكلب والحمار وقد قال عليه السلام من ازداد علماً ولم يزدد هدًى لم
يزدد من الله الا بعداً وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
في النار كما يدور الحمار في الرحا وكقوله شر الناس العلماء السوء وكقول
ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل
سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف
قضيت شكر الله وقال عليه السلام اشد الناس عذاباً يوم القيمة
عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب
علامة علماء الاخرة اكثر من ان يحصى الا ان هذا مما لم يوافق هوى العالم
الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك
عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان
فالذي اخبر بفضيلة العلم هو الذي اخبر بذم العلماء السوء وان حالهم
اشد عند الله من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله
عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته
واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال
من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله
وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف لما يحبه وما يكرهه وما يغضب

عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما
يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة و
سكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخاً
بجميع ما يكرهه الملك عاطل عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته
له وبنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه
ومعاملة رعيته فهذا مغرور جداً اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل
بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه وما يكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله
المراد من قربته والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه
الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون
المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف
الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله الى داود عليه السلام
خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله
واسمه قد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من صفاته
انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك مثله
الوفاً مؤلفة وابّد عليهم العذاب ابد الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثر
ولم يأخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال
ابن مسعود كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً و
استفتي الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل ان فقهانا لا يقولون ذلك فقال
وهل رأيت فقيهاً قط الفقيه القائم لله ليلته الصائم نهاره الزاهد
في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان
قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فان الفقيه من فقه عن
الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن
يرد به خيراً يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين
وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا
المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة
عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء
للاقران وللنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم

ان ذلك

ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت الى قوله عليه السلام ادنى
الريا شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر
والى قوله عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب والى قوله
عليه السلام حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من
الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء
زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى
صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال
وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
وامثالك هو لاء كبيوت الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى
ظاهرها مزين وباطنها مظلم وكرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص
باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال
اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية
الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز روسه واطرافه فلا يزال
تقوى اصوله وتثبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب
فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل
هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلا وشرب الدواء فالطلا ليزيل ما على ظاهره
والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلا وترك الدواء وبقي يتناول
ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم يتفجر من المادة التي في
الباطن **وفرقة اخرى** علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من
جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم
ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم
في العلم فاما هم فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر
والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا الكبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار
شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست
الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس شمتت بي اعداء الدين وفرحوا
بذلك وكان ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان منه هو
وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين
وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما اراى من الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة
بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام

فقال انا قوم اعزنا الله بالسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز
الدنيا بالثياب الرفيعة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول
والمراكب ويزعم انه يطلب عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان
بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد
ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه
الحسد حتى تيقن انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة او زوحم
فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب
مهما طعن في عالم آخر بل ربما يفرح فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه
من خبث باطنه وهكذا المراءى باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال
هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله
ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس
بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم
على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين ان
يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه
الشيطان هو ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان
الاجر لي والثواب فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه
بنفسه والله يطلع على ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء
العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل
لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به
تظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان
ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين
الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في اموالهم
فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر
اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند
ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين
ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه
والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من
مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح
المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين فلا يحل لك ان

تاخذ

تاخذ قدر حاجتك فيعبر هذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا
مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد الذين اخذ
منهم احيا واولادهم وورثتهم احيا وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم
ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف فانه مال حرام ولا يقال
هو مال لا مالك له ويجب ان يقسمه بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان
مال كل واحد قد اختلط بالاخر الثاني في قوله انك من صالح المسلمين وبك قوام الدين
ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال
على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها
واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام
الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على
الله كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض
عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حيوته وهو يزعم
انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة
وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع
واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر وفيما ذكرناه
تنبيه بالقليل عن الكثير وفرقة اخرى احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها
بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب
من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري
منها واقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون
اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق
وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من
الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقطعه الا انه لم يفتش
عالم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت
من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه
قد قلعها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث
لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد
للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جميع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع
التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته
ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه

من الاتفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثنا والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم
له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن
الاصغا عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الروس على كلامه والبكا
عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص
بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر
الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا
عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل
هذا المسكين المغرور رجاوه في الباطن بما انتظم له من امره وعز وانقياد
وتوقير وحسن ثنا فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد
بما يظهر من اعماله فعساه تشوش عليه قلبه وتختلط عليه اوراده ووظايفه
وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه
وعساه يوثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان
قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عن من عرف حق فضله وورعه وان
كان ذلك على وفق حاله وعساه يوثر بعض اصحابه على البعض في الحاجة وهو يرى
انه يوثره لتقدمه في العقل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده
واكثر ثنا عليه واشد اصغا اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون
منه ويرغبون في العمل وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه
بحق علمه فيحمد الله على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك
مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك
الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفا العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة
والاختفا لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان
من زعم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبايلي وعساه يصنف
ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه
بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحي عنه اسمه ونسب الى نفسه ثقل
عليه ذلك مع علمه ان ثواب الاستفادة من التصنيف انما ترجع الى المصنف
والله اعلم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثنا على
نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره
ليستبين من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد
كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه

كان

فيعزيه لقايله

نيعزيه الى قايله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله
بعينه كالسارق له او يغيره ادنا تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى
لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه
كي لا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها
ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافلا عما روي عن بعض الحكما وضع
ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض وستون
نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين
اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو
افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من تبعه
وانه اكثر تبعا من غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق
بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا
ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد
في نفسه نفرة فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه
كما كان يتشمر قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنا مع علمه بانه مشغول
بالاستفادة ولعله تحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من
الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع
ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد
لم يقدر على اظهاره ويتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك
ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه وربما
فرح به وان اثنا عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر
عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله
مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الا
كياس ولا يتنزه منه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء
الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك
ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه
ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المرئي
لنفسه الممتن على الله وعلمه بعمله الظان انه من خيار خلقه نعوذ بالله
من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور
الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور

الذين قنعوا من العلوم بالايمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم
عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه **فمنهم فرقة** اقتصروا على علم الفتاوي
في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنياوية الجارية بين الخلق
لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا
مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان
عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح
ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد وسائر المهلكات فهولاء مغرورون
من وجهين **احدهما** من حيث العمل **والاخر** من حيث العلم اما العمل
فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا
واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف
على الهلاك فيحتاج الى تعلم الدوا واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة
وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن
يقول ربما يقع الاستحاضة لامراة وتسالني عن ذلك وذلك غاية الغرور
فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات
والحسد والكبر والريا وسائر المهلكات الباطنة وربما تختطفه الموت
قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي
والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه
واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة لا يشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من
الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور
انه بنفسه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية
قبل فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قصد بالفقه
وجه الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فروض عينه في جوارحه وقلبه
فهذا غروره من حيث العمل **واما** غروره من حيث العلم فحيث اقتصر
على علم الفتاوي وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار
لا يفقهونه وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك
جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل
على التقوى فتراه امنا من الله ومغترا به متكلا على انه لابد وان يرحمه

فهو

المسكين

مطلب الاشتغال بفرض الكفاية
قبل فرض العين معصية

فانه وان قصد وجه الله فهو

فانه قوام

فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك
العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم
يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر
القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير
هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان
بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب
انما العلم المهم معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات
المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله فاذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات
كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر على سلوك طريق الحج على
علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس
من الحاج في شيء ولا سبيل وقد ذكرنا ذلك في كتاب العلم ومنهم من اقتصر على علم الفقه
~~من الحاج في شيء ولا السبيل وقد ذكر ذلك في كتاب العلم ومن هو الا من اقتصر من علم~~
الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم
ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول النهار والليل في التفتيش عن مناقضات
ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية
وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا
لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب
وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة
فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة علم
العربية التي تجري بين المصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما قد جمعه الذين العربية
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا
بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل
عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم
معانيها واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما
يبدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح
من الذين من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهوا
والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المختلفة واشتغلوا المقالات
بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا

انه لا يكون لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان تيعلم جدلهم وما سموه ادلة
عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد
مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان
ضالة ومحقة فالضالة التي تدعوا الى غير السنة والمحقة هي التي تدعوا الى السنة
والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن الضلالة وظنها بنفسها النجاة
وهم كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اوتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم
اولا شروط الادلة ومنهاجها فراى احدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة واما
الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل
القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يتفحص ولم يبحث وان
من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمومن او ليس بكامل
الايمان ولا بمقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل
والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم
وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة واحدهم
يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة
والافحام ولذة الرياسة وعز الانتما الى الذب عن دين الله عميت بصيرته
فلم يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى عليه وسلم شهد لهم بانهم خير
الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم
عرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم
واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر
الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا
عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة
الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى
كانه فقي في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا امرتم ان
تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه
فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس
مجادلة الالزام والافحام وتحقيق حجة ودفع سوال وايراد الزام فما جادلهم الا تلاوة

وق
وتخييل

الحدى

اهل

القران المنزل عليهم ولم يؤثر المجادلة عليه لان ذلك تشوش القلوب ويستخرج
منها الاشكالات والشبهة ثم لا يتيسر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن
مجادلتهم بالتقسيمات ودقايق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والا
لزام ولكن الاكياس والحزام لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم
ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما
كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم
فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا
نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله
له بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي
ومجادلتها ومحاربتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت ما نهيت
عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف ادعو الى السنة بترك
السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله وما يحبه لاتنزه
عما يبغضه واتمسك بما يحبه **وفرقة اخرى** اشتغلوا بالوعظ واعلاهم
رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر
والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظايره وهم مغرورون
يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين
بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام
المسلمين وغرور هولاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب
ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق الاخلاص
الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولو
لا انه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية
قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو امن
من الله ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين
بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من
المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرايين
بل يصف الاخلاص ويترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويراي بذكره
ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق الريا ويصف الزهد في الدنيا
لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعا الى الله وهو منه فار ويخوف
بالله وهو منه امن ويذكر بالله وهو له ناسي ويقرب الى الله وهو منه متباعد

ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف
ويصرف الناس عن الخلق الردي وهو الى الخلق الردي اشدهم حرصا ولو منع عن مجلسه
الذي يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه
اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات
غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله
اليه فهولاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان
المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها
وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك
بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون
وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات
المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا
حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي
امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله
ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى
قلبه يمتلي بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله فهل
رايت محبا انسا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون
انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق
من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطا عنهم في
الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابهم فيدور بها احدهم
كما يدور الحمار بالرحا لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه
وانما وقع الغرور لهولاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيا ضعيفا من
اصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك
وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما
رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم الا لاتصافهم بها وذهب عنهم ان
القبول للكلام والكلام للمعرفة جريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك
غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف احادهم
بل بالقدرة على الوصف بل ربما زاد منه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف
في قلبه حب الله وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواه بفصاحته
ويصف الصحة والشفا وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفا واسبابه

ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في
الوصف والعلم بالطب فطنه عنه علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك با
الخوف والحب والتوكل والزهد وساير هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن
التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حالة
الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظ القران والاخبار ووعظ
الحسن البصري وامثاله **وفرقة اخرى** منهم عدلوا عن المنهاج الواجب
في الوعظ وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف
البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة
عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطايفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع
الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم
ان تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين
الانس ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم
فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هولاء فانهم يصدون
عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجا فيزيدهم كلامهم
جراة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب
والخيل والمراكب فانه يشهد من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده
هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفي وجه كونه
مغرورا **وفرقة اخرى** بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم
يحفظون الكلمات على وجهها ويوردونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل
ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلسا وكل منهم
يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل
الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله من غير ان
يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظنه ان حفظ الكلام اهل الدين
يكفيه وغرور هولاء اظهر من غرور من قبلهم **وفرقة اخرى** استغرقوا
اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد
الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول
انا اروي عن فلان ولقد لقيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري
وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى
فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك

العلم

وعظهم منهاج

وهم

منهم قنعوا

يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملوا بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا
يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عليهم وهو معرفة معالجة
القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالي منها والحاجة بهم الى
شيء من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم لا يقومون بشرط
السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول
الى اثبات الحديث اذا التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول
السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهو لاء اقتصروا من الجملة على
السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث
يقرا والشيخ نيام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر
تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما غفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط
وربما يشتغل بحديث ونسخ والشيخ الذي يقرا عليه لو صحف وغير ما يقرا عليه
لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما
حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن
سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة والتابعين
وصار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع من رسول الله صلى الله وسلم
وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث
لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطا علمت خطاه وللحفظ
طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ
ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح
المكتوب وتحفظه حتى لا يصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب
معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم
تحفظه لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون
كتابك متذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغير والتحريف فاذا لم
تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت
المجلس ثم رايت نسخة لذلك الحديث وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يناقض
حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب
فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو
في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت

25.4

عليها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما
ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم
يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع
من الحفظ ليشعر بالتغير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز
ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون
يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد الذي
لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي بلغ والغافل المشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم
ولا يحفظ وان استجرا جاهل فقال نكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين
في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت
فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على
ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان
يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك اصح وما زاد عليه
فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا
غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوجد هذا واهل
السماع مستندهم الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع مقالتي
فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا افحش
انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احطط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا
الذين سمعوا في الصبي على هذا الحال مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا
فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم الا فينقص جاههم وتقل
ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا
فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري
وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول بالفقه
وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط
لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد
واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك
طريق الاخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس
السماع فكان اول حديث روي قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام
فقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون
الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة وغريب اللغة وزعموا انهم قد غفر لهم

احتاط

حلقاتهم

والشعر

واعرابه

وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة
بعلم النحو واللغة فافنوا هولاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر
وفي غرائب اللغة ومثالهم مثال من يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها
ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتبة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم
انه يكفيه اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب
لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في
معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من
اللغة علم الغريبين في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما
التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة
المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح
مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني
والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء
فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين
فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف في القرآن
مهما تعمقوا فيها او تجردوا لها او عرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي
هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب
بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة
ولب بالاضافة الى ما فوقه وما هو فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك هو القشر الاعلى العلم
بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فيجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل
فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال و
وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المحمود من جملة علوم الشرع
وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم
يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او البعيد وهذه العلوم لما
كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات
وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث
انها علوم فكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة
في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو
المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج

عليه

عليه فقد اغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضا فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوي مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات الزوج عن الصداق بري الزوج فيما بينه وبين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج قد يسي الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبري الزوج لتتخلص منه فهو ابرا لا عن طيبة نفس وقد قال الله فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابرا لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر في الابرا الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضا لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابرا ولذلك لا يحل ان يوخذ مال الانسان الا بطيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سواله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسوال في مظنة الحيا والريا ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما الحاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقا لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا ابن حيان فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد

قال اني اسأت اليك في امر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف
وقد ركن الى ذلك فقال له جبرئيل هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع
فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله قال ~~كذا~~ اني ~~كنت~~ اذنبت اليك
ذنبا قال الم اهبه لك قال او لا تسألني ما ذلك الذنب فقال ما هو يا نبي
الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني
قال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله
فاستقبل داود الصراخ والبكا من الراس حتى وعده الله ان يستوهبه
منه في القيمة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان
طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا تكون
في الاباء والهبة وغيرها الا اذا خلي الانسان واختياره حتى ينبعث
الدواعي من ذات نفسه لا ان تضطر دواعيه الى الحركة بالحيل والالزام
ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في اخر الحول من زوجته واتهابه مالها
لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة
السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر
الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لا يملك المال او كمن
باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين
وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل
مهلك قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاع
بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان
الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه عليه ان استنبط
الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال
المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون
بين الاموال الفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم رعونتهم
الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها
في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين
والعبادة فهو حاجة وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف
غرور الفقهاء في امثال هذا لملأنا مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف
الاجناس دون الاستعاب فان ذلك يطول الصنف الثاني ارباب العبادة
والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم

اني اذنبت

نظرهم

في تلاوة القران ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد
وكذلك كل مشغول عنهج من مناهج العمل فليس خاليًا عن غرور الا الكياس وقيل
ما هم فمنهم فرقه اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما
تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه
الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته
في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا الامر
الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة فربما اكل الحرام المحض
ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة
اذ توضى عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة
وكان مع هذا يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء
من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى
يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور
لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم تفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان
لم يسرف مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشيا فيما له مندوحة عنه الا ان
الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم
انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقه غلب عليها الوسوسة في نية
الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يوشوش عليه حتى تفوته
الجماعة وتخرج الصلاة عن وقتها وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد
في صحة نيته وقد يوسوس في التكبير حتى يغيرون صيغة التكبير لشدة
الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلاة
ولا يحضرون قلوبهم ولا يغترون بذلك بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا
انفسهم في تصحيح النية في اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والا
حتياط فهم يظنون انهم على خير عند ربهم وفرقة يغلب عليها الوسوسة
في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط احدهم
في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع
صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه وهو ذاهل عن معنى القران
والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذه امر اقبح انواع الغرور فانه
لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم
في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامران

فالخلاف واذا ما لا الاولى [illegible] الحلال
عند الاحتياط اولى في الورع تبين

ويانتف

يوديها على وجهها فاخذ يودي الرسالة ويتانق في مخارج الحروف ويكررها
ويعيدها مرة بعد اخرى في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة
المجلس فما احراه بان يقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه
بفقد العقل **وفرقة** اغتروا بقراءة القران فيهذونه هذا وربما
يختمون في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في
اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران ليتزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه
ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما
ذكرناه في كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان
المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه **ومثاله** مثال
عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف
عنايته الى فهمه والعمل ولكن اقتصر على تحفظه فهو مستمر على خلاف ما امره
به مولاه لانه مكرر للكتاب بنغمة وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق
للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما يراد
لكي لا ينسى بل يحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع
بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقراوه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه
ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وانما هو لذته في صوته
ولو ردد الحانه بشعر وكلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذا لم
يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه ومعانيه او
وفرقة منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة
وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الريا وبطونهم
عن الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار
وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه
وذلك غاية الغرور **وفرقة** اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج
عن المظالم وقضا الديون واسترضا الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد
يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة و
الفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة
حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق وهو يطلب به السمعة والريا
فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالريا ثانيا فلا هو اخذ من حله
ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق

وهو

حفظه

لذاته بكلام الله تعالى

من

من رفقة ولخدام
و بما جمع بعضهم حرام
و نفقه على رفقاه فلطر
يق

قلبه بيت ربه

وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور **وفرقة** اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر عنه غلظ القول عليه وانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يوذن ويظن انه يوذن لله ولو جاء غيره واذن في غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع واعلم منه ثقل عليه **وفرقة** جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم وبطهروا ظواهرهم وبواطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفهم ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك انه يجاور ويمد عين طمعه الى اوساخ اموال الناس واذا جمع من ذلك شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احيا علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة وفي الحج والزكوة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب **وفرقة** زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر انه منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة

احجم

بالشر هو بنفسه

وقت

ذكر

وما فعلهم الا اعمال وعبادة
والعبادات الا وفيها افات
فمن لم يعرف مداخل افاتها
واعتمد عليها فهو مغرور
وهو مغرور

وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام
وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب
بعلمه ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا
ياخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر
ورده في الباطن لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس
وهو من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا
ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن
توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقرا والميل الى المريدين له والمثنين عليه
والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان
وفي العباد من شدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة
مثلا الف ركعة ويختم القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده
وتطهيره من الريا والكبر والحسد والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان
ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان كان ظن بنفسه ذلك توهم
انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مواخذ باحوال القلب وان توهم فيظن
ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة الحسنات وهيهات فذرة من ذي تقوى
وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا
يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن
الريا وحب الثنا فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه
فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل
على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه
وفرقة حرصت على النوافل ولم تعظم اعتدادها بالفرايض ترى احدهم يفرح
بصلاة الضحى وبصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة
ولا يشتد حرصه على المبادرة لها في اول الوقت فينسى قوله عليه الصلاة
والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الى بمثل اداء
ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين
على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما
يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر
ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض
تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم

238

فرض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على
ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما
يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد
اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له من ابر فقال امك ثم قال
من قال امك ثم قال من قال امك ثم قال من قال اباك ثم قال من قال
ادناك فادناك فينبغي ان يبدا في الصلاة بالاقرب فاذا استويا فبالا
حوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي نفقته بالوالدين
والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من
تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد
ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفا بالوعد معصية
وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول
على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاوهما محذور والحذر
من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات
لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في
غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية
حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب
والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة
والباطنة والمتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة
ما يحتاج اليه غيره في حوائجه فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا ان
حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي
عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بهم دينه **الصنف الثالث**
المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة
اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا
الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي ادابهم ورسومهم
واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة
والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس
الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيئات
فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا
انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر

فقالوفيا لوعد في الوقت

الله

ففرقة منهم

حاجتهم

بالصوفية الصادقين

من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوايل منازل التصوف ولو فرغوا عن
جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية وكيف ولم يحوموا قط
حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات
واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير
والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شي من غرضه وهولاء
غرورهم ظاهر **ومثالهم** مثال امرة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال
من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع واحد منهم قطرا من
اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت
على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات
بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف هيئة تبخترهم في الميدان وكيف
تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمايلهم في الزي والمنطق والحركات
والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما
وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان يجرد عن المغفر والدرع
وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنايتها في الشجاعة
فلما جردت عن المغفر فاذا هي عجوز ضعيف زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر
فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم
خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليسحقها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون
حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي
الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب **وفرقة** زادت على
هولاء في الغرور اذ شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون
وارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم يجد بدا من التزي بزيهم فتركوا
الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة الخزم
ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم فظن احدهم مع ذلك
انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب
لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ
كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد واما تقطيع الفوط
الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه
فهولاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب
ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين

ولا يخفى

ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا من الباطنة وهم مع ذلك يظنون
بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدي الى الخلق اذ يهلك من يقتدي
بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان
جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من
شوم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق
ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول
الى القرب ولا تعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من
الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين
والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين
الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك يترك
حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منه تلك الكلمات المزيفة
فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع
العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء
انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه
من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب
من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب
قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة منهم
وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين
الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي
وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن
حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب وانما نحن
فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة
والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل و
الشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب
وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا
وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب
ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العلوم واستغنوا عن تهذيب النفس
بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها
ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريقه

الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية
واصناف غرور واهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك
بنا على اغاليط ووساوس جرهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة
قبل احكام العلم ومن غير اقتدي بشيخ متقن في العلم والدين صالح للاقتدا
واحصا اصنافهم يطول **وفرقة** جاوزة حد هولاء واحسنت الاعمال
وطلب الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات
من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات
وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله ويزعم
انه واله بالله ولعله قد يخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي
حب الله قبل معرفته ثم انهم لا يخلوا عن مقارنة ما يكره الله وعن
ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حيا من الخلق ولو
خلا لما تركه حيا من الله وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم
ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى
التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة
وقد كانوا اعرف بالتوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف
والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح
وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد
وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما
من مقام من مقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد
ذكرنا مداخل الافات في ربع المنجيات فلا يمكن اعادته **وفرقة** ضيقت
على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد
القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال
في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري
المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا رضي بسائر
الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا بتفقد جميع الطاعات والمعاصي
فمن ظن ان بعض هذه الامور تكفيه وتنجيه فهو مغرور ومنهم من ادعوا حسن
الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا
بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر
وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم

الارتفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية
ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم
وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم
وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه
البر والانفاق وباعث جميعهم الريا والسمعة واية ذلك اهمالهم لجميع
اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه و
مثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد
الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة منهم
اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون
فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم
في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس وباستنباط
دقيق الكلام في افاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا
والالتفات الى كونه عيبا ويشقعون فيه كلمات مسلسلة تضيع الاوقات
في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان
كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وافاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه
وفرقة جاوزوا هذه الرتبة وابتداوا بسلوك الطريق وانفتح لهم
ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رايحة تعجبوا منها وفرحوا
بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي
كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان
عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت
خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا
فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى
قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه
لقاء الملك وفرقة جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من
الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها
والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله
فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من
نور لا يصل للحجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة
بقوله ابراهيم عليه السلام اذ قال الله اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى

كوكبا قال هذا ربي وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها
في الصغر ويعلم انها ليست الهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون ان
الكواكب ليست بالهة فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغرق الكواكب الذي
لا يغر السواديه ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله وهي
على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب
وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكواكب
فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم
عليه السلام لما راى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه
قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت
فيكشف له ما وراءه حتى وصل الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده
فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال من الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر
بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا
امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة
الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل
عند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو
عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف
جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى
القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة
فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك
وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل الى القمر فضلا
عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى
فيه كما يلتبس لون ما يرى في المراة فيظن انه لون المراة كما يلتبس ما في
الزجاج بالزجاج كما قيل ،، رق الزجاج ورقت الخمر ،، فتشابها فتشاكل الامر ،،
فكانما خمر ولا قدح ،، وكانما قدح ولا خمر ،، وبهذا العين نظر النصارى
الي المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن يرا كوكبا في مراة او في ماء
فيظن ان الكواكب في المراة وفي الماء فيمد اليه اليد لياخذه وهو مغرور

تلون الزجاج

وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد
شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي
ذكرناه ايضا كان اولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من
غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة
من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي
هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختص
وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات
التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه
الان كما يكذب بما يسمعه من قبل **الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون
منهم فرق** ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات
والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها ليتخلد ذكرهم
بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد
اغتروا فيه من وجهين **احدهما** انهم يبنونها من اموال اكتسبوها
من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط
الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع
عن كسبها فاذا عصوا الله بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع
الى الله وردها الى مالكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان
عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم
ورثة فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة
على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس
فيبنون الابنية بالاجر وغرضهم من بنائها الريا وجلب الثناء وحرصهم
على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير **الوجه الثاني** انهم يظنون با
نفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم
ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق ذلك
عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه
يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك **وفرقة** ربما
اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المسجد وهي ايضا مغرورة من وجهين
احدهما الريا وطلب الثناء فانه ربما يكون بجواره او في بلده فقراء فصرف احدهم
المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف

بين
الى المساجد ليظهر ذلك من ذلك الناس والثاني ان يصرف الى زخرفة
المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين
ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب
وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله
يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك
وسيلة له عند الله وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع
لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما
شوقهم الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون
بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذا المسجد للتواضع ولحضور القلب
مع الله وقال مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب
فقال مثلي يدخل بيت الله فكتب على المكان عند الله صديقا فهكذا
ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على
المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله و
قال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي
امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا
اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي
تعجبكم شيئا واحب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض
وبها تخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم
وقال الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة
اتاه جبريل فقال ابنه سبع اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه
فغرور هذا من حيث انه راى ان المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة
ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون
به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشا للمعروف ويكرهون
التصدق في السر ويرون اخفا الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا
وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا
جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون
عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم
بعيره بين القفار ومال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وروي

ابتغاء مرضات الله قال

في حال

ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتامرني
بشي فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فاي شي
تبتغي بحجك تراهةً او اشتياقاً الى البيت او ابتغاء مرضات الله قال فان
اصبت رضى الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من رضات
الله اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضي دينه
وفقير يرم شعثه ومعيل يحيي عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوى قلبك
تعطيها واحداً فافعل فان ادخالك السرور على قلب اخيك المسلم واغاثة
اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام
قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى
في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات
اقتضت النفس ان تقضي به وطراً فاظهرت اعمال الصالحات وقد الى الله تعالى
على نفسه لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة** من ارباب الاموال يحفظون الاموال
ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج منها
الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان
البخل المهلك قد استولى على باطنه فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب
فضائل هو مستغن عنها ومثاله من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك
وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن قتلته الحية متى
يحتاج الى السكنجبين وكذلك قيل لبشر ان فلان الغني كثير الصوم والصلاة
فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجياع
والانفاق على المساكين فهذا افضل من تجويعه نفسه ومن صلاته
لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء **وفرقة** غلبهم البخل فلا تسمح
نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي
الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد اليهم
في حاجتهم او من يحتاجون في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم
فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن
يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك
مفسدات للنية ومحبطات العمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع
لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضاً من غيره فهذا وامثاله من غرور
ارباب الاموال وغرورهم ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه

على اجناس الغرور **وفرقة** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقرا اغتروا
بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك
عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ
اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان
لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان
ضعفت عن الحمل على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما
يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر احدهم
بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكا وربما يدخله
رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان
يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن
انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس
الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع الذي يحضر عند من يصف له الاطعمة
اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا
وكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل
وعظ لم يغير منك صفة تغيرا تغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض
عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك واذا
رايته وسيلة لك كنت مغرورا **فان قلت** فما ذكرته من مداخل الغرور
امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهو هذا يوجب الياس اذ لا
يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات **فاقول**
الانسان اذا افترت همته في شي اظهر الياس منه واستعظم الامر واستوعر
الطريق فاذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق
في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق
في جو السما مع بعده منه استنزله واذا اراد ان يخرج الحوت من اعماق
البحار استخرجه واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت
الجبل استخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري
والصحاري فاقتنصها واذا اراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات
فاستسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها
واستخرج الترياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش
من ورق التوت فاتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها

واستخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك با
ستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد
وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك الى غير
ذلك من دقايق حيل الادمي كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين
له على دنياه فلو همه امر اخرته وليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه
فيعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس
ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد وهو كما يقال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل ... فهذا شي لا يعجز عنه السلف الصالحون

ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا
يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت
فقد قربت الامر فيه بعد ان كثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد
من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة
فهذه الثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور
الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة
والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفا العقل
وذكا الفهم لا بد منه في اصول الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن
نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات
كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي
عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في
جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن
ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل
ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزوا في سبيل الله ويعود المرضى ويشيع الجنازة
ويعين الضعيف ما تعلم منزلته عند الله يوم القيمة فقال صلى الله عليه
وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله
صلى الله عليه قال كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله
وخلقه وقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر
وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان عليه السلام اذا بلغه
عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه واذا قالوا

صاحبكم ما تظنون صح

غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله فقالوا ليس
بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا وصحة غريزة العقل نعمة
من الله في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تتدارك لها **الثاني**
المعرفة واعني به ان يعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه
بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات
البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه
فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعين
على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجايب القلب وكتاب
التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف
جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة ورا ذلك فان هذا من
علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة **واما**
معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب
ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وعرف
ربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة
شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله
الى الله وينفعه في الاخرة فاذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في
الامور كلها فان اكل مثلا واشتغل بقضا الحاجة كان قصده منه الاستعانة
على سلوك طريق الاخرة وصحت النية وانذفع عنه كل غرور منشاه تجاذب
الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية
ما دامت الدنيا احب اليه من الدين وهوا نفسه احب اليه من رضا الله
فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة بالله وبنفسه
الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني
العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه الى الله وما يبعده عنه
والعلم بافات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب
احيا علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وافاتها
فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب
الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات تعلم جميع العقبات
المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق
فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات

اربعة امور يعرف نفسه ويعرف صح

اذ هي مضرة له صح

المحمودة التي لابد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط
بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها في الغرور واصل ذلك كله ان
يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة
وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها **فان قلت**
فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه **فاقول** يخاف عليه ان
يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى
ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه واخلاقه
وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم
وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم
ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته و
الشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان الى اغوائه ان ياتيه من جهة الدنيا
وشهوات النفس فلا يطيعه وياتيه من جهة الدين ويدعوه الى
الرحمة الى خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعا الى الله
فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى وهم سكارى
في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب
واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم **وقد كان** عنده حقيقة
المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم
وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان
مثله كرجل به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق
نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد
له دوا عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ
وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدئ بالنهار بعد شدة
القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول
السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد
طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواهم
هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي ادنى
زمان يقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في
التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ما اهتدى
الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم

واعضل دواهم وقرب هلاكهم واشقاوهم وسهل عليه دواهم
فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه
الشيطان على ذلك رجاان يجد مجالا للفتنة فكما اشتغل بذلك
وجد الشيطان مجال الفتنة فدعا الى الرياسة خفيا من دبيب النمل
لايشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع
والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في
الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا
يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة
من غير طمع احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم
واموالهم وصار واله خولا كالخدم والعبيد يخدمونه ويقدمونه في المحافل
ويحكمونه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس
وذاقت لذة يالها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة
فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان
فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة
وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه اذا اخطا فرد
عليه بين يدي الخلق غضب اذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر
الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين
فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة
فمن رد عليه فوقع في الغيبة المحذورة وبعد تركه للحلال المتسع ووقع
في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر
من طوارق الخطرات ولذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض
الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك استغفارا
وتنفس الصعدا وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان
يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كي لا تفتر رايتهم عن طريق الله لخيرة كون
تركهم وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الطريق
الرياسة وكذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من
اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب
الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان
النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم لذلك اذ مثاله فصار
ويعزه به

ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بير وتغطى راس البير بحجر
كبير فعجزوا عن الرقي من البير بسببه فرق قلبه لاخوانه فجا ليرفع
الحجر من راس البير فشق عليه فجا من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه البير م
ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص
اخوانه من البير فان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار
فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا
جميعا بانفسهم لم كان ينبغي ان يثقل عليه ذلك ان كان غرضه
هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه
دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه
فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد
الاستوا **فان قلت** فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس **فاقول**
اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله وكان يود لو وجد من يغنيه او لو
اهتدوا الا بانفسهم وانقطع طمعه بالكلية عن ثنائهم وعن اموالهم
فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبالي بذمهم اذا كان الله يحمده
ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله ونظر اليهم كما ينظر الى السادات
او الى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا ينكر عليهم ويرى كلهم خيرا منه
بجهله بالخاتمة البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم واما الى م
فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما
غرضه رعاية الماشية ودفع الذيب عنها دون نظر الماشية اليه فما
لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي لا يسلم
من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه
باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه **فان**
قلت فلو ترك الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ
وخربت القلوب **فاقول** وقد قال عليه الصلوة والسلام حب الدنيا
راس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش
وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه عليه السلام علم ان حب الدنيا
مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين
الاكثرين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب
الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقته في الشهوات

المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا
لقوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
فلذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يعوقهما
بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب
والزنا والربا والظلم وساير المعاصي لقول الله تعالى ورسوله ان ذلك
حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فان الله
يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله ليؤيد هذا الدين باقوام
لا خلاق لهم فاما ان تخشى ان الطلب ينسد طريق الانعاظ فاني ان
تخرس السنة الوعاظ وراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون
ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان
فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى الاغترار فانه يبقى عليه اعظمه
وهو ان الشيطان يقول قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال
عقلك وقدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك
وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع
مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من
الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الكبير فالعجب
اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك
بعملك تخلصت مني فبجهلك وقعت في حبالي فان قلت فلو لم يعجب
بنفسه اذ علم ان ذلك من الله لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان
الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل
فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور
بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه
الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانفلات فيكون حاله
الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن
امن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون شاهدا لجملة ذلك
من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه صفة من صفات
قلبه من حب الدنيا والرياء وسوء الخلق والالتفات الى غيره وهو غافل عنه ويكون خائفا

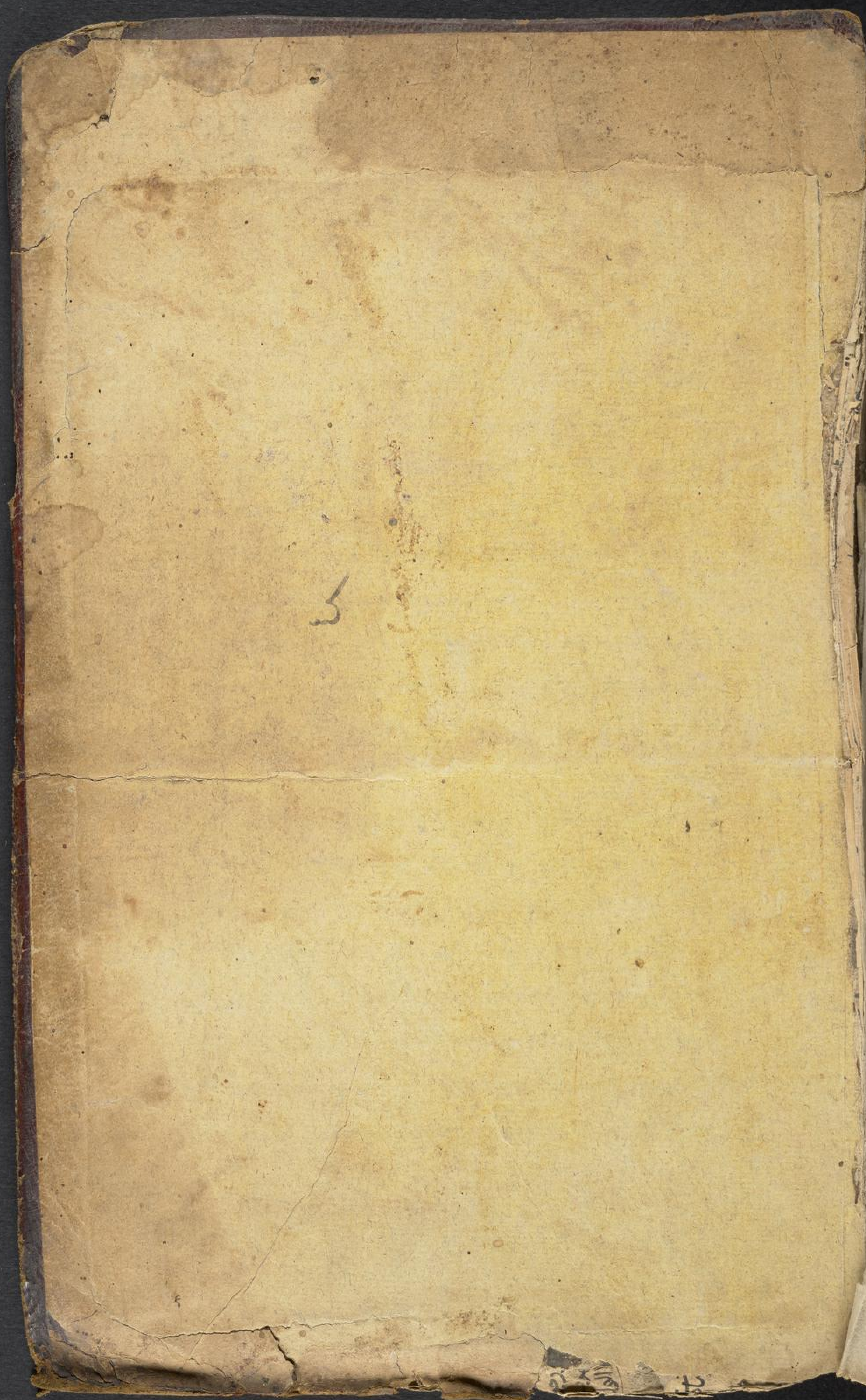
بالرجل الفاجر

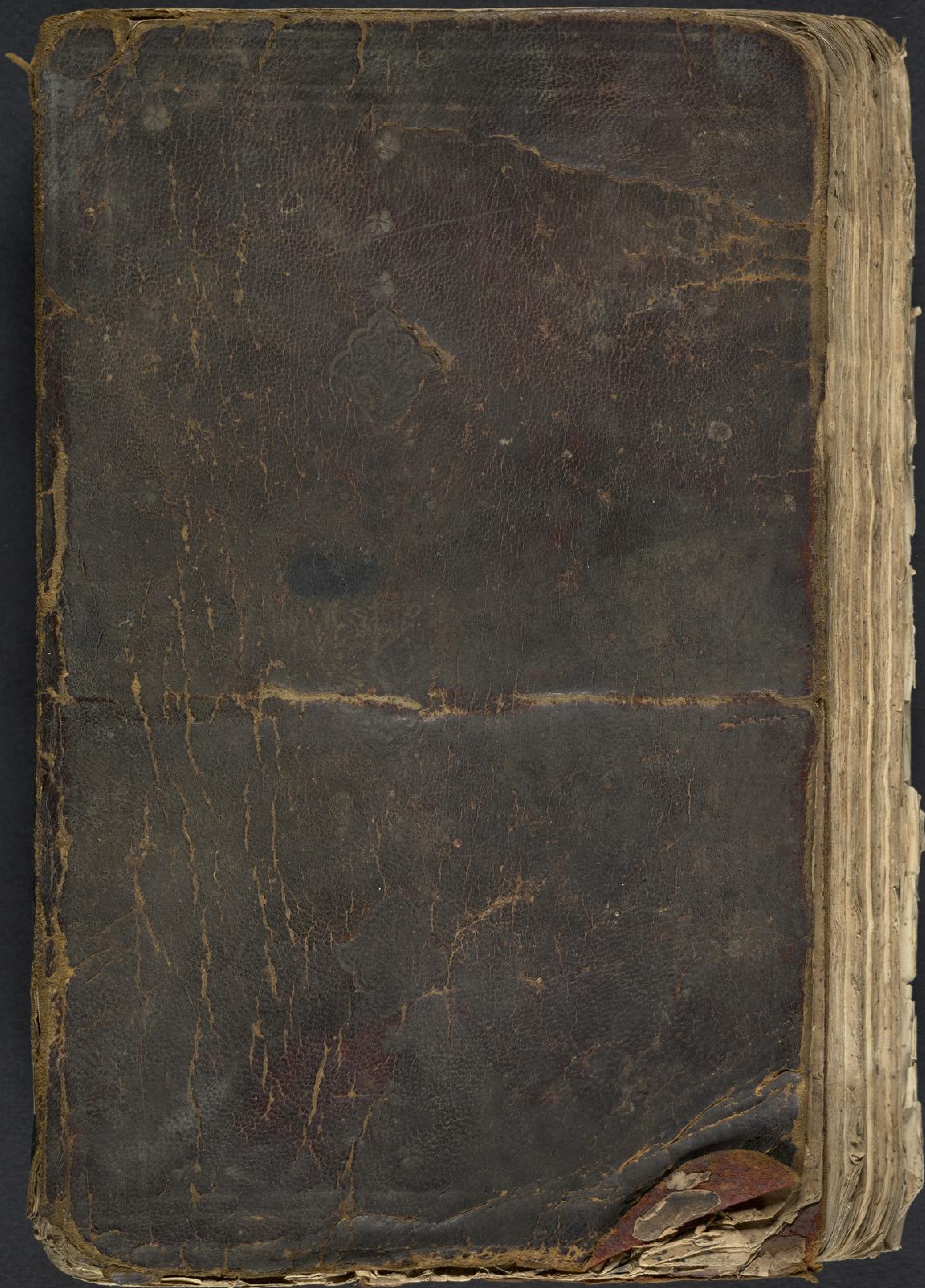
ان كنت

حاله

حاله في تطريقة عين غير آمن من مكر الله تعالى ولا غافل عن حفظ الخاتمة وهذا
خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة
الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان
له قد بقي نفس

غلام بهاء الدین







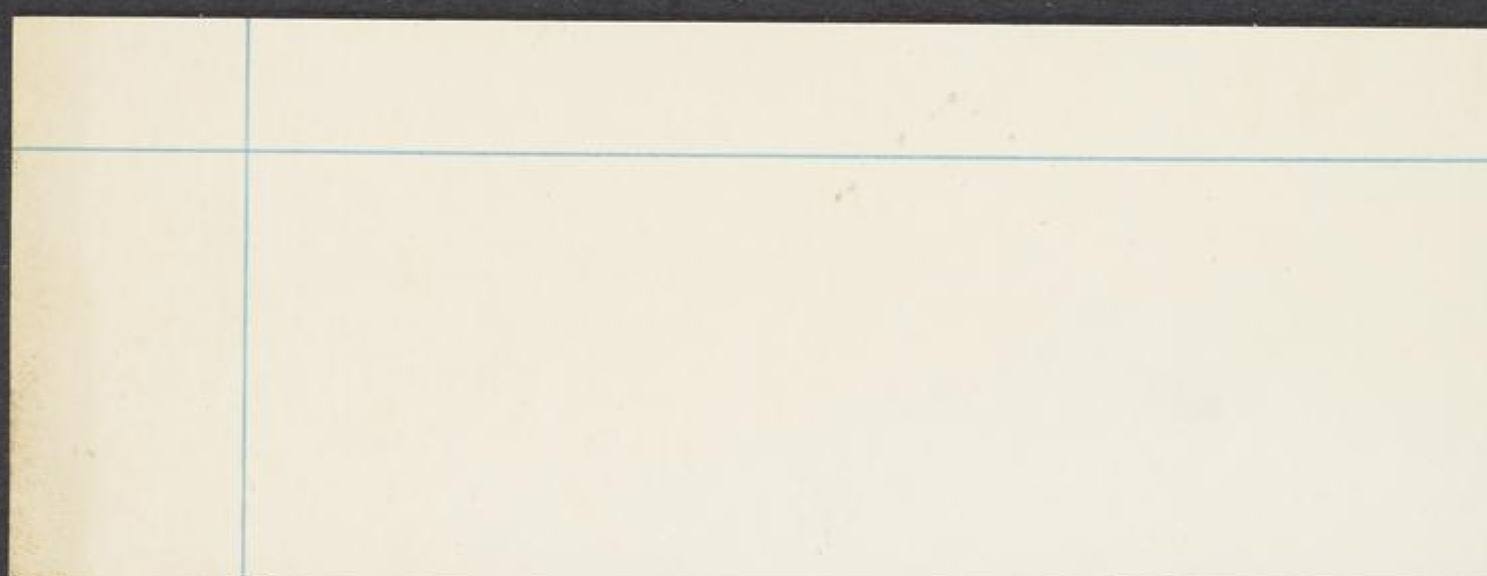




Iḥya 'Ulum al-Din by Abu Hamed Muhammed b. Muhammed al-Ghazali (450/1058 - 505/1112.)

Dated 1689

Gift of Mayer Sulzberger



عطوفتلو افندم

عطوفتلو افندم عودت [illegible] قريب

عطوفتلو بكرام حضرتلری

بنده‌کزدن طرف سوصه ایدرایسه خسته اولدیغم

معلومکز اولسون جناب عالیکز دله دجا



ريك

اللهم ارحني من رايحة الجنة . وارزقني من نعيمها ولا ترحني

وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهي يوم

وجوه او اللهم سو

امر الوضوء بنفسه ولا [illegible] غيره بان [illegible] له وضوءه

[illegible] يستعين في وضوئه باحد ومن الوبري

بطيب نفس